الصحيح

من سيرة النبي الأعظم ’

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

٢٠٠٦ م. ـ ١٤٢٧ هـ. ق

المركز الإسلامي للدراسات

الصحيح

من سيرة النبي الأعظم ’

العلامة المحقق

السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء الثاني والثلاثون

المركز الإسلامي للدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل السابع:

سورة المائدة متى نزلت وكيف؟!

لماذا تأخرت آية البلاغ عن آية إكمال الدين؟!:

إن ثمة سؤالاً يفرض نفسه هنا مفاده: أن الروايات قد صرحت بأن قوله تعالى: **{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ}**(١).. قد نزل بعد نصب النبي «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» إماماً في يوم الغدير..

وإن آية: **{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ}**(٢).. قد نزلت قبل يوم الغدير..

مع أن آية الإكمال قد وردت في أول سورة المائدة، وآية الأمر بإبلاغ إمامة الإمام «عليه السلام» قد جاءت في وسط السورة. والمفروض هو أن يكون العكس، لاسيما وأن القرآن كان ينزل نجوماً، وبالتدريج.. فكيف تفسرون ذلك؟!..

ونجيب عن ذلك بما يلي:

مرتكزات الإيمان:

إن الإيمان بنبوة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، يرتكز إلى أمرين:

---

(١) الآية ٣ من سورة المائدة.

(٢) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

أحدهما: الإيمان المستند إلى إدراك العقل، وقضاء الفطرة بصحة الحقائق التي جاء بها..

وهذا هو ما كان إيمان أبي طالب، وحمزة وجعفر، وخديجة.. و.. و.. مرتكزاً إليه وعليه، فإنهم قد أدركوا صحة ما جاء به رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعقولهم، وقضت به فطرتهم، ولم يحتاجوا إلى إظهار معجزة، ولا طلبوا من النبي «صلى الله عليه وآله» ذلك، خصوصاً مع ما صاحب ذلك من معرفة قريبة، واطلاع مباشر على حياة الرسول «صلى الله عليه وآله»، ومزاياه، وصدقه، ثم رؤية كرامات الله له، وألطافه به، ثم ما حباه به من رعاية وتسديد، ومن نصر وتأييد..

وهذا هو إيمان أهل البصائر، الذين يَزِنون الأمور بموازين العدل، ويعطون النصفة من أنفسهم، وهو ما يفترض بالناس كلهم أن يكونوا عليه، أو أن يسعوا للوصول إليه، وأن يلتزموا به ولا يتجاوزوه..

ولو أن الناس سلكوا هذا النهج لاستغنوا عن طلب الآيات والمعجزات، خصوصاً في ما يرتبط بأمر التوحيد والانقياد لله، والطاعة، والعبادة له، وما يتبع ذلك من تفاصيل تفيد في التعريف بصفات ذاته، وصفات فعله تبارك وتعالى.. فضلاً عن كل ما حدثهم به الله ورسوله مما يرتبط بالعلاقة والرابطة بين الخالق، ومخلوقاته.. وتدبير شؤون الحياة وفق الحكمة.. وهداية الكائنات كلها، ورعايتها وتربيتها.. فإن ذلك كله مما تفرض الفطرة السليمة والعقول المستقيمة الخضوع له، والإيمان به، وعقد القلب عليه.

فإذا قال لهم الله سبحانه وتعالى: {**أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا**

لاَ تُرْجَعُونَ}[١].. فهو إنما يخاطب عقولهم، ويتحدث عن أمر يمكنهم أن يدركوه، وأن يؤمنوا به.. وكذلك حين يقول لهم: **{قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ}**[٢]. وغير ذلك مما تحكم به العقول، وتؤيده الفطرة البشرية الصافية والمستقيمة..

والأمر الثاني: الإيمان المستند إلى ظهور المعجزة القاهرة، والقاطعة للعذر، والتي تضطر العقل إلى الإقرار بالعجز، والبخوع والخضوع والاستسلام. وهذا ما يحتاج إليه أو يطلبه نوعان من الناس:

النوع الأول:

الذين يرغبون في إبقاء الأمور على ما كانت عليه.. ممن يثقل عليهم الانقياد إلى دعوات الأنبياء، ويأنفون من الالتزام بأحكام الله.

وهؤلاء هم الذين كانوا يقترحون على الأنبياء أن يأتوهم بالآيات، وأن يظهروا المعجزات، ثم يكونون هم أول الجاحدين بها، والمكذبين لها..

النوع الثاني:

أولئك الذين يرغبون في معرفة الحق، ولا يأبون عن الالتزام به لو ظهر لهم.. ولكنهم ليسوا مثل جعفر، وحمزة، وخديجة و.. في وعيهم، وفي نظرتهم إلى الأمور، وإدراكهم للحقائق. فيحتاجون إلى عوامل تساعدهم على تحصيل اليقين بحقانية الدعوة، وواقع ارتباطها بالله سبحانه. من خلال

---

(١) الآية ١١٥ من سورة المؤمنون.

(٢) الآيتان ٧٨ و ٧٩ من سورة يس.

المعجزة التي تقهر عقولهم، وتسوقهم إلى التسليم، لأن بها يتم إخضاع وجدانهم للغيب الإلهي..

وبما أن هذا القرآن هو معجزة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولم يكن بإمكان كل هؤلاء أن ينالوا معانيه، ولا أن يدركوا حقائقه ودقائقه ومراميه.. لأن فيهم الكبير والصغير، وفيهم الذكي والغبي، وكانوا في أسوأ حالات الأمية والجهل، والبداوة.. فكان لا بد من الرفق بهم، وتيسير الإيمان لهم، وفتح أبواب الهداية أمامهم..

فاحتاج الأمر إلى وسيلة إقناع، يفهمها هذا النوع من الناس ـ الذين لا يمكنهم إدراك حقائق القرآن، والوقوف على مستوى إعجازه التشريعي، أو العلمي، أو البلاغي، أو غير ذلك..

ولم يكن يمكن تأجيل إيمانهم وإسلامهم إلى حين تحقق بعض الإخبارات الغيبية المستقبلية، الأمر الذي قد يمتد إلى سنوات كثيرة، كالإخبار عن غلبة الروم في قوله تعالى: **{غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ}**[1].. ولا.. ولا.. الخ..

ولا بد أن تكون وسيلة الإقناع هذه بحيث يدركها، ويفهمها جميع الناس، بمختلف فئاتهم، وطبقاتهم، وأن تكون في متناول يد أعلم الناس، وأعقلهم، كما هي في متناول يد أكثر الناس سطحية وسذاجة، ولو كان بعمر تسع سنوات للفتاة، وبعمر خمس عشرة سنة للفتى..

وقد اختار الله سبحانه أن تكون هذه الوسيلة هي أن تنزل السورة في

---

(١) الآيتان ٢ و٣ من سورة الروم.

بادئ الأمر بتمامها، فيقرؤها النبي «صلى الله عليه وآله» على الناس، ثم تبدأ الأحداث بالتحقق في متن الواقع، فكلما حدث أمر، ينزل جبرئيل «عليه السلام»، بالآيات التي ترتبط بذلك الحدث، فيرى الناس: أن هذه الآيات هي نفسها التي كانت قد نزلت في ضمن تلك السورة قبل ساعة، أو يوم، أو شهر مثلاً.. فيدرك الذكي والغبي، وكل من يملك أدنى مستوى من العقل، بأن هذا القرآن لا بد أن يكون من عند الله، لأن الله وحده هو الذي يعلم بما يكون في المستقبل. وها هو قد أنزل الآيات المرتبطة بأحداث بعينها قبل أن تحدث..

وهم يعرفون النبي «صلى الله عليه وآله» عن قرب، ويعيشون معه، ويرون أنه مثلهم، ويملك الوسائل التي يملكونها، ويعيش نفس الحياة التي يعيشونها.

وبعدما تقدم نقول:

إننا من أجل توضيح هذه الإجابة، نشير إلى العديد من القضايا ضمن الفقرات التالية:

سورة المائدة نزلت دفعة واحدة:

إن سورة المائدة قد نزلت دفعة واحدة، كما يظهر مما رواه:

١ ـ عبد الله بن عمرو، قال: أنزلت على رسول الله «صلى الله عليه وآله» سورة المائدة، وهو راكب على راحلته، فلم تستطع أن تحمله، فنزل عنها[1]..

---

(١) الدر المنثور ج٢ ص٢٥٢ عن أحمد، ومجمع الزوائد ج٧ ص١٣ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣ وفتح القدير ج٢ ص٣ والبداية والنهاية ج٣ ص٣١ والسيرة =

٢ ـ عن أسماء بنت يزيد، قالت: إني لآخذة بزمام العضباء، ناقة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، إذ نزلت المائدة كلها، فكادت من ثقلها تدق عضد الناقة[١]..

٣ ـ عن أم عمرو بنت عبس، عن عمها: أنه كان في مسير مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فنزلت عليه سورة المائدة، فاندق كتف راحلته العضباء، من ثقل السورة[٢]..

٤ ـ عن محمد بن كعب القرظي، قال: نزلت سورة المائدة على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حجة الوداع، فيما بين مكة والمدينة، وهو على ناقته، فانصدعت كتفها، فنزل عنها رسول الله «صلى الله عليه وآله»[٣]..

٥ ـ عن الربيع بن أنس قال: نزلت سورة المائدة على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في المسير من حجة الوداع، وهو راكب راحلته، فبركت به

= النبوية لابن كثير ج١ ص٤٢٤ وإمتاع الأسماع ج٣ ص٤٩ والسيرة الحلبية ج١ ص٤١٥ وسبل الهدى والرشاد ج٢ ص٢٥٨.

(١) الدر المنثور ج٢ ص٢٥٢ عن أحمد، وعبد بن حميد، وابن جرير، ومحمد بن نصر في الصلاة، والطبراني، وأبي نعيم في الدلائل، والبيهقي في شعب الإيمان، ومجمع الزوائد ج٧ ص١٣ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣ والبداية والنهاية ج٣ ص٣١ والسيرة النبوية لابن كثير ج١ ص٤٢٤ والسيرة الحلبية ج١ ص٤٢٤.

(٢) الدر المنثور ج٢ ص٢٥٢ عن ابن أبي شيبة في مسنده، والبغوي في معجمه، وابن مردويه، والبيهقي في دلائل النبوة، والسيرة الحلبية ج١ ص٤١٥.

(٣) الدر المنثور ج٢ ص٢٥٢ عن أبي عبيد، وتفسير الآلوسي ج٦ ص٤٧.

راحلته من ثقلها[1].

تاريخ نزول سورة المائدة:

وقد اختلفوا في تاريخ نزول سورة المائدة، وقد تقدم وسيأتي أيضاً ما يدل على أنها قد نزلت في حجة الوداع إما في الطريق، أو في يوم عرفة. وهذا هو المعتمد، وقد صرح عدد من النصوص بأنها آخر السور نزولاً.

وهناك قولان آخران:

الأول: ما روي من أن سورة المائدة قد نزلت منصرف رسول الله «صلى الله عليه وآله»، من الحديبية[2].

ولكن الروايات المصرحة بأن سورة المائدة كانت آخر ما نزل تدفع هذا القول، كما أشرنا إليه في موضعه من هذا الكتاب.

الثاني: قال القرطبي: «من هذه السورة ما نزل في حجة الوداع، ومنها ما نزل عام الفتح»[3].

فالجمع بين هذا القول، وبين روايات نزولها دفعة واحدة، هو أن يقال: إنها نزلت مرتين:

إحداهما: دفعة واحدة.

---

(١) الدر المنثور ج٢ ص٢٥٢ عن ابن جرير، وجامع البيان ج٦ ص١١٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج٦ ص٣٠ والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للأندلسي ج٢ ص١٤٣ وتفسير البحر المحيط ج٣ ص٤٢٧.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج٦ ص٣٠، والغدير ج١ ص٢٢٧ وراجع: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢ ص١٤٣ وتفسير البحر المحيط ج٣ ص٤٢٧.

والأخرى: أن آياتها نزلت نجوماً[١].

ضعوا هذه الآية في سورة كذا:

ومن جهة أخرى، فإنهم قالوا: «الإجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي، لا شبهة في ذلك»[٢]..

وقد رووا: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، كان يقول: ضعوا هذه الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا..

وقد روي ذلك عن ابن عباس[٣]..

وعن عثمان بن عفان أيضاً[٤]..

---

(١) الجامع لأحكام القرآن ج٦ ص٦١.

(٢) الإتقان ج١ ص٢٤ و (ط دار الفكر) ج١ ص١٦٧ والغدير ج١ ص٢٢٧ وراجع: تحفة الأحوذي ج٨ ص٣٨٠ و إعجاز القرآن الباقلاني (مقدمة المحقق) ص٦٠ وتاريخ القرآن الكريم لمحمد طاهر الكردي ص٦١.

(٣) راجع: الدر المنثور ج١ ص٧ عن الحاكم وصححه، وعن أبي داود، والبزار، والطبراني، والبيهقي في المعرفة وفي شعب الإيمان والجامع الصحيح للترمذي ج٥ ص٢٧٢ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٤٣ والإتقان ج١ ص٦٢ والبرهان للزركشي (ط دار إحياء الكتب العربية) ج١ ص٢٣٤ و ٢٤١ عن الترمذي والحاكم، والتمهيد ج١ ص٢١٣ وتاريخ القرآن للصغير ص٨١ عن: مدخل إلى القرآن الكريم لدراز ص٣٤، لكن في غرائب القرآن للنيسابوري، بهامش جامع البيان للطبري ج١ ص٢٤ ومناهل العرفان ج١ ص٢٤٠ هكذا: «ضعوا هذه السورة في الموضع الذي يذكر فيه كذا».

(٤) مستدرك الحاكم ج٢ ص٣٣٠ و٢٢١ وتلخيصه للذهبي بهامشه وغريب الحديث =

وفي نص آخر: أنه «صلى الله عليه وآله» شخص ببصره ثم صوبه ثم

= ج٤ ص١٠٤، والبرهان للزركشي ج١ ص٢٣٤ و ٢٣٥ وسنن الترمذي ج٤ ص٣٣٦ وراجع ص٦١ وغرائب القرآن بهامش جامع البيان ج١ ص٢٤ وفتح الباري ج٩ ص١٩ و ٢٠ و ٣٩ و ٣٨، وكنز العمال ج٢ ص٣٦٧ عن أبي عبيد في فضائله، وابن أبي شيبة، وأحمد، وأبي داود، والترمذي، وابن المنذر، وابن أبي داود، وابن الأنباري معاً في المصاحف، والنحاس في ناسخه، وابن حبان، وأبي نعيم في المعرفة، والحاكم وسعيد بن منصور، والنسائي، والبيهقي، وفواتح الرحموت بهامش المستصفى ج٢ ص١٢عن بعض من ذكر، والدر المنثور ج٣ ص٢٠٧ و ٢٠٨ عن بعض من ذكر، وعن أبي الشيخ، وابن مردويه ومشكل الآثار ج٢ ص١٥٢ والبيان ص٢٦٨ عن بعض من تقدم، وإمتاع الأسماع ج٤ ص٢٤١ وتاريخ المدينة لابن شبة ج٣ ص١٠١٥ وفتح القدير ج٢ ص٣٣١ وعن الضياء في المختارة، ومنتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد ج٢ ص٤٨ وراجع: بحوث في تاريخ القرآن وعلومه ص١٠٣ ومناهل العرفان ج١ ص٣٤٧ ومباحث في علوم القرآن ص١٤٢ عن بعض من تقدم، وتاريخ القرآن للصغير ص٩٢ عن أبي شامة في المرشد الوجيز.. وجواهر الأخبار والآثار بهامش البحر الزخار ج٢ ص٢٤٥ عن أبي داود، والترمذي، وسنن أبي داود ج١ ص٢٠٩ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٣٤٤ وتفسير السمرقندي ج٢ ص٣٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج٢ ص٤٢ والإتقان في علوم القرآن ج١ ص١٦٧ وأحكام القرآن للجصاص ج١ ص١٠ ومسند أحمد ج١ ص٥٧ و ٦٩ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص١٠ وأضواء البيان للشنقيطي ج٢ ص١١٢ وجامع البيان ج١ ص٦٩ والجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٦٢ وإمتاع الأسماع ج٤ ص٢٤١ وتهذيب الكمال ج٣٢ ص٢٨٨ وتاريخ القرآن الكريم لمحمد طاهر الكردي ص٦٣.

قال: أتاني جبريل فأمرني أن أضع هذه الآية هذا الموضع من هذه السورة[١].

وفي رواية عن ابن عباس: كان المسلمون لا يعرفون انقضاء السورة حتى تنزل {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}، فإذا نزلت عرفوا أن السورة قد انقضت[٢]..

وروي ذلك عن سعيد بن جبير[٣]، وعن ابن مسعود[٤]..

قال أبو شامة: يحتمل أنه «صلى الله عليه وآله» كان لا يزال يقرأ في السورة إلى أن يأمره جبريل بالتسمية فيعلم أن السورة قد انقضت[٥].

ولكننا لا نجد إلا موارد يسيرة تحدثت عن أن النبي «صلى الله عليه

---

(١) مسند أحمد ج٤ ص٢١٨ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٦٠٥ وكنز العمال ج٢ ص١٦ ومجمع الزوائد ج٧ ص٤٨ وتفسير الآلوسي ج١٤ ص٢٢٠ وفتح القدير ج٣ ص١٨٩ والدر المنثور ج٤ ص١٢٨ والإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج١ ص١٦٨ وتاريخ القرآن الكريم لمحمد طاهر الكردي ص٦٢ و ٦٨.

(٢) الدر المنثور ج١ ص٧ عن الحاكم وصححه، والبيهقي في السنن، وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٣٤.

(٣) راجع الدر المنثور ج١ ص٧ عن أبي عبيد، والتمهيد لابن عبد البر ج٢٠ ص٢١٠ و المستدرك للحاكم ج١ ص٢٣٢ وفتح الباري ج٩ ص٣٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج٢ ص٤٣ ومسائل فقهية للسيد شرف الدين ص٢٣ والإتقان في علوم القرآن ج١ ص٢١١ والبيان في تفسير القرآن للسيد الخوئي ص٤٤٢.

(٤) الدر المنثور ج١ ص٧ عن الواحدي والبيهقي في شعب الإيمان، والإتقان في علوم القرآن ج١ ص٢١١.

(٥) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج١ ص ٢١.

وآله» فعل ذلك في آيات بعينها(١)..

الدوافع والأهداف:

وهذا معناه: أن النبي «صلى الله عليه وآله»، الذي لا ينطق عن الهوى، ولا يفعل شيئاً من تلقاء نفسه قد قدم آية الإكمال على آية التبليغ بأمر من الله تبارك وتعالى، أو أن جبرئيل «عليه السلام» قد كان يأمر بذلك تنفيذاً لأمر الله تعالى، انطلاقاً من مصلحة اقتضت وضع الآية في خصوص ذلك الموضع، وتكون النتيجة هي أن وضع آية الإكمال قبل آية الأمر بالتبليغ قد روعيت فيه المصلحة أيضاً..

لماذا قدم آية الإكمال:

وإذ قد عرفنا: أن هذا التفريق بين آية **{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ}**.. وآية: **{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ}**.. قد جاء وفق سياسة إلهية، ورعاية لمصالح بعينها.

فهل يمكن معرفة شيء عن هذه المصلحة التي اقتضت تقديم إحدى الآيتين في الذكر على الأخرى على عكس ما جرى عليه الحال في الواقع العملي؟!

فقد يقال: لعل المصلحة في هذا التقديم هي حفظ الإمامة، وحفظ إيمان الناس.. وتيسير سبل الهداية لهم..

يضاف إلى ذلك: إرادة حفظ القرآن عن امتداد يد التحريف إليه، فإن

---

(١) راجع: حقائق هامة حول القرآن الكريم ص٧٨.

الإسلام يحتاج إلى صيانة حقائقه ومقدساته، كما كان يحتاج أيضاً إلى جهاد الإمام علي «عليه السلام» وتضحياته..

هذا الجهاد الذي حمل معه الخزي والعار والذل، لأهل الطغيان والجحود، فأورثهم الحقد والضغينة، حتى ظهرت فيهم حسيكة النفاق هذه بأبشع صورها بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولا حاجة إلى البيان أكثر من هذا..

استطراد وتوضيح:

غير أننا نقول:

إن الخيارات التي يمكن أن نتصورها كانت هي التالية:

١ـ أن يباشر الرسول «صلى الله عليه وآله»، بنفسه قتل المعتدين، ويرد بسيفه كيد الطغاة والجبارين، فيقتلهم ويستأصل شأفتهم، ويبيد خضراءهم..

وهذا يعني أن لا تصفو نفوس ذويهم له، وأن لا يتمكن حبه «صلى الله عليه وآله» من قلوبهم، فضلاً عن أن يكون أحب إليهم من كل شيء حتى من أنفسهم!!.. كما يفرضه الإلتزام بالإسلام، والدخول في دائرة الإيمان..

وسوف تتهيأ الفرصة أمام شياطين الإنس والجن لدعوة هؤلاء الموتورين إلى خيانته والكيد له، والتآمر عليه، ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً..

كما أنهم إذا ما اتخذوا ذلك ذريعة للعزوف عن إعلان إسلامهم واستسلامهم.. فإنهم سوف يمنعون الكثيرين ممن له اتصال بهم، من أبناء وأرحام، وأقوام وحلفاء وأصدقاء، من التعاطي بحرية وبعفوية مع أهل الإيمان، ثم حرمانهم وحرمان من يلوذ بهم من الدخول الجدي في المجتمع

الإسلامي، والتفاعل معه، والذوبان فيه.

٢ـ أن يتولى هذا الأمر الآخرون من رجال القبائل المختلفة، فيقاتلون وحدهم الناس لأجل الإسلام، ودفاعاً عن المسلمين، وهذا خيار غير مرضي أيضاً، فإن احتفاظه «صلى الله عليه وآله»، بأهل بيته وذوي قرابته سيكون مثاراً لتساؤلات كثيرة، من شأنها أن تضعف عامل الثقة، وتؤثر سلباً على حقيقة الإعتقاد بالنبوة، ودرجة الإنقياد لها، ومستوى صفاء النية والإستبسال في المواقف الحرجة، حين تفرض الحاجة خوض اللجج، وبذل المهج..

ثم هو يهيء لزيادة حدة التمزق داخل الكيان الإسلامي، الذي لم يزل كثير من الناس فيه يعيش روح الجاهلية، ومفاهيمها. وتتحكم به العصبيات العشائرية والقبلية، ولم يقطع مراحل كبيرة في مسيرة السمو الروحي، وتزكية النفوس، وإخلاصها لله في ما تحجم عنه، أو تقدم عليه..

وقد يؤسس ذلك لحروب، وتعديات، ومآسٍ لا تنتهي، ولأحقاد لا تزول، بل تتضاعف باطراد، حيث ستدفعهم عصبياتهم للانتقام المتبادل.. وستكون النتيجة هي قتل الأبرياء، والتمزق والتشرذم، وضعف أهل الدين، والسقوط في مستنقع الجريمة.. ثم الرذيلة بأبشع الصور، وأكثرها إثارة للإشمئزاز والتقزز..

وقد لاحظنا: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» يصر في حرب صفين ـ مثلاً ـ على أن يقابل كل قبيلة بمثلها، فيقابل تميم الشام بتميم العراق،

وربيعة الشام، بربيعة العراق[1]. وهكذا بالنسبة لسائر القبائل، لا لأجل أنه يتعامل «عليه السلام» بالمنطق القبلي ـ حاشاه ـ بل لأنه يريد:

أولاً: أن لا يمعن الناس في قتل بعضهم البعض، لأن المهم عنده هو وأد الفتنة بأقل قدر من الخسائر..

ثانياً: أن لا يكون هناك حرص من القبائل على إدراك ما تعتبره ثارات لها عند القبائل الأخرى، الأمر الذي سيهيء للمزيد من التمزق والصراع داخل المجتمع الإسلامي..

٣ـ وقد كان الخيار الأقل ضرراً، هو أن يدفع النبي «صلى الله عليه وآله» بأهل بيته الأبرار، ليكونوا هم حماة هذا الدين، والمدافعين عنه، وأن لا يحرم الآخرين من فرصة للجهاد في سبيل الله تعالى.. ضمن الحدود المقبولة والمعقولة. فكان يقدم أهل بيته، وعلى رأسهم الإمام علي «عليه السلام»، ليكونوا هم أنصار دين الله.. وقتلة أعداء الله، ثم ليكونوا هم الشهداء على هذه الأمة، والحافظين لوحدتها، والمحافظين على عزتها وكرامتها.

وإذا ما سعى الناس للانتقام من علي وأهل بيته «عليهم السلام»، وذريته، وتآمروا عليهم، فإنهم «عليهم السلام»، لن يعاملوهم بغير الرفق، لأن همهم ليس هو الإنتقام لأنفسهم، بل حفظ الدين، ونشر أعلامه..

وبذلك يكون «صلى الله عليه وآله»، قد حفظ الناس من الجحود

---

(١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم ص٢٢٩، وراجع: أنساب الأشراف ج٢ ص٣٠٥، والفتوح لابن أعثم ج٣ ص١٤١، وراجع: ج٢ ص٢٩٩، وتاريخ الأمم والملوك ج٤ ص٩ وفيه: أن علياً >عليه السلام< سأل أولاً عن قبائل الشام، فلما أخبروه اتخذ قراره ذاك.

والعناد، وجنبهم مخاطر إبطان الحقد عليه «صلى الله عليه وآله»، أو السعي لتحريف كتاب الله، أو الإعلان بالخروج على الدين وأهله، لأن ذلك ـ لو حصل ـ سوف يزيد من صعوبة نشر هذا الدين، إن لم يكن سبباً في أن يسقط الكيان كله، ولتبطل من ثم جهود الأنبياء، وتُطَلّ دماء الشهداء..

فالأخذ بهذا الخيار إذن يجسد رحمة الله للناس، ورفقه بهم، وتيسير الإيمان لهم، ولذرياتهم، ولمن يلوذ بهم.

ولعله لأجل ذلك لم يذكر اسم الإمام علي «عليه السلام» في القرآن.. حفظاً للقرآن من أن يحرفه من هو أشر وأضر ممن رمى القرآن بالنبل وهو يقول:

تهددني بجبار عنيد فها أنا ذاك جبار عنيد

إذا ما جئت ربك يوم حشر فقل: يا رب مزقني الوليد

نعم، إنه من أجل ذلك وسواه لم يذكر اسم الإمام علي «عليه السلام» في القرآن بصراحة، مع كثرة ذكره للأمور التي صنعها الإمام علي «عليه السلام»، كآية النجوى، وكتصدّقه بالخاتم حين صلاته وغير ذلك.. وأنزل آيات كثيرة فيه، ومنها آية: {**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**}.. وآية الأمر ببلاغ الرسالة.. وتحدث عن إمامته «عليه السلام» كأساس للدين، وركز مفهومها، وأوضح معالمها..

ومما يؤيد حقيقة: أن عدم ذكر اسم الإمام علي «عليه السلام» في القرآن قد جاء وفق سياسة بيانية إلهية.. ما روي بسند صحيح عن الإمام الصادق «عليه السلام»، حيث أوضح صلوات الله وسلامه عليه هذا المعنى.

وأشار إلى أن ذلك يدخل في السياسة القاضية بحفظ القرآن: {**وَإِنَّا لَهُ**

لَحَافِظُونَ}(١).. والرفق بالأمة، واللطف بالناس، وتألفهم، وفسح المجال أمام من يلوذ بهم للتأمل، والتدبر، بعيداً عن الموانع، والعُقَدِ، وغير ذلك، والحديث الصحيح الذي نتحدث عنه، يقول:

قيل للإمام الصادق «عليه السلام»، إن الناس يقولون: فما له لم يسمّ علياً وأهل بيته «عليهم السلام» في كتاب الله عز وجل..

قال: فقال: قولوا لهم: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» نزلت عليه الصلاة، ولم يسم الله لهم ثلاثاً، ولا أربعاً، حتى كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو الذي فسر ذلك لهم، ونزلت عليه الزكاة ولم يسم لهم من كل أربعين درهماً درهم، حتى كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو الذي فسر ذلك لهم..

ونزلت: **{أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ}**(٢).. ونزلت في علي والحسن والحسين «عليهم السلام» ـ فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» في علي «عليه السلام»: من كنت مولاه فعلي مولاه..

وقال «صلى الله عليه وآله»: أوصيكم بكتاب الله، وأهل بيتي، فإني سألت الله عز وجل أن لا يفرق بينهما، حتى يوردهما علي الحوض، فأعطاني ذلك..

وقال: لا تعلّموهم فهم أعلم منكم.

وقال: إنهم لن يخرجوكم من باب هدى، ولن يدخلوكم في باب ضلالة..

---

(١) الآية ١٢ من سورة يوسف.

(٢) الآية ٥٩ من سورة النساء.

فلو سكت رسول الله «صلى الله عليه وآله» فلم يبين مَنْ أهل بيته «عليهم السلام»، لادّعاها آل فلان، وآل فلان. لكن الله عز وجل، أنزله في كتابه تصديقاً لنبيه «صلى الله عليه وآله»: **{إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً}**(1).. فكان علي والحسن والحسين، وفاطمة «عليهم السلام» فأدخلهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» تحت الكساء في بيت أم سلمة الخ(2)..

خلاصة توضيحية:

وخلاصة ما نريد أن نؤكد عليه هنا هو: أن آية الإكمال قد نزلت قبل آية **{بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ}**، سواء في النزول الدفعي لسورة المائدة، حيث تقدم: أن الروايات دلت على أن سورة المائدة، قد نزلت دفعة واحدة في عرفات، وفيها آية أمر الله تعالى نبيه «صلى الله عليه وآله» بنصب علي «عليه السلام» إماماً، وآية إكمال الدين مبينة له أن الدين يكمل بهذه الولاية.

وقد حاول رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يبين للناس ذلك، فمنع، فكان ينتظر توفر الشرائط والظروف لذلك، ومنها: العصمة الإلهية

---

(١) الآية ٣٣سورة الأحزاب.

(٢) هذا الحديث في الكافي ج١ ص٢٨٧ و ٢٨٨ وتفسير الصافي ج١ ص٤٦٢ زج٤ ص١٨٨ وج٦ ص٤٣ عنه، وعن العياشي، وراجع: نور الثقلين ج١ ص٥٠٢ و ج٤ ص٢٧٤ وتفسير فرات ص١١١ وكنز الدقائق ج٣ ص٤٤١ و٤٤٢ و (مؤسسة النشر الإسلامي) ج٢ ص٤٩٧ وشرح أصول الكافي ج٦ ص١٠٩ والبحار ج٣٥ ص٢١١ وجامع أحاديث الشيعة ج١ ص١٨٧.

من كيد الخائنين.

ثم أمره الله في منى في مسجد الخيف، فلم يتمكن منه أيضاً.

حتى نزلت آية بلغ ما أنزل إليك، وفي النزول التدريجي، لتشير له إلى أن الشرائط قد تحققت، والعصمة قد حصلت، فبادر إلى نصب علي «عليه السلام» في يوم الغدير، وتمت الحجة بذلك على الناس جميعاً.

النزول على النبي ' قبل الإبلاغ:

ولبيان أن نزول آية الإكمال قبل آية البلاغ إنما هو في النزول الدفعي، لا في التدريجي، نقول:

هناك آيات دلت أو أشارت إلى نزول القرآن دفعة واحدة، فقد قال تعالى: **{شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ}**(١)..

وقال سبحانه: **{إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ}**(٢)..

هناك الآيات التي تقول: إن القرآن **{فِي لَوْحٍ مَحْفُوظٍ}**(٣)..

{وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ}(٤)..

وقد روى أهل السنة وغيرهم: أن القرآن قد نزل أولاً إلى السماء الدنيا جملة واحدة، ثم صار ينزل نجوماً(٥)..

---

(١) الآية ١٨٥ من سورة البقرة.

(٢) الآية١ من سورة القدر.

(٣) الآية ٢٢ من سورة البروج.

(٤) الآية ٤ سورة الزخرف.

(٥) الإتقان ج١ ص٣٩ و٤٠ و (ط دار الفكر) ج١ ص١١٨ عن الحاكم والبيهقي، =

وحكي الإجماع على ذلك[1]..

وهناك روايات تقول: إن القرآن قد نزل أولاً جملة واحدة إلى البيت المعمور[2]،

= والنسائي، وسعيد بن منصور، وابن أبي حاتم، وابن أبي شيبة، والطبراني، والبزار، والمجموع للنووي ج٦ ص٤٥٦ والدر المنثور ج٦ ص١٦١ وراجع: المغني لابن قدامة ج٣ ص١١٣ ومجمع الزوائد ج٧ ص١٢٠ و ١٤٠ وفتح الباري ج١٣ ص٤١٤ وج٢٧ ص١٥٣ وتفسير الآلوسي ج١٥ ص١٨٨ وفتح القدير ج٥ ص١٦٣ ومسند ابن الجعد ص٣٤٤ والمعجم الأوسط ج٢ ص١٣١ والمعجم الكبير ج١١ ص٢٤٧ وج١٢ ص٣٥ والتبيان للطوسي ج٢ ص١٢١ و ٢٢٤ وتفسير جوامع الجامع للطبرسي ج٣ ص٨١٨ وتفسير مجمع البيان ج٢ ص١٤ وج١٠ ص٤٠٥ وتفسير ابن زمنين ج٤ ص١٩٨ وج٥ ص١٤٩ وتفسير البغوي ج٤ ص١٤٨ والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٥ ص٢٥١ وزاد المسير ج٧ ص١١٢ وفقه القرآن للراوندي ج١ ص١٧٩ ومجمع البحرين للطريحي ج٣ ص٤٦٥.

(١) راجع: الإتقان ج١ ص٤٠ و٤٤.

(٢) راجع: الكافي ج٢ ص٦٢٩ والصافي ج١ ص٦٤ و ٦٥ وج٤ ص٤٠٣ وج٦ ص٤١٥ وتفسير نور الثقلين ج١ ص١٦٦ و ٣١١ وج٤ ص٦٢٠ وج٥ ص٥٥٨ و ٦٢٤ وتفسير كنز الدقائق ج١ ص٤٣٠ وج٢ ص١١ والأمالي للصدوق ص١١٩ وفضائل الأشهر الثلاثة للصدوق ص٨٧ والبحار ج٩ ص٢٣٧ وج٩٤ ص١١ و ١٢ و ٢٥ والحدائق الناضرة ج١٣ ص٤٤٩ والوسائل (ط دار الإسلامية) ج٧ ص٢٢٩ وجامع أحاديث الشيعة ج٩ ص٥١ و ٥٢ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص٤٥٤ و ٤٨٥ وتفسير العياشي ج١ ص٨٠ و تفسير القمي ج١ ص٦٦ وج٢ ص٢٩٠ والتفسير الأصفى ج١ ص٨٨ وينابيع المودة ج٣ ص٢٥٠ وجامع البيان ج٢ ص١٩٧ والدر المنثور ج١ ص١٨٩ وفتح القدير ج١ ص١٨٤.

الذي هو في السماء الرابعة[1].

ولم ير الشيخ المفيد أنه يمكن الإطمينان إلى صحة هذه الروايات[2]..

وبعض الروايات تحدثت عن نزول القرآن إلى السماء الدنيا[3].

---

(١) علل الشرائع ج٢ ص٤٠٧ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٣ ص٣٣٢ و (ط دار الإسلامية) ج٩ ص٤١٤ والبحار ج٥ ص٣٣٠ وج١١ ص١١١ وج١٧ ص٨٩ وج٥٥ ص٥٥ و ٥٦ و ٥٧ عن محاسبة النفس لابن طاووس، وتفسير القمي ج٢ ص٣٣١ وسفينة البحار ج٢ ص٢٧٧ والمناقب لابن شهرآشوب ج٣ ص٢٩٩ والمحتضر ص٤٣.

(٢) راجع كلامه في تصحيح الاعتقاد ص٥٨.

(٣) راجع: المجموع ج٦ ص٤٥٦ والمغني لابن قدامة ج٣ ص١١٣ وشرح أصول الكافي ج٥ ص٣٥٠ وأمالي السيد المرتضى ج٤ ص١٦١ وإقبال الأعمال لابن طاووس ج١ ص٢٣٠ و ٢٣١ والبحار ج٩٥ ص٤ والمستدرك للحاكم ج٢ ص٢٢٢ و ٢٢٣ و ٣٦٨ و ٤٧٧ و ٥٣٠ ومجمع الزوائد ج٧ ص١٢٠ و ١٤٠ وفتح الباري ج١ ص٣٠ وج٩ ص٣ وج١٣ ص٤١٤ وعمدة القاري ج١ ص٥٥ وج١١ ص١٢٩ وج١٩ ص٣٠٨ والمصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص١٩١ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص٦ وج٦ ص٤٢١ و ٤٨٠ والمعجم الأوسط ج٢ ص١٣١ والمعجم الكبير ج١١ ص٢٤٧ وج١٢ ص٢٦ و ٣٥ والتمهيد لابن عبد البر ج٦ ص١٩١ وج١٧ ص٥١ والتبيان ج٢ ص١٢١ وج٩ ص٢٢٤ والحاشية على الكشاف للجرجاني ص٣ وتفسير جوامع الجامع ج١ ص١٨٤ وج٣ ص٣٢٠ و ٨١٨ ومجمع البيان ج٢ ص١٤ وج١٠ ص٢٦٨ و ٤٠٥ وفقه القرآن للراوندي ج١ ص١٧٩ وتفسير الميزان ج٢ ص٢٩ وج١٢ ص١٢٧ وج١٩ ص١٤١.

وقالوا أيضاً: إن القرآن قد نزل أولاً دفعة واحدة على قلب رسول الله «صلى الله عليه وآله» لكنه لم يؤمر بتبليغه، وربما يستأنس لهذا القول ببعض الشواهد[1].

وهذه الروايات والأقوال.. قد يكون جلها، أو كلها صحيحاً، إذا اعتبرنا: أن جلال وعظمة القرآن اقتضت مراتب من النزول له، فنزل إلى اللوح المحفوظ، ثم إلى البيت المعمور، ثم إلى السماء الدنيا..

ثم يأتي النزول التبليغي للناس، فينزله الله في شهر رمضان، على قلب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ثم ينزل سورة سورة، ليقرأها النبي «صلى الله عليه وآله» على الناس، ثم تنزل الآيات متفرقة، كلما حدث أمر يكون لتلك الآيات نوع ارتباط به..

متى كانت النبوة:

وإذا كانت نبوة النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» لم تبدأ حين كان «صلى الله عليه وآله» في سن الأربعين، بل هو نبي منذ صغره كما أيده المجلسي بوجوه كثيرة[2].

أو أنه كان نبياً وآدم بين الروح والجسد[3]..

---

(١) راجع: تفسير الميزان ج٢ ص١٨ وتفسير الصافي المقدمة التاسعة، وتاريخ القرآن للزنجاني ص١٠.

(٢) البحار ج١٨ من ص٢٧٧ إلى ص٢٨١.

(٣) راجع: الإحتجاج ج٢ ص٢٤٨ والفضائل لابن شاذان ص٣٤ والبحار ج١٥ ص٣٥٣ وج٥٠ ص٨٢ والغدير ج٧ ص٣٨ وج٩ ص٢٨٧ ومسند أحمد ج٤=

وأنه كان من المرسلين قبل خلق الخلق بألفي عام[1].

= ص٦٦ وج٥ ص٥٩ و ٣٧٩ وسنن الترمذي ج٥ ص٢٤٥ ومستدرك الحاكم ج٢ ص٦٠٩ ومجمع الزوائد ج٨ ص٢٢٣ وتحفة الأحوذي ج٧ ص١١١ وج١٠ ص٥٦ والمصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٤٣٨ والآحاد والمثاني ج٥ ص٣٤٧ وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص١٧٩ والمعجم الأوسط ج٤ ص٢٧٢ والمعجم الكبير ج١٢ ص٧٣ وج٢٠ ص٣٥٣ والجامع الصغير ج٢ ص٢٩٦ وكنز العمال ج١١ ص٤٠٩ و ٤٥٠ وتذكرة الموضوعات للفتني ص٨٦ وكشف الخفاء ج٢ ص١٢٩ وخلاصة عبقات الأنوار ج٩ ص٢٦٤ عن ابن سعد، ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٣٩٢ و ٥٢٢ عن كتاب النكاح، وعن فيض القدير ج٥ ص٦٩ وعن الدر المنثور ج٥ ص١٨٤ وفتح القدير ج٤ ص٢٦٧ والطبقات الكبرى ج١ ص١٤٨ وج٧ ص٥٩ والتاريخ الكبير للبخاري ج٧ ص٢٧٤ وضعفاء العقيلي ج٤ ص٣٠٠ والكامل لابن عدي ج٤ ص١٦٩ وج٧ ص٣٧ وعن أسد الغابة ج٣ ص١٣٢ وج٤ ص٤٢٦ وج٥ ص٣٧٧ وتهذيب الكمال ج١٤ ص٣٦٠ وسير أعلام النبلاء ج٧ ص٣٨٤ وج١١ ص١١٠ وج١٣ ص٤٥١ ومن له رواية في مسند أحمد ص٤٢٨ وتهذيب التهذيب ج٥ ص١٤٨ وعن الإصابة ج٦ ص١٨١ والمنتخب من ذيل المذيل ص٦٦ وتاريخ جرجان ص٣٩٢ وذكر أخبار إصبهان ج٢ ص٢٢٦ وعن البداية والنهاية ج٢ ص٢٧٥ و ٢٧٦ و ٣٩٢ وعن الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج١ ص١٦٦ وعن عيون الأثر ج١ ص١١٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج١ ص٢٨٨ و ٢٨٩ و ٣١٧ و ٣١٨ ودفع الشبه عن الرسول ص١٢٠ وسبل الهدى والرشاد ج١ ص٧٩ و ٨١ و ٨٣ وج٢ ص٢٣٩ وعن ينابيع المودة ج١ ص٤٥ وج٢ ص٩٩ و ٢٦١.

(١) الدر المنثور ج٥ ص٢٥٨ عن ابن مردويه.

وكان الله سبحانه قد خلقه قبل الخلق بألف دهر، وأشهده خلق كل شيء، كما في بعض الروايات(١)..

ثم جعله نوراً محدقاً بالعرش ـ عرش القدرة ـ ليطلع على المزيد من جلال وعظمة وقدرة وملك الله سبحانه، وذلك تكريماً منه تعالى له، وتجلةً وشرفاً استحقه «صلى الله عليه وآله»، وكان له أهلاً(٢).

ومن خلال هذا الإشراف، وذلك المقام، فإنه «صلى الله عليه وآله» يكون قد نال من المعارف الإلهية ما يليق بمقام النبوة الخاتمة، التي هي أعظم مقام..

---

(١) راجع الكافي ج١ ص٤٤١ والبحار ج١٥ ص١٩ وج٢٥ ص٣٤٠ وج٥٤ ص١٢ و ٦٦ و ١٩٥ ومستدرك سفينة البحار ج٦ ص١٠٣ وج٨ ص٣٢٧ والتفسير الصافي ج٣ ص٢٤٧ والمحتضر ص٢٨٥ وحلية الأبرار ج١ ص١٨. وشرح أصول الكافي ج٧ ص١٤٧ وراجع كتاب: براءة آدم ص٤١ ـ ٤٥ وكتاب مختصر مفيد ج٨ ص٢٣ ـ ٢٦ ففيهما أحاديث أخرى..

(٢) راجع: البحار ج١٥ ص١١ و ١٤ و ٢٣ و٢٤ وج٢٢ ص١٤٨ وج٢٥ ص٤ و ١٥ ص٢٤ وج٣٨ ص٨٠ وج٥١ ص١٤٤ عن إكمال الدين ص١٦٢ و١٦٣ و (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ص٣٣٥ وعن رياض الجنان (مخطوط) وراجع: الصراط المستقيم ج٢ ص١٣٤ وإعلام الورى ج٢ ص١٩٧ وراجع: معاني الأخبار ص٣٥١ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص١٦٩ ج٣ ص١٦٤ وج٦ ص٤٨٢ وينابيع المودة ج١ ص٤٢٢ ومنتخب الأنوار المضيئة للسيد بهاء الدين النجفي ص٣٤٥ ومشارق أنوار اليقين للبرسي ص٥٩ وعلل الشرائع ج١ ص١٦١ و ١٧٤ و كتاب سليم بن قيس (بتحقيق الأنصاري) ص٣٧٧ ومختصر بصائر الدرجات ص١٧٦ وكتاب الغيبة للنعماني ص٩١ والروضة في فضائل أمير المؤمنين ص١١٢ والمحتضر ص١٢٨ والتفسير الصافي ج١ ص٢٧.

ومن خلال نبوته الخاتمة هذه، فإن الله سبحانه يطلعه على غيبه، ويكشف اللوح المحفوظ له «صلى الله عليه وآله»، ويكون بذلك قد علم بالقرآن قبل إنزاله إليه للتبليغ على يد جبرئيل «عليه السلام»..

ولعل هذا يفسر لنا حقيقة أنه «صلى الله عليه وآله» حين كان ينزل عليه القرآن في المرة التالية، كان يسبق جبرئيل «عليه السلام» بالقراءة، ليشير لنا إلى معرفته به، فقد قال الله تعالى له: **{وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ}**(١)..

وقال: **{لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ}**(٢)..

أي أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يعرف القرآن قبل هذا النزول، إما باطلاعه على اللوح المحفوظ، أو بإيداع القرآن في قلبه سابقاً بواسطة جبرئيل «عليه السلام»، أو بواسطة الوحي الإلهامي..

فأراد الله سبحانه أن يعرف الناس بأن هذا النزول ليس هو النزول الأول، بل هو نزول اقتضته مصالح العباد في هدايتهم وإرشادهم، وفي تربيتهم بالصورة المناسبة لحالهم..

النزول لأجل هداية الناس:

وحين يريد الله سبحانه أن يوصل القرآن إلى الناس، فإنه يستفاد من الروايات: أن ذلك كان يتم عبر إنزاله مرتين، فيكون له نزولان بالنسبة إليهم..

---

(١) الآية ١١٤ من سورة طه.

(٢) الآيات ١٦ ـ ١٨ من سورة القيامة.

وهما نزول السورة بتمامها مرة واحدة أو أكثر.. والنزول التدريجي لها مرة ثانية. وسنورد بعض الشواهد لكلا هذين القسمين فيما يلي من صفحات، فنقول:

نزول السورة بتمامها:

فقد ورد في الروايات: أن سورة المائدة، والأنعام، ويونس، والتوبة، والكهف، وبضعاً وثمانين آية من أول سورة آل عمران، وجميع سور المفصل.. بل أكثر سور القرآن، ربما باستثناء سورتين أو ثلاث ـ كالبقرة وآل عمران ـ إن جميع ذلك قد نزل سورة سورة..

وقد قال تعالى في أول سورة النور: **{سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا}**.. مع أن الأحداث التي ذُكِرَتْ سبباً لنزول آياتها مختلفة ومتفرقة..

وقال تعالى أيضاً: **{وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَاناً}**[1].. فإنهم كانوا يقولون ذلك بمجرد فراغه «صلى الله عليه وآله»، من تلاوة القرآن عليهم، ولم يكن القائلون ينتظرون الأيام والليالي، حتى إذا اكتمل نزول السورة التدريجي قالوا ذلك..

بل إنه حتى حين كانت تنزل آيات السورتين أو الثلاث تدريجاً، فإن المقصود هو أن تنزل بتمامها ضمن مدة شهر مثلاً.. ثم تبدأ سورة أخرى بالنزول..

وليس المقصود أن ينزل بعض السورة، ثم ينزل بعض من غيرها، ثم

---

(١) الآية ١٢٤ من سورة التوبة.

ينزل ما يكمل السورة الأولى مثلاً.. فإن هذا مما دلت النصوص على خلافه، خصوصاً تلك التي تقول: إنهم كانوا يعرفون انتهاء السورة وابتداء غيرها بنزول: {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}..

لو كان لا بد من الانتظار:

نضيف إلى ما تقدم: أن السورة القرآنية كانت تؤخذ من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويكتبها الناس في مصاحفهم، ويحفظونها، ويقرؤونها في صلواتهم.. وكان النبي «صلى الله عليه وآله» يرشدهم إلى مواضع استحباب قراءتها.. وإلى كيفية القراءة، وأوقاتها، وحالاتها ومواردها..

وكانت السور تعرف بأسمائها في عهده «صلى الله عليه وآله»، ويسافر بها أهل القبائل إلى منتجعاتهم، وأهل البلاد والقرى إلى بلادهم وقراهم..

ولم يكونوا ينتظرون زيادة شيء فيها، ولا كانوا يسألون عن هذه الزيادة، كما أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يرسل إليهم طالباً منهم إضافة شيء إلى أية سورة كانوا قد حملوها عنه، وأخذوها منه..

ولو أن الباب كان قد بقي مفتوحاً على التبديل والتعديل، لكان علينا أن نشهد وأن نقرأ في التاريخ الكثير من موارد السؤال عن الزيادة أو الإخبار عنها، وبها لهذا الصحابي، ولذاك إلى حين وفاته «صلى الله عليه وآله»..

نزول السورة مرتين:

وكانت بعض السور التي تنزل دفعة واحدة كما قلنا، تنزل نفسها مرة أخرى دفعة واحدة أيضاً.. كما هو الحال في سورة الإخلاص، التي نزلت في

مكة مرة، وفي المدينة أخرى، وكذلك سورة الفاتحة.. فقد نزلت مرة بمكة حين فرضت الصلاة، ومرة بالمدينة لما حولت القبلة[1]..

نزول الآية أيضاً مرتين:

وكما كانت السورة تنزل أكثر من مرة، كانت الآية تنزل أكثر من مرة أيضاً.. وقد رووا ذلك في العديد من الموارد، مثل خواتيم سورة النحل، وأول سورة الروم، وآية الروح، وقوله تعالى: **{وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ}**[2].. فإن سورتي الإسراء وهود مكيتان، وسبب نزولهما يدل على أنهما نزلتا في المدينة..

قال الزركشي: ولهذا أشكل ذلك على بعضهم، ولا إشكال، لأنها نزلت مرة بعد مرة[3]..

وقد صرحوا: بأن مما يدخل في هذا السياق: أنه قد تنزل الآية لأجل سبب بعينه، ثم يتجدد سبب آخر، فيقتضي نزولها مرة أخرى..

---

(١) راجع: الإتقان ج١ ص٣٥، والدر المنثور ج١ في تفسير سورة الفاتحة وج٦ في تفسير سورة الإخلاص، فإنه قد روى ذلك عن مصادر كثيرة. وراجع أيضاً: شرح أصول الكافي لملا صالح المازندراني ج١ ص٤٦٣ وفتح الباري ج٨ ص١٢١ وتحفة الأحوذي ج٨ ص٢٢٨ ومجمع البيان ج١ ص٤٧ والبيان للسيد الخوئي ص٤١٨.

(٢) الآية ١١٤ من سورة هود.

(٣) البرهان للزركشي ج١ ص٢٩ والإتقان ج١ ص٣٥ و (ط دار الفكر) ج١ ص ١٠٤ وخلاصة عبقات الأنوار ج٨ ص٣٩٤.

وقد مثلوا لذلك:

١ ـ بقوله تعالى: **{فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ}**(١).. فقد زعموا ـ كذباً وزوراً ـ: أنها نزلت في النبي «صلى الله عليه وآله» حينما غضب لتمثيل المشركين بعمه حمزة، فتوعدهم بالتمثيل بسبعين (أو بثلاثين) منهم(٢).

ولعل الصحيح هو ما روي عن الإمام الحسن «عليه السلام» من أنه «صلى الله عليه وآله» قال: لأقتلن سبعين رجلاً، قال «عليه السلام»: إنما أحب الله جل اسمه أن يجعل ذلك سنة في المسلمين، فإنه لو قتل بكل شعرة من عمه حمزة سبعين رجلاً من المشركين، ما كان في قتله حرج(٣).

وإذا أردنا أن نحسن الظن ههنا، فإننا نقول: لعل من قرأها قد قرأها على سبيل التصحيف «لأمثلنّ» لتقارب الرسم بين الكلمتين، وهذا كلام

---

(١) الآية ١٢٦ من سورة النحل.

(٢) الإتقان ج١ ص٣٣ و (ط دار الفكر) ج١ ص٩٨ والمعجم الكبير ج١١ ص٥٢ وتخريج الأحاديث والآثار ج٢ ص٢٥٠ ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص١٣٥ و (ط دار الكتب العلمية) ص١٢١ والدر المنثور ج٤ ص١٣٥ وأسباب نزول الآيات للواحدي النيسابوري ص١٩٢ وإمتاع الأسماع ج١ ص١٦٨ والوافي بالوفيات ج١٣ ص١٠٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٢٠٨ وزاد المسير ج٤ ص٣٧٠ وسير أعلام النبلاء ج١ ص١٨٠ وأسد الغابة ج٢ ص٤٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص١٤ وراجع: تفسير مقاتل بن سليمان ج٢ ص٢٤٤ وتفسير السمرقندي ج٢ ص٢٩٦ والكامل في التاريخ ج٢ ص١٦١ وراجع: تفسير العياشي ج٢ ص٢٧٥ وتفسير القمي ج١ ص١٢٣.

(٣) البحار ج٧٨ ص٣٩٥ ومستدرك الوسائل ج٢ ص٢٥٧ وجامع أحاديث الشيعة ج٣ ص٣٠٩ وراجع: تفسير نور الثقلين ج٣ ص٩٦ والهداية الكبرى للخصيبي ص٣٤٦.

صحيح في نفسه، وليس فيه إشكال. وإن كان ذلك بعيداً، فإن الظاهر: أنهم في أكثر الموارد قد تناقلوها على سبيل الرواية، لا قراءة من كتاب.

ونزلت أيضاً في الأنصار في حرب أحد، لنفس السبب(١).

٢ ـ مثلوا له أيضاً بقوله تعالى: **{مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ}**(٢).

فزعموا ـ كذباً وزوراً ـ: أنها نزلت في استغفار النبي «صلى الله عليه وآله» لأبي طالب «عليه السلام»(٣).

---

(١) الإتقان ج١ ص٣٣ والسنن الكبرى للنسائي ج٦ ص٣٧٦ ومسند أحمد ج٥ ص١٣٥ وسنن الترمذي ج٤ ص٣٦٢ والمستدرك للحاكم ج٢ ص٣٥٩ وج٢ ص٤٤٦ وفتح الباري ج٧ ص٢٨٦ والمعجم الكبير ج٣ ص١٤٤ وصحيح ابن حبان ج٢ ص٢٣٩ وموارد الظمآن ج٥ ص٣١٤ وكنز العمال ج٢ ص٤٥١ والدر المنثور ج٤ ص١٣٥ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٢٢٣ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٢١٠ وفتح القدير ج٣ ص٢٠٥.

(٢) الآية ١١٣ من سورة التوبة.

(٣) مسند أحمد ج٥ ص٤٣٣ وصحيح البخاري ج٢ ص٩٨ وج٥ ص٢٠٨ وج٦ ص١٨ وصحيح مسلم ج١ ص٤٠ وسنن النسائي ج٤ ص٩١ والمستدرك للحاكم ج٢ ص٣٣٦ وفتح الباري ج٨ ص٢٥٦ وعمدة القاري ج٨ ص١٨٠ وج١٨ ص٢٧٦ وج١٩ ص١٠٥ وتحفة الأحوذي ج٨ ص٣٩٤ و ٤٠١ والسنن الكبرى ج١ ص٦٥٥ وج٦ ص٣٥٩ و ٤٢٥ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج١ ص٣٩ وصحيح ابن حبان ج٣ ص٢٦٢ والمحلى لابن حزم ج١١ ص٢١٠ وتفسير القرآن للصنعاني ج٢ ص٢٨٩ وتخريج الأحاديث والآثار ج٢ ص١٠٥ وجامع البيان ج١١ ص٥٧ وج٢٠ ص١١٣ وأسباب نزول الآيات =

وزعموا ـ كذباً وزوراً أيضاً ـ: أنها نزلت في والدة رسول الله «صلى الله عليه وآله»[١].

وزعموا كذلك: أنها نزلت في رجل استغفر لأبويه، كما رواه الترمذي[٢]..

= للواحدي النيسابوري ص٢٢٨ وتفسير البغوي ج٢ ص٣٣١ وأحكام القرآن لابن العربي ج٢ ص٥٩١ وزاد المسير ج٣ ص٣٤٥ والجامع لأحكام القرآن ج٨ ص٢٧٢ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٤٠٧ وج٣ ص٤٠٦ ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص١٢٦ و (ط دار الكتب العلمية) ص١١٣ وفتح القدير ج٢ ص٤١١ وتفسير الآلوسي ج١١ ص٣٣ وتاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص٤٢٢ وج٤١ ص٢٣١ وج٥٨ ص١٨١ و ١٨٢ و ١٨٣ وج٦٦ ص٣٣٢ والإصابة (ط دار الكتب العلمية) ج٧ ص١٩٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج١ ص٢٣٠ والبداية والنهاية ج٣ ص١٥٣ وعيون الأثر ج١ ص١٧٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص١٢٦.

(١) فتح الباري ج٨ ص٣٩٠ وجامع البيان ج١١ ص٥٨ وتفسير الثعلبي ج٥ ص١٠٠ ومعاني القرآن للنحاس ج٣ ص٢٦٠ وتفسير البغوي ج٢ ص٣٣١ ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص١٢٧ و (ط دار الكتب العلمية) ص١١٤ وتفسير أبي السعود ج٤ ص١٠٧.

(٢) مسند أحمد ج١ ص٩٩ و ١٣٠ وسنن الترمذي ج٤ ص٣٤٤ وتخريج الأحاديث والآثار ج٢ ص١٠٦وعمدة القاري ج٨ ص١٨٢ وكنز العمال ج٢ ص٤٢١ وتفسير ابن أبي حاتم ج٦ ص١٨٩٣ وتفسير السمرقندي ج٢ ص٩٠ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص٤٠٧ والإتقان في علوم القرآن ج١ ص٩٨ والدر المنثور ج٣ ص٢٨٢ ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص١٢٦ و (ط دار الكتب العلمية) ص١١٣ وفتح القدير ج٢ ص٤١١.

غير أن ما يهمنا هنا هو تصريحهم بأن الآية والسورة قد تنزل أكثر من مرة لأسباب مختلفة..

٣ ـ قالوا: إن آية {بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} قد نزلت مرتين أيضاً: مرة في مكة، ومرة في المدينة(١)..

٤ ـ قالوا: إن سورة الفاتحة نزلت مرتين أيضاً: مرة في مكة، ومرة في المدينة(٢)..

٥ ـ احتمل سبط ابن الجوزي، وغيره: أن آية: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ}.. قد نزلت مرتين: في عرفة، وفي غدير خم(٣)..

٦ ـ قالوا: إن آية: {تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ} قد نزلت مرتين، كما نقله الحافظ ابن حجر(٤).

---

(١) راجع: تذكرة الخواص ص٣٠.

(٢) راجع: عمدة القاري ج١٩ ص١١ وتفسير مجمع البيان للطبرسي ج١ ص٤٧ وج٦ ص١٢٩ وشرح أصول الكافي ج١٠ ص٤٦٣ وتحفة الأحوذي ج٨ ص٢٢٨ وتفسير البغوي ج١ ص٣٧ وتفسير السمعاني ج١ ص٣١ وتفسير البغوي ج٣ ص٥٧ وزاد المسير ج٤ ص٣٠٣ والتفسير الكبير ج١٩ ص٢٠٧ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٩ والإتقان في علوم القرآن ج١ ص٤١ و ١٥٠ والبرهان للزركشي ج١ ص٢٩ وفتح القدير ج١ ص١٥ وتفسير الآلوسي ج١ ص٣٨ وج١٤ ص٧٩ .

(٣) تذكرة الخواص ص٣٠ وشرح أصول الكافي لملا صالح المازندراني ج١١ ص٢٧٨ وخلاصة عبقات الأنوار ج٨ ص٣٠١.

(٤) تفسير الميزان ج٣ ص٢٦٧ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٣٧٩.

٧ ـ قالوا: إن آية: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً} قد نزلت مرتين(١).

٨ ـ قالوا: إن آية: {الم غُلِبَتِ الرُّومُ} قد نزلت مرتين(٢).

٩ ـ قالوا: إن آية: {..تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيرُ الرَّازِقِينَ} قد نزلت مرتين(٣).

١٠ ـ قالوا أيضاً: إن آية اللعان قد تكون نزلت مرتين(٤)..

١١ ـ وقالوا أيضاً عن آية الجزية: إنها يحتمل أن تكون قد نزلت مرتين(٥).

١٢ ـ وقالوا ذلك أيضاً عن خواتيم سورة النحل(٦).

١٣ ـ وقالوا: إن سورة الحجر نزلت مرتين(٧).

١٤ـ وقالوا: إن سورة الأنعام نزلت مرتين أيضاً(٨).

١٥ـ وقالوا: إن سورة الكوثر نزلت مرتين(٩).

---

(١) تفسير الآلوسي ج١٥ ص١٥٣ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص٣٧٩.

(٢) تفسير الآلوسي ج٢١ ص١٩.

(٣) جامع البيان للطبري ج٧ ص١٧٧.

(٤) لباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص١٥ و (ط دار الكتب العلمية) ص٥.

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ج١ ص٣٧٩.

(٦) تفسير القرآن العظيم ج١ ص٣٧٩.

(٧) راجع: فتح الباري ج٨ ص١٢١.

(٨) راجع: تفسير الآلوسي ج٧ ص٧٦.

(٩) راجع: تفسير الآلوسي ج٣٠ ص٢٤٤.

١٦ـ وقالوا: إن سورة المرسلات نزلت مرتين أيضاً[١].

النزول التدريجي للآيات:

وقد ذكر الله سبحانه نزول آيات القرآن بصورة تدريجية في قوله تعالى: {**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلاَ نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً**}[٢].

وقال تعالى: {**وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً**}[٣].

فإنه وإن كان نزول القرآن سورة سورة يكفي في صحة القول بأنه «صلى الله عليه وآله» كان يقرؤه على مكث، وبأن الله تعالى قد فرقه، وبأنه لم ينزل جملة واحدة..

ولكن الظاهر من الروايات المتواترة أن آياته كانت تنزل أيضاً متفرقة، وفق ما يستجد من أحداث..

وذلك بعد أن تنزل السورة بكاملها أولاً.

ونذكر من الشواهد على ذلك، ما يلي:

شواهد وأدلة:

ألف: إن سورة الأنعام قد نزلت جملة واحدة بمكة، وقد شيعها سبعون

---

(١) راجع: الفتوحات المكية لابن العربي ج٢ ص٥٠٧.

(٢) الآية ٣٢ من سورة الفرقان.

(٣) الآية ١٠٦ من سورة الإسراء.

ألف ملك(١)..

والروايات تقول أيضاً: إن آيات هذه السورة قد نزلت في مناسبات مختلفة، ونذكر من ذلك على سبيل المثال ما يلي:

١ ـ عن ابن إسحاق، قال: مر رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيما بلغني بالوليد بن المغيرة، وأمية بن خلف، وأبي جهل بن هشام، فهمزوه واستهزؤوا به، فغاظه ذلك، فأنزل الله: **{وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ**

---

(١) راجع: الكافي ج٢ ص٦٢٢ وثواب الأعمال الصدوق ص١٠٥ و شرح أصول الكافي ج١١ ص٦٣ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج٦ ص٢٣٠ و (ط دار الإسلامية) ج٤ ص٨٧٣ والمصباح للكفعمي ص٤٤١ والبحار ج٨٩ ص٢٧٤ و ٢٧٥ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص٤٧١ والتفسير الأصفى ج١ ص٣٥٧ وتفسير العياشي ج١ ص٣٥٤ و ٣٨٣ وتفسير مجمع البيان للطبرسي ج٤ ص٦ و ٣٠٦ و تفسير نور الثقلين ج١ ص٦٩٦ و ٧٧٨ وج٣ ص٢٤١ والتفسير الصافي ج٢ ص١٧٨ وجامع أحاديث الشيعة ج١٥ ص٩٤ والبرهان للزركشي ج١ ص١٩٩ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج١ ص٤١٩ والدر المنثور ج٣ ص٢ و٣ و٤ والتفسير الكبير للرازي ج١٢ ص١٤١ والإتقان ج١ ص٣٧ و (ط دار الفكر) ج١ ص١١١ عن ابن الضريس، وأبي عبيدة وابن المنذر، والطبراني، وابن مردويه، والحاكم، وأبي الشيخ، والبيهقي في شعب الإيمان، والسلفي في الطيوريات، والإسماعيلي في معجمه، والخطيب في تاريخه، وعبد الرزاق، والفريابي، وعبد بن حميد، وغيرهم، عن ابن عباس، وابن مسعود، وأسماء بنت يزيد الأنصارية، وابن عمر، وأنس، وجابر، وعن الإمام علي «عليه السلام»، وعن أبي بن كعب، ومجاهد، ومحمد بن المكندر، وعطاء، وغيرهم.

فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ}[(١)]»[(٢)]..

٢ ـ عن ابن إسحاق، قال: لما دعا الرسول «صلى الله عليه وآله» قومه للإسلام، قال له زمعة بن الأسود، والنضر بن الحارث، وعبدة بن عبد يغوث، وأبي بن خلف، والعاص بن وائل: لو جعل معك يا محمد ملك يحدث عنك الناس، ويُرى معك. فأنزل الله في ذلك من قولهم: **{وَقَالُوا لَوْلاَ أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ}**[(٣)]»[(٤)]..

٣ ـ عن الإمام علي «عليه السلام» قال: قال أبو جهل للنبي «صلى الله عليه وآله»: إنا لا نكذبك، ولكن نكذب بما جئت به، فأنزل الله: **{فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ}**[(٥)]»[(٦)]..

---

(١) الآية ٤١ من سورة الأنبياء.

(٢) الدر المنثور ج٣ ص٥ عن ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وفتح القدير ج٢ ص١٠٢ والبداية والنهاية ج٣ ص١٣٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج١ ص٢٦٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص٨٥.

(٣) الآية ٨ من سورة الأنعام.

(٤) الدر المنثور ج٣ ص٥ عن ابن المنذر وابن أبي حاتم، وتفسير ابن أبي حاتم ج٤ ص١٢٦٥ وفتح القدير ج٢ ص١٠٢ وتفسير الآلوسي ج٧ ص٩٦ والسيرة النبوية لابن هشام ج١ ص٢٦٦.

(٥) الآية ٣٣ من سورة الأنعام.

(٦) الدر المنثور ج٣ ص٩ و١٠ عن الترمذي، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، والحاكم وصححه، والضياء في المختارة وابن مردويه. وعن أبي ميسرة كما رواه عبد بن حميد، وابن المنذر وابن مردويه، وسنن الترمذي ج٤ ص٣٢٦ والمستدرك للحاكم ج٢ ص٣١٥ ومعاني القرآن للنحاس ج٢ ص٤١٧ و ٤١٨ وتفسير =

وعن أبي صالح قال: كان المشركون إذا رأوا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، قال بعضهم لبعض، فيما بينهم: إنه لنبي، فنزلت هذه الآية: **{قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ}**[1]»[2]..

٤ ـ عن ابن مسعود، قال: مر الملأ من قريش على النبي «صلى الله عليه

= الثعلبي ج٤ ص١٤٥ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص١٣٤ وتفسير البيضاوي ج٢ ص٤٠٤ ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص١٠٠ و (ط دار الكتب العلمية) ص٨٨ والجامع لأحكام القرآن ج٦ ص٤١٦ وزاد المسير ج٣ ص٢١ وتفسير النسفي ج١ ص٣٢٠ وتفسير البغوي ج٢ ص٩٤ وأسباب نزول الآيات للواحدي النيسابوري ص١٤٥ وكنز العمال ج٢ ص٤٠٩ وتفسير ابن أبي حاتم ج٤ ص١٢٨٢ وعلل الدارقطني ج٤ ص١٤٣ و ١٤٤ والشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ج١ ص٣٠ و ١٣٤ وتفسير الآلوسي ج٧ ص١٣٦ وفتح القدير ج٢ ص١١٣ وتفسير أبي السعود ج٣ ص١٢٧ وجامع البيان ج٧ ص٢٤٠ وراجع: تفسير مجمع البيان للطبرسي ج٤ ص٤٣.

(١) الآية ٣٣ من سورة الأنعام.

(٢) الدر المنثور ج٣ ص١٠ عن أبي الشيخ، وراجع: البحار ج٩ ص٢٠٢ وج١٨ ص١٥٧ و ١٨٣ وج٦٨ ص٦٠ و ٨٧ وبشارة المصطفى للطبري ص٣٠٤ وتفسير السمرقندي ج١ ص٤٦٥ والكافي ج٢ ص٨٨ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج١٥ ص٢٦٢ و (ط دار الإسلامية) ج١١ ص٢٠٧ وجامع أحاديث الشيعة ج١٤ ص٢٤٩ ومشكاة الأنوار للطبرسي ص٦٢ ومستدرك سفينة البحار ج٦ ص١٤٩ ونهج السعادة للمحمودي ج٧ ص٢٨٩ وتفسير القمي ج١ ص١٩٧ والتفسير الصافي ج٢ ص١١٧ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٧١١ وج٤ ص٢٣٢ وج٥ ص١١٧.

وآله» وعنده صهيب وعمار، وبلال، وخباب، ونحوهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا محمد، أرضيت بهؤلاء..

إلى أن قال: فأنزل الله فيهم القرآن: **{وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ}**.. إلى قوله: **{وَاللهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ}**[1]»[2]..

ولنا تساؤل حول ذكر صهيب، فقد وردت في ذمه روايات، قدمنا بعضها في بعض فصول هذا الكتاب[3].

وفي نص آخر عن عكرمة قال ـ ما ملخصه ـ: مشى عتبة وشيبة، وقرضة بن عبد عمرو وغيرهم إلى أبي طالب، وطلبوا منه أن يطرد أولئك الضعفاء من حوله.. وقال له عمر: لو فعلت يا رسول الله، حتى ننظر ما يريدون بقولهم، وما يصيرون إليه من أمرهم، فأنزل الله: **{وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا}**..

إلى أن قال: ونزلت في أئمة الكفر من قريش والموالي والحلفاء، **{وَكَذَلِكَ**

---

(١) الآيات ٥١ ـ ٥٨ سورة الأنعام.

(٢) مسند أحمد ج١ ص٤٢٠ ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص١٠١ و (ط دار الكتب العلمية) ص٨٨ والوافي بالوفيات ج١٦ ص١٩٦ وسير أعلام النبلاء للذهبي ج٢ ص٢٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٤ ص٢٢٢ وفتح القدير ج٢ ص١٢١ ومجمع الزوائد ج٧ ص٢١ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص١٣٩ والدر المنثور ج٣ ص١٢ عن أحمد، وابن جرير، وابن أبي حاتم والطبراني، وأبي الشيخ، وابن مردويه، وأبي نعيم في الحلية.

(٣) راجع: قاموس الرجال للمحقق التستري، وتنقيح المقال للمحقق المامقاني، ترجمة صهيب.

فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا} الآية. فلما نزلت، أقبل عمر بن الخطاب فاعتذر من مقالته، فأنزل الله: **{وَإِذَا جَاءكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ..}**[(١)]»[(٢)]..

ونحن وإن كنا نسجل العديد من الإشكالات على هذه الرواية أيضاً، فإننا نقول:

إن ذلك لا يضر في ما نريد أن نثبته، لأنها دلت على أنهم يرون أن الآيات كانت تنزل مرة ثانية بعد نزولها في ضمن سورتها التي نزلت دفعة واحدة.

٥ ـ عن خباب قال ما ملخصه: جاء الأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن، فوجدا النبي «صلى الله عليه وآله» قاعداً مع بلال وصهيب، وعمار وخباب، وغيرهم من ضعفاء المؤمنين. فخلوا بالنبي «صلى الله عليه وآله» أن يجعل لهم مجلساً منه لا يكون فيه أولئك، فأجابهم إلى ذلك، فقالوا: «فاكتب لنا عليك بذلك كتاباً، فدعا بالصحيفة، ودعا علياً «عليه السلام» ليكتب، ونحن قعود في ناحية، إذ نزل جبرئيل بهذه الآية: **{وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ**

---

(١) الآية ٥٤ من سورة الأنعام.

(٢) الدر المنثور ج٣ ص١٣ عن ابن جرير، وابن المنذر، ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص١٠١ و (ط دار الكتب العلمية) ص٨٩ وتفسير الآلوسي ج٧ ص١٥٩ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص١٤٠ وتفسير السمرقندي ج١ ص٤٧١ وجامع البيان ج٧ ص٢٦٥ وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج٤٣ ص٣٧٦ وج٦٠ ص١٥٦ وتذكرة الحفاظ للذهبي ج٢ ص٤٦٠ وتفسير الميزان ج٧ ص١٠٩.

يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ}.. إلى قوله: **{فَقُلْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ}**..

فألقى رسول الله «صلى الله عليه وآله» الصحيفة من يده، ثم دعانا، وهو يقول: **{سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ}**.. فكنا نقعد معه، فإذا أراد أن يقوم، قام وتركنا. فأنزل الله: **{وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ}**[1]..

قال: فكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقعد معنا بعد، فإذا بلغ الساعة التي يقوم فيها قمنا وتركناه حتى يقوم..

وهذا معناه: أن الآية قد نزلت مرة أخرى في المدينة[2].. بعد أن كانت قد نزلت في ضمن السورة التي نزلت دفعة واحدة، غير أننا نشك في صحة هذه الرواية أيضاً لأسباب كثيرة، منها: أنها تذكر أن النبي «صلى الله عليه

---

(١) الآية ٢٨ من سورة الكهف.

(٢) الدر المنثور ج٣ ص١٣ عن ابن أبي شيبة، وأبي يعلى، وابن ماجة، وأبي نعيم في الحلية، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل، والمعجم الكبير ج٤ ص٧٦ و ٤٣٨ وجامع البيان ج٧ ص٢٦٣ وتخريج الأحاديث والآثار ج١ ص٤٣٨ والجامع لأحكام القرآن ج٦ ص٤٣٢ زاد المسير ج٣ ص٣٢ وتفسير البغوي ج٢ ص٩٩ وتفسير الثعلبي ج٤ ص١٤٩ وتاريخ مدينة دمشق ج١٠ ص٤٤٧ وج٢٤ ص٢٢٣ وج٣٤ ص٢٣٠ والبداية والنهاية ج٦ ص٦٤ وراجع: البحار ج٢٢ ص٣٣ وسنن ابن ماجة ج٢ ص١٣٨٢ والمصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٥٦٤ وتفسير ابن أبي حاتم ج٤ ص١٢٩٧.

وآله» أراد أن يكتب كتاباً بأمر يرفضه دينه وعقله، ووجد أنه يظلم به بعض الناس لا لشيء إلا لكونهم ضعفاء، وفقراء، ومؤمنين. لصالح أناس ظالمين، ومنحرفين، ومشركين.

ومنها: ذكره لبعض من لا تنطبق عليه الآية، إذ لم يكونوا ممن يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه.

وثمة إشكالات أخرى على هذه الرواية أيضاً..

وفي نص آخر: عن عمر بن عبد الله بن المهاجر: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان أكثر ما يصلي نافلته عند اسطوان التوبة. وكان إذا صلى الصبح انصرف إليها وقد سبق إليها الضعفاء والمساكين والضيفان، والمؤلفة قلوبهم وغيرهم؛ فيتحلقون حول النبي «صلى الله عليه وآله» حلقاً بعضها دون بعض. فينصرف إليهم ويتلو عليهم ما أنزل الله عليه في ليلته، ويحدثهم، حتى إذا طلعت الشمس جاء أهل الطول والشرف والغنى، فلا يجدون إليه مخلصاً. فتاقت أنفسهم إليه، وتاقت نفسه إليهم، فأنزل الله: **{وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ}** .. إلى منتهى الآيتين..

فلما نزل ذلك فيهم قالوا له: لو طردتهم عنا ونكون من جلسائك وإخوانك ولا نفارقك، فأنزل الله: **{وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ}**»[1]..

وهذا معناه: أن الآية قد نزلت في المدينة، وسورة الأنعام قد نزلت

---

(١) الدر المنثور ج٣ ص١٣ عن الزبير بن بكار في أخبار المدينة، وخلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى ج١ ص١١٦.

دفعة واحدة في مكة..

وعن سعد بن أبي وقاص، قال: نزلت هذه الآية في ستة: أنا وعبد الله بن مسعود، وبلال، ورجل من هذيل، واثنين، قالوا: يا رسول الله، اطردهم، فإننا نستحي أن نكون تبعاً لهؤلاء، فوقع في نفس النبي «صلى الله عليه وآله» ما شاء الله أن يقع، فأنزل الله: **{وَلاَ تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ}** إلى قوله: **{أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ}**»[1]..

علماً بأننا لا نصدق دعوى سعد بن أبي وقاص: أنه كان في جملة من نزلت الآية فيهم، لأن ممارسات ومواقف هؤلاء لا تتلاءم مع مضمون الآية الكريمة، يضاف إلى ذلك: أن تصريح الرواية بأنه قد وقع طلب المشركين في نفس النبي «صلى الله عليه وآله» لا شك في أنه مكذوب على رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وهناك روايات عديدة أخرى كلها تصب في هذا الإتجاه[2]..

٦ ـ عن ماهان قال: أتى قوم إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فقالوا: إنا

---

(١) الدر المنثور ج٣ ص١٣ عن الفريابي، وأحمد، وعبد بن حميد، ومسلم، والنسائي، وابن ماجة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن حبان، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والحاكم، وأبي نعيم في الحلية، والبيهقي في الدلائل، وتفسير ابن أبي حاتم ج٤ ص١٢٩٦ ومعاني القرآن للنحاس ج٢ ص٤٢٩ وأسباب نزول الآيات للواحدي النيسابوري ص١٤٦.

(٢) راجع ما رواه في الدر المنثور ج٣ ص١٣ و١٤ عن مجاهد، والربيع بن أنس. ورواها عن ابن عساكر، وعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن جرير، فراجع..

أصبنا ذنوباً عظاماً، فما رد عليهم شيئاً، فانصرفوا، فأنزل الله: **{وَإِذَا جَاءكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا}**.. فدعاهم، فقرأها عليهم[١].

٧ ـ عن زيد بن أسلم، قال: لما نزلت: **{قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً}**[٢].. قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض بالسيوف..

فقالوا: ونحن نشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله؟!..

قال: نعم.

فقال بعض الناس: لا يكون هذا أبداً.

فأنزل الله: **{انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الحَقُّ}**[٣]»[٤]..

٨ ـ عن ابن جريج قال ما ملخصه: كان المشركون يجلسون إلى النبي

---

(١) الدر المنثور ج٣ ص١٤ عن الفريابي، وعبد بن حميد، ومسدد في مسنده، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وتفسير الثوري ص١٠٧ وجامع البيان ج٧ ص٢٧١ وتفسير ابن أبي حاتم ج٤ ص١٣٠٠ وأسباب نزول الآيات ص١٤٧ وتفسير السمرقندي ج١ ص٤٧٢ ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص١٠٢ و (ط دار الكتب العلمية) ص٨٩ وفتح القدير ج٢ ص١٢١.

(٢) الآية ٦٥ سورة الأنعام.

(٣) الآيتان ٦٥ و٦٦ من سورة الأنعام.

(٤) الدر المنثور ج٣ ص٢٠ عن ابن جرير، وابن المنذر، وجامع البيان ج٧ ص٢٩٤ وتفسير ابن أبي حاتم ج٤ ص١٣١٢ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص١٤٨ ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص١٠٢ و (ط دار الكتب العلمية) ص٩٠.

«صلى الله عليه وآله»، فإذا سمعوا منه استهزؤوا، فنزلت: {**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ**}(١).. فجعلوا إذا استهزؤوا قام، فحذروا، وقالوا: لا تستهزؤوا فيقوم، فذلك قوله: {**لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**} أن يخوضوا فيقوم.. ونزل: {**فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ**}(٢)»(٣).

٩ ـ عن ابن عباس في حديث..: «قالت اليهود: يا محمد، أنزل الله عليك كتاباً؟!

قال: نعم.

قالوا: والله، ما أنزل الله من السماء كتاباً.

فأنزل الله: {**قُلْ**} يا محمد، {**مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى**}(٤)..»(٥).

---

(١) الآية ٦٨ سورة الأنعام.

(٢) الآيتان ٦٨ و ٦٩ سورة الأنعام.

(٣) الدر المنثور ج٣ ص٢٠ و٢١ عن ابن جرير، وابن المنذر، وأبي الشيخ، وراجع ما رواه في الدر المنثور ج٣ ص٢١ عن أبي الشيخ عن مقاتل، وجامع البيان ج٧ ص٢٩٨ و ٢٩٩ وتفسير الميزان ج٧ ص١٥٣.

(٤) الآية ٩١ من سورة الأنعام.

(٥) الدر المنثور ج٣ ص٢٩ عن ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه، والبحار ج٩ ص٨٩ وتفسير ابن أبي حاتم ج٤ ص١٣٤١ و ١٣٤٢ وتفسير البغوي ج٢ ص١١٤ وفتح القدير ج٢ ص١٤١ وزاد المسير ج٣ ص٥٧ وأسباب نزول الآيات للواحدي النيسابوري ص١٤٧ وتفسير الثعلبي ج٤ ص١٦٨ وجامع البيان ج٧ ص٣٤٨ وتفسير الميزان ج٧ ص٣٠٤ وتفسير مجمع البيان ج٤ ص١٠٨.

وواضح: أن التعاطي مع اليهود والاحتجاج عليهم، إنما كان في المدينة بعد الهجرة، مع ملاحظة أن للآية مناسبة خاصة نزلت فيها، مما يدل على أن هذا قد كان نزولاً آخر لها غير نزولها في ضمن السورة..

١٠ ـ وفي نص آخر، عن سعيد بن جبير: أنها نزلت في مالك بن الصيف حينما ناشده النبي «صلى الله عليه وآله» هل يجد في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين؟!، فغضب. (وكان حبراً سميناً) فأنكر، وقال: والله ما أنزل الله على بشر من شيء، فقال له أصحابه: ويحك، ولا على موسى؟.

قال: ما أنزل الله على بشر من شيء، فأنزل الله: **{وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ}**[(١)]»[(٢)]..

١١ ـ وعن محمد بن كعب القرظي: جاء ناس من اليهود إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، وهو محتب. فقالوا: يا أبا القاسم، ألا تأتينا بكتاب من السماء، كما جاء به موسى ألواحاً؟!..

فأنزل الله: **{يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِنَ السَّمَاءِ}**[(٣)]..

فجثا رجل من اليهود، فقال: ما أنزل الله عليك، ولا على موسى، ولا على عيسى، ولا على أحد شيئاً.

---

(١) الآية ٩١ من سورة الأنعام.

(٢) الدر المنثور ج٣ ص٢٩ عن ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وتخريج الأحاديث والآثار ج١ ص٤٤٣ وراجع: تفسير الثعالبي ج٢ ص٤٩٢ وأسباب نزول الآيات للواحدي النيسابوري ص١٤٧.

(٣) الآية ١٥٣ من سورة النساء.

فأنزل الله: {وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ}»[١]..

وهناك رواية أخرى عن محمد بن كعب في شأن نزول هذه الآية، فراجع..

والكلام فيها كالكلام السابق، وهي أن مناقشاته «صلى الله عليه وآله»، مع اليهود قد كانت في المدينة لا في مكة. وأنه حتى لو كان ذلك قد حصل في مكة، فهو أيضاً يدل على أن للآية نزولاً آخر غير نزولها في ضمن السورة[٢].

١٢ ـ قد نزلت آية: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللهُ}[٣].. في عبد الله بن سعد بن أبي سرح.. الذي كان يكتب القرآن لرسول الله «صلى الله عليه وآله» ثم فر إلى مكة فسألوه عن ذلك، فادّعى أنه كان يكتب كيف شاء[٤]..

---

(١) الدر المنثور ج٣ ص٢٩ عن ابن جرير، وجامع البيان ج٧ ص٣٤٨ وتفسير الثعلبي ج٤ ص١٦٨ وسبل الهدى والرشاد ج٣ ص٤٠١.

(٢) الدر المنثور ج٣ ص٢٩ عن أبي الشيخ، وأسباب نزول الآيات للواحدي النيسابوري ص١٤٧.

(٣) الآية ٩٣ من سورة الأنعام.

(٤) راجع: الدر المنثور ج٣ ص٣٠ عن الحاكم في المستدرك، وعن ابن أبي حاتم، عن شرحبيل بن سعد، وعن السدي، والبحار ج٢٢ ص٣٤ والبحار ج٨٩ ص٣٥ وتخريج الأحاديث والآثار ج١ ص٤٤٤ والفتح السماوي للمناوي ج٢ ص٦١٣ و تفسير القمي ج١ ص٢١٠ والتبيان ج٤ ص٢٠٢ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٧٤٥ وتفسير مقاتل بن سليمان ج١ ص٣٣٥ وجامع البيان ج٧ ص٣٥٤ و ٣٥٥ وتفسير ابن أبي حاتم ج٤ ص١٣٤٦ ومعاني القرآن للنحاس ج٢ ص٤٥٨ وتفسير السمعاني ج٢ ص١٢٦ وأسباب نزول الآيات للواحدي النيسابوري ص١٤٨ =

وفي نصوص أخرى أنها نزلت في مسيلمة الكذاب[1]..

وربما يحمل ذلك على تعدد نزولها.

وفي جميع الأحوال نقول:

إن ذلك إنما كان في المدينة بعد الهجرة، فهو نزول آخر للآية، حسبما ألمحنا إليه..

١٣ ـ وتذكر بعض الروايات: أن آية: **{وَلاَ تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ**

= ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص١٠٣ و (ط دار الكتب العلمية) ص٩٠ وفتح القدير ج٢ ص١٤١ وتفسير الآلوسي ج٧ ص٢٢٢ والإصابة (ط دار الكتب العلمية) ج١ ص٥٦٢.

(١) راجع: الدر المنثور ج٣ ص٣٠ عن عبد بن حميد وابن المنذر، وابن جرير، وأبي الشيخ عن ابن جريج، وقتادة، وعكرمة، وجامع البيان للطبري ج٧ ص٣٥٤ وتفسير ابن أبي حاتم ج٤ ص١٣٤٦ وتفسير السمرقندي ج١ ص٤٨٧ وج٢ ص١٠٨ وتفسير الثعلبي ج٤ ص١٦٩ وتفسير ابن زمنين ج٢ ص٨٤ ومعاني القرآن للنحاس ج٢ ص٤٥٨ وتفسير مقاتل بن سليمان ج١ ص٣٣٥ والبحار ج٢٢ ص٣٤ والتبيان للطوسي ج٤ ص٢٠٢ وتفسير جوامع الجامع للطبرسي ج١ ص٥٩٣ وتفسير النسفي ج١ ص٣٣٥ وتفسير العز بن عبد السلام ج١ ص٤٥٠ وزاد المسير ج٣ ص٥٩ وتفسير البغوي ج٢ ص١١٥ وتفسير الواحدي ج١ ص٣٦٥ وأسباب نزول الآيات ص١٤٨ وتفسير القرطبي ج٧ ص٣٩ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص١٦٢ والإتقان في علوم القرآن ج١ ص٤٧ ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص١٠٣ و (ط دار الكتب العلمية) ص٩٠ وفتح القدير ج٢ ص١٤١ وتفسير الآلوسي ج٧ ص٢٢٢ وتاريخ المدينة لابن شبة ج٢ ص٥٧٤.

دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ}[١].. قد نزلت حين مشت قريش إلى أبي طالب «عليه السلام»، وكلمته في أمر ابن أخيه، ثم طلبوا منه أن يكف عن شتم آلهتهم، وإلا فسوف يشتمونه، ويشتمون من أمره[٢]..

وهذا معناه: أن للآية مناسباتها الخاصة التي أوجبت نزولها فيها أيضاً. يضاف إلى نزولها في ضمن السورة.

١٤ ـ قالوا: إن آية: **{وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ.. إلى قوله: يَجْهَلُونَ}**[٣].. قد نزلت حين طلب المشركون من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يجعل لهم الصفا ذهباً..

والكلام في هذا المورد كالكلام في سابقه[٤]..

١٥ ـ عن ابن عباس، قال: جاءت اليهود إلى النبي «صلى الله عليه

---

(١) الآية ١٠٨ من سورة الأنعام.

(٢) الدر المنثور ج٣ ص٣٨ عن ابن أبي حاتم، وجامع البيان ج٧ ص٤٠٤ وتفسير ابن أبي حاتم ج٤ ص١٣٦٧ والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٢ ص٣٣٢ وتفسير القرطبي ج٧ ص٦١ وتفسير الثعالبي ج٢ ص٥٠٥ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص١٦٩ وتفسير البحر المحيط ج٤ ص٢٠١ والسيرة الحلبية ج٢ ص٤٥.

(٣) الآيات ١٠٩ ـ ١١١ من سورة الأنعام.

(٤) الدر المنثور ج٣ ص٣٩ عن ابن جرير، وراجع ما رواه أيضاً عن أبي الشيخ. وما أخرجه أيضاً في نفس الموضع عن ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وأبي الشيخ، وابن أبي حاتم، والمناقب لابن شهرآشوب ج١ ص٥٠ والبحار ج٩ ص٩١ وج١٨ ص٢٠٢ وأسباب نزول الآيات للواحدي النيسابوري ص١٥٠ وتفسير البغوي ج٢ ص١٢٢ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص١٧٠ ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص١٠٣ و (ط دار الكتب العلمية) ص٩١.

وآله»، فقالوا: نأكل مما قتلنا ولا نأكل مما يقتل الله، فأنزل الله: **{فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ الله عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ..}** إلى قوله: **{وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ}**[(١)]»[(٢)].

وثمة ورايات عديدة أخرى بهذه المضامين[(٣)]..

١٦ ـ وقال ابن جريج: إن آية: **{إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ}**[(٤)].. نزلت في ثابت بن قيس بن شماس..

وذلك يعني: أنها قد نزلت في المدينة.. وأن لها نزولاً آخر غير نزولها في ضمن السورة[(٥)].

---

(١) الآيات ١١٨ ـ ١٢١ من سورة الأنعام.

(٢) الدر المنثور ج٣ ص٤١ و٤٢ عن أبي داود والترمذي وحسنه، والبزار وابن جرير، وابن المنذر، ورواه ابن أبي حاتم، وأبو الشيخ، وابن مردويه، والفريابي، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وأبو داود، وابن ماجة، والحاكم وصححه، والنحاس والطبراني، والبيهقي في سننه.. وفي نص آخر ج٣ ص٤٢ عن الضحاك، أن المشركين قالوا ذلك. روى ذلك أبو الشيخ، وعبد بن حميد، وابن جرير والطبراني، وابن مردويه، وأبو داود، وتفسير الآلوسي ج٨ ص١٣ وسنن أبي داود ج١ ص٦٤٤ وفتح الباري ج٩ ص٥٣٨ وتحفة الأحوذي ج٨ ص٣٥٣ والتمهيد لابن عبد البر ج٢٢ ص٣٠١ والجامع لأحكام القرآن ج ٧ ص ٧٤ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص١٧٧ وفتح القدير ج٢ ص١٥٧ وسبل الهدى والرشاد ج٩ ص٣٠٨.

(٣) راجع الدر المنثور ج٣ ص٤٢ عن مصادر كثيرة.

(٤) الآية ١٤١ سورة الأنعام.

(٥) الدر المنثور ج٣ ص٤٩ عن ابن جرير وابن أبي حاتم، وجامع البيان ج٨ ص٨١ وتفسير الثعلبي ج٤ ص١٩٨ وتفسير القرآن العظيم ج٢ ص١٨٩ وتفسير =

سورة الكهف نزلت في مكة:

ب ـ وقد ذكروا: أن سورة الكهف قد نزلت بمكة[1]..

وعن أنس عن النبي «صلى الله عليه وآله»: قال: نزلت سورة الكهف جملة، معها سبعون ألفاً من الملائكة[2]..

وذكروا: أن قريشاً بعثت النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط إلى يهود المدينة في أمره «صلى الله عليه وآله»، فقالوا لهم: اسألوه عن ثلاث

= البغوي ج٢ ص١٣٦ وفتح القدير ج٢ ص١٧٠ وتفسير الثوري ص١١٠ وتفسير السمعاني ج٢ ص١٥٠ وزاد المسير ج٣ ص٩٣.

(١) الدر المنثور ج٤ ص٢٠٥ عن ابن مردويه، والنحاس في ناسخه، والإتقان ج١ ص٣٧ و ٣٨. وراجع: البرهان للزركشي ج١ ص٣٠ وسعد السعود ص٢٨٨ ونيل الأوطار ج٨ ص١٩٣ وتفسير مقاتل بن سليمان ج٢ ص٢٧٨ ومعاني القرآن للنحاس ج٤ ص٢٠٩ و ٢١١ وتفسير الثعلبي ج٦ ص١٤٤ وتفسير السمرقندي ج٢ ص٣٣٤ وجامع البيان ج١٥ ص٢٣٧ والغدير ج١ ص٢٥٦ وفتح الباري ج٥ ص٢٤٥ وج٩ ص٣٧ وعمدة القاري ج١٤ ص٧ وج١٩ ص٣٦ وتحفة الأحوذي ج٨ ص٤٦٧ وتفسير القمي ج٢ ص٣٠ والتبيان للطوسي ج٧ ص٣ وتفسير جوامع الجامع ج٢ ص٤٠١ وتفسير مجمع البيان ج٦ ص٣٠٦ والتفسير الصافي ج٣ ص٢٣٠.

(٢) الدر المنثور ج٤ ص٢١٠ عن الديلمي في مسند الفردوس والإتقان ج١، وكنز العمال ج١ ص٥٧٨ وتفسير الآلوسي ج١٥ ص١٩٩ وكشف الخفاء للعجلوني ج٢ ص٣٢٧ وراجع: المصباح للكفعمي ص٤٤١ وتفسير مجمع البيان ج٦ ص٣٠٦ وتفسير نور الثقلين ج٣ ص٢٤١ وتفسير الثعلبي ج٦ ص١٤٤ والتفسير الكبير للرازي ج٢١ ص٧٣.

مسائل، فإن أخبركم فهو نبي، والأسئلة هي عن أهل الكهف، وعن ذي القرنين، وعن الروح، فرجعوا إلى مكة وسألوه عن هذه المسائل، فجاء جبرئيل «عليه السلام» بسورة الكهف بعد خمسة عشر (أو أربعين) يوماً[1].

وبعد أن اتضح: أن سورة الكهف قد نزلت جملة واحدة، نقول:

إن الروايات تذكر: أن عدداً من آياتها قد نزل في مناسبات مختلفة أيضاً، فمنها على سبيل المثال ما يلي:

١ ـ أخرج ابن مردويه، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في شعب الإيمان عن سلمان: أن قوله تعالى: **{وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ..}** إلى قوله: **{..إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً}**[2].. قد نزل حينما جاء المؤلفة قلوبهم، وهم: عيينة بن بدر، والأقرع بن حابس، إلى النبي «صلى الله عليه وآله» واشترطوا عليه لكي يجالسوه هم ويحادثوه، ويأخذوا عنه، أن يجلس في صدر المجلس، وأن يبعد الفقراء عنه؛ لأنهم كانوا يلبسون جباب الصوف ـ

____

(١) الدر المنثور ج٤ ص٢١٠ عن أبي نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل، وابن إسحاق، وابن جرير، وابن المنذر. وراجع: والبحار ج١٨ ص٢٤٥ وج٥٦ ص٣١٣ وتفسير السمرقندي ج٣ ص٥٦٧ وزاد المسير ج٥ ص٨٩ و ١٧٤ وتفسير الكبير للرازي ج٢١ ص٢٣٨ والجامع لأحكام القرآن ج١١ ص١٢٨ وتفسير البيضاوي ج٤ ص٢٥ والتسهيل لعلوم التنزيل ج٢ ص١٨٦ وتفسير البحر المحيط ج٦ ص١١١ وتفسير القرآن العظيم ج٣ ص٨٣ وتفسير الثعالبي ج٣ ص٥٠٦ وتفسير أبي السعود ج٥ ص٢٧٣ وتفسير الآلوسي ج١٥ ص٢٤٧.

(٢) الآيتان ٢٧ ـ ٢٩ سورة الكهف.

يعنون سلمان وأبا ذر[١]..

وفي نص آخر: عن سلمان: نزلت هذه الآية فيّ وفي رجل دخل على النبي «صلى الله عليه وآله» ومعي شيء من خوص، فوضع مرفقه في صدري وقال: تنح حتى ألقاني على البساط، ثم قال: يا محمد إنا ليمنعنا من كثير من أمرك هذا وضرباؤه، أن ترى لي قدماً وسواداً، فلو نحيتهم إذاً دخلنا عليك، فإذا خرجنا أذنت لهم إذا شئت، فلما خرج أنزل الله: **{وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ.. ـ إلى قوله ـ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطاً}**[٢]..

ومن الواضح: أن سلمان قد أسلم في المدينة، فالآيات قد نزلت هناك أيضاً، بالإضافة إلى نزولها السابق في ضمن السورة..

وإن كنا لا نؤيد صحة هذه الروايات لأسباب عديدة، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يمكن أن يرضى بشروط العتاة من المشركين، لأنها شروط يأباها العقل والشرع والوجدان الإنساني، أو تنفر منها الفطرة السليمة، وتخدش في عصمته «صلى الله عليه وآله».

يضاف إلى ذلك: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن ليسكت عن

---

(١) الدر المنثور ج٤ ص٢١٩، وجامع البيان ج١٥ ص٢٩٤ و ٣١٤ والبحار ج٦٩ ص٢ والتفسير الصافي ج٣ ص٢٤٠ وتفسير الميزان ج١٣ ص٣٠٥ وأسباب نزول الآيات للواحدي النيسابوري ص٢٠١ وزاد المسير ج٥ ص٩٣ والجامع لأحكام القرآن ج١٠ ص٣٩٠ وفتح القدير ج٣ ص٢٨٣ وتفسير الآلوسي ج١٥ ص٢٦٢ والفوائد الرجالية للسيد بحر العلوم ج٢ ص٣٣٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٢١ ص٤٠٥.

(٢) الدر المنثورج٤ ص٢١٩ عن عبد بن حميد.

ذلك الرجل الذي اعتدى على سلمان، فالقاه على البساط.

كما أنه لم يكن ليسكت عن إجابة ذلك الرجل حتى خرج.

٢ ـ رووا: أن قوله تعالى: **{وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا}**[١].. نزلت في أمية بن خلف، وذلك أنه دعا النبي «صلى الله عليه وآله» إلى أمر كرهه، من طرد الفقراء وتقريب صناديد أهل مكة[٢]..

ورووا أيضاً: أن النبي «صلى الله عليه وآله» تصدّى لأمية بن خلف وهو ساه غافل عما يقال له: فأنزل الله: **{وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ}**»[٣]..

٣ ـ رووا: أن قوله تعالى: **{وَلاَ تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا}**.. قد نزل في عيينة بن حصن. قال للنبي «صلى الله عليه وآله» قبل أن يسلم: لقد آذاني ريح سلمان الفارسي الخ..[٤].

والكلام في هذا المورد ظاهر، فإننا سواء أقلنا بتكرار نزول الآية، أو

---

(١)الآية ٢٨ من سورة الكهف.

(٢) الدر المنثور ج٤ ص٢٢٠ عن ابن مردويه، وأسباب نزول الآيات للواحدي النيسابوري ص٢٠٢ والجامع لأحكام القرآن ج١٠ ص٣٩٢ وزاد المسير ج٥ ص٩٣ ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص١٤٤ و (ط دار الكتب العلمية) ص١٣٠ وفتح القدير ج٣ ص٢٨٣ وتفسير البغوي ج٣ ص١٥٩ وتفسير الثعلبي ج٦ ص١٦٦ وتفسير الميزان ج١٣ ص٣٠٥.

(٣) الدر المنثور ج٤ ص٢٢٠ عن ابن أبي حاتم، ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص١٤٤ و (ط دار الكتب العلمية) ص١٣٠.

(٤) الدر المنثور ج٤ ص٢٢٠ عن ابن المنذر عن ابن جريج، وجامع البيان ج١٥ ص٢٩٣ وتفسير العز بن عبد السلام ج٢ ص٢٤٦.

قلنا بعدمه، فإن الآية قد نزلت في مناسبة خاصة، بالإضافة إلى نزولها في ضمن السورة..

وقصة عيينة بن حصن إنما كانت في المدينة، والسورة قد نزلت دفعة واحدة في مكة[1]..

٤ ـ عن السدي، قال: قالت اليهود للنبي «صلى الله عليه وآله»: يا محمد، إنما تذكر إبراهيم وموسى، وعيسى، والنبيين، أنك سمعت ذكرهم منا، فأخبرنا عن نبي لم يذكره الله في التوراة إلا في مكان واحد.

قال: ومن هو؟!

قالوا: ذو القرنين.

قال: ما بلغني عنه شيء، فخرجوا فرحين، وقد غلبوا في أنفسهم، فلم يبلغوا إلى باب البيت، حتى نزل جبرئيل بهؤلاء الآيات: **{وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً}**[2]..

وذلك معناه: أن هذه الآيات قد نزلت في مناسبة خاصة، وأن النبي«صلى الله عليه وآله» لم يذكر لهم نزول هذه الآيات في سورة الكهف قبل ذلك، ربما لأجل أنه لم ينزل بها جبرئيل بعد ليحدد مناسباتها الخاصة بها[3]..

على أن لنا إشكالاً على هذه الرواية، وهو: أنها إذا كانت قد نزلت في مكة في ضمن سورة الكهف، فمعنى ذلك أنه «صلى الله عليه وآله» كان

---

(١) الدر المنثور ج٤ ص٢٢٠ وراجع المصادر في بعض الهوامش المتقدمة.

(٢) الآية ٨٣ من سورة الكهف.

(٣) الدر المنثور ج٤ ص٢٤٠ عن ابن أبي حاتم، وروى نحواً من هذا ابن عمر أيضاً فراجع نفس المصدر عنه.

يعرف عن ذي القرنين نفس ما أوردته الآية التي نزلت عليه مرة ثانية عند سؤال اليهود إياه، فما معنى أن يقول لهم: ما بلغني عنه شيء..

إلا إذ فرض نزول الآية في هذه المناسبة قبل نزول السورة، وهذا بعيد، فإن مناقشات اليهود معه، وأسئلتهم إنما كانت في المدينة.. على ما يظهر.

٥ ـ وقالوا: إن جندب بن زهير كان إذا صلى أو صام أو تصدق فذكر بخير ارتاح له، فزاد في ذلك لمقالة الناس، فلامه الله، فنزل في ذلك: **{فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ}**[1]»[2]..

وفي نص آخر، عن مجاهد، كان رجل من المسلمين، يقاتل وهو يحب أن يرى مكانه، فأنزل الله: **{فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ}**»[3]..

فالآية نزلت في مناسبة خاصة.. وهي واقعة في ضمن سورة نزلت دفعة واحدة أيضاً، في مكة.

---

(١) الآية ١١٠ سورة الكهف.

(٢) الدر المنثور ج٤ ص٢٥٥ عن ابن مندة، وأبي نعيم في الصحابة، وابن عساكر، وأسد الغابة ج١ ص٣٠٣ والفتح السماوي للمناوي ج٢ ص٨٠٣ وتفسير الميزان ج١٣ ص٤٠٦ ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص١٤٥ و (ط دار الكتب العلمية) ص١٣١ وفتح القدير ج٣ ص٣١٨ وأضواء البيان للشنقيطي ج٣ ص٣٥٨ وتاريخ مدينة دمشق ج١١ ص٣٠٤ والإصابة (ط دار الكتب العلمية) ج١ ص٦١٢.

(٣) الدر المنثور ج٤ ص٢٥٥ عن ابن أبي حاتم، ولباب النقول (ط دار إحياء العلوم) ص١٤٥ و (ط دار الكتب العلمية) ص١٣١ وأضواء البيان للشنقيطي ج٣ ص٣٥٨.

خلاصة أخيرة:

وتكون النتيجة هي: أن الله سبحانه كان ينزل السورة أولاً، فيقرؤها النبي «صلى الله عليه وآله» بتمامها على الناس، ثم تبدأ الأحداث بالتحقق، فيأتي جبرئيل «عليه السلام» إلى الرسول «صلى الله عليه وآله»، بالآيات التي ترتبط بتلك الأحداث مرة أخرى، فيقرأها على الناس، فيظهر لهم أنهم كانوا قد سمعوها منه قبل ذلك. فيعرف الناس بذلك: أن هذا القرآن منزل من عند عالم الغيب والشهادة..

بل الظاهر: أن حتى السور التي نزلت نجوماً أيضاً، كسورة البقرة وسورة آل عمران، كان نزولها يتم بصورة تتلاءم مع هذه السياسة، ولذلك قالوا: إن بضعاً وثمانين آية من سورة آل عمران قد نزلت دفعة واحدة.. ثم بدأت الأحداث تتوالى، ويأتي جبرئيل «عليه السلام» بالآيات المرتبطة بها، مع أن هذه الآيات كانت قد نزلت قبل حصول تلك الأحداث، وفي ضمن البضع والثمانين آية المشار إليها..

وهذا بالذات هو حال سورة المائدة أيضاً، فإنها نزلت دفعة واحدة ثم صارت آياتها تنزل تدريجاً كلما حدث أمر يقتضي نزول آيات بعينها من تلك السورة..

وتقدم: أن آية إكمال الدين جاءت قبل آية تبليغ الرسالة، في نطاق سياسة إلهية، تهدف إلى حفظ القرآن، وإلى الرفق بالناس، وتيسير أمر الهداية لهم، حسبما أوضحناه.. وقلنا: إن نزولها كان مرتين على الحقيقة، فراجع.

الفصل الثامن:

شبهات.. وأجوبتها

الغدير كان يوم الخميس:

وقد تقدم قولهم: إن يوم الغدير كان يوم الخميس في الثامن عشر من ذي الحجة..

ولكن هذا يناقض إجماع أهل السنة على أن يوم عرفة في حجة الوداع كان يوم الجمعة، لأن هذا يحتم أن يكون يوم الأحد، لأنه يكون هو الثامن عشر من ذي الحجة..

ويؤكد هذا الإشكال: أنهم يقولون: إن أول ذي الحجة كان يوم الخميس[1].

والذي نراه: أن هذا الإجماع السُنِّي الذي أشار إليه العلامة الأميني، إنما يستند إلى رواية البخاري ومسلم، التي صرح فيها عمر وبعض آخر: بأن يوم عرفة في حجة الوداع كان يوم الجمعة، فإن ظهر خطأ الرواية في

---

(١) راجع: البحار ج٢٢ ص٥٣٤ عن كتاب التنوير ذو النسبين بين دحية والحسين، وفتح الباري ج٣ ص٣٢٣ وعمدة القاري ج١٦ ص٩٩ وج١٨ ص٦٠ والبداية والنهاية ج٥ ص١٨٤ وج٥ ص٢٧٦ وكشف الغمة ج١ ص٢٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٣٣٣ وج٤ ص٥٠٩ وسبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٣٠٦ وراجع: الغدير ج١ هامش ص٤٢.

ذلك، فإن على المجمعين أن يغيروا رأيهم تبعاً لما ظهر.

وقد ظهر: أن ما صرحوا به في تحديد يوم الغدير بيوم الخميس يقتضي أن يكون يوم عرفة يوم الثلاثاء..

وقد صرحت رواية رواها ابن جرير وغيره: بأن يوم عرفة الذي هو يوم نزول سورة المائدة **{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ}**[1] هو يوم الإثنين[2]. ولعل الأمر اشتبه على الراوي بين الإثنين والثلاثاء.

وهذه الرواية وإن حكم عليها بعضهم بضعف السند. لكن ضعف السند لا يعني كذب المضمون. فإذا أيدت الشواهد أنه أقرب إلى الصحة، أخذ به، وأهمل ما عداه، لقوة احتمال السهو أو الغلط، أو تعمد الكذب فيه، وذلك ظاهر لا يخفى.

لماذا لم يحتج علي والزهراء ' بالغدير؟!:

وقد يروق للبعض أن يسجل اعتراضاً على قول الشيعة من دلالة

---

(١) الآية ٣ من سورة المائدة.

(٢) جامع البيان ج٦ ص٥٤ والدر المنثور ج٢ ص٢٥٨ و ٢٥٩ عنه. وراجع: مجمع الزوائد ج١ ص١٩٦ والمعجم الكبير ج١٢ ص١٨٣ وكنز العمال ج١٢ ص٤٤٥ والتبيان للطوسي ج٣ ص٤٣٦ وجامع البيان ج٦ ص١١٢ و تفسير القرآن العظيم ج٢ ص١٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٣ ص٦٧ و ٦٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج١ ص٢٦ والبداية والنهاية ج٢ ص٣١٩ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٥٤٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج١ ص١٩٨ وسبل الهدى والرشاد ج١ ص٣٣٣ و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٢٨.

حديث الغدير على الإمامة؛ فيقول: إن الحديث وإن كان ثابتاً ومتواتراً من حيث السند، ولكنه لو كان دالاً على الإمامة والخلافة بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» لاحتج به علي «عليه السلام» على مناوئيه، وغاصبي حقه بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله» مباشرة، ولو فعل ذلك لحسم الأمر، ولأعيدت الأمور إلى نصابها.

ولا يصح التسويف في هذا الأمر، إذ لا عطر بدون عروس.

ونقول في الجواب:

أولاً: إنكم قد ذكرتم بأن جمهور علماء السنة ـ إلا من شذ ـ لا ينكرون صدور هذا الحديث.

فإذا كان الحديث ثابتاً ومعلوماً لدى كل أحد، وكان النبي «صلى الله عليه وآله» قد أورده أمام عشرات الألوف من الناس، كما ذكرت الروايات، فلا تبقى حاجة إلى الإحتجاج به؟! فإن من يعرف حرمة الكذب، ويقرأ الآيات في ذلك، ويسمع تأكيدات الرسول «صلى الله عليه وآله»، على حرمته.

ومن يعرف حرمة السرقة، ويقرأ آيات تحريمها صباح مساء.

ومن يعرف وجوب الصلاة، ويقرأ ويسمع آيات القرآن، وكلمات الرسول «صلى الله عليه وآله» في الحث عليها، والدعوة إليها.. فإنه حين يمارس الكذب، ويقدم على السرقة، وعلى ترك الصلاة جهاراً نهاراً، فسيكون الاحتجاج عليه بالآيات والروايات عبثاً، وبلا فائدة أو عائدة.

وهكذا الحال بالنسبة لحديث الغدير، فإن من يأتي بالآلاف من حملة السلاح من بني أسلم، ويستقوي بهم، ويهاجم بيت فاطمة «عليها السلام»،

ويضربها ويسقط جنينها، ويأخذ علياً أمير المؤمنين «عليه السلام» بالقوة للبيعة.

ومن يقول: إن النبي ليهجر ـ وهو على فراش المرض ـ ليمنعه من كتابة كتاب لا تضل الأمة بعده.. وهو يفعل ذلك كله ـ قبل أن ينبس علي «عليه السلام» ولا غيره ببنت شفة حول الخلافة.

مع أنه قد حضر قبل سبعين يوماً فقط يوم الغدير، وسمع أقوال رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وبايع علياً «عليه السلام»، في ذلك اليوم وهنأه بالولاية..

إن من يفعل ذلك، فإن الاحتجاج لا ينفع معه لأنه يكون ظاهر الجحود، في نفسه.. ولن يزيد ذلك الناس معرفة بالحق.. لأن الناس كلهم لم ينسوا يوم الغدير وسواه من المواقف الحاسمة، كما لا ينسون صلاتهم وصيامهم..

ثانياً: لو سلمنا جدلاً أن التاريخ لم ينقل لنا شيئاً من احتجاجات علي والزهراء «عليهما السلام»، فهو لا يدل على عدم حصوله منه ومنها «عليهما السلام»، لا سيما مع الحرص الظاهر على محاربة علي، وطمس كل شيء يؤيد حقه «عليه السلام» بالأمر، والتخلص من كل ما يدين خصومه فيما أقدموا عليه..

وعدم نقل أهل السنة ذلك، يعد أمراً طبيعياً، لأن نقلهم له إنما يعني تسجيل إدانة لأناس يريدون تبرئتهم من كل شيء، بل يريدون ادِّعاء العصمة لهم، وإظهار أهليتهم للإمامة، والخلافة والزعامة. كما أنه سوف يحدث خللاً اعتقادياً لو أراد الناس الالتزام بلوازمه.. ولا أحب أن أقول

أكثر من هذا..

ثالثاً: إنه ليس ثمة ما يدل على انحصار الحجية بما نقله محدثو ومؤرخو، وعلماء أهل السنة، بحيث يبطل ذلك أقوال، ونقولات غيرهم.. ومن يدّعي هذا الانحصار يحتاج إلى دليل..

بل ربما يكون دليل مخالفيهم هو الأقوى.. لأن هذا التوثيق، وذاك الرفض يتوقف على حسم الأمر في مسألة الإمامة وفقاً للأدلة الشرعية المتوفرة، فلا معنى لفرض اتجاه معين في الأخذ بمصادر ومراجع بعينها، قبل حسم الأمر في تلك المسألة، لأن هناك من يقول: إن الأدلة القاطعة تدل على أن قضايا الدين لا بد أن تؤخذ من القرآن، ومن خصوص عترة الرسول «صلى الله عليه وآله» المعصومين، والمنصوص عليهم، فمن خالفهم في شيء، فإنه يردّ عليه..

رابعاً: إننا نجد في مصادر أهل السنة والشيعة العديد من الموارد التي أشير فيها إلى أن علياً كان يحتج بحديث الغدير، ويسعى لحمل الذين حضروا واقعة الغدير على أن يعلنوا للناس بما رأوا وبما سمعوا في ذلك اليوم الأغرّ، وقد أثمرت هذه المناشدات والإحتجاجات شهادات بصحة هذا الحديث، وتأكيدات على وقوعه، واعترافات من المناوئين الذين كانوا يسعون لقلب الأمور رأساً على عقب.

ونحن نذكر من ذلك الشواهد التالية:

ألف ـ إحتجاجات علي × :

إن النصوص قد ذكرت:

١ ـ إحتجاج علي «عليه السلام» بحديث الغدير يوم البيعة لأبي بكر، فإنه «عليه السلام» قد احتج على أبي بكر ومؤيديه، حينما جيء به إلى البيعة، فقال: «يا أبا بكر، ما أسرع ما توثبتم على رسول الله! بأي حق، وبأي منزلة دعوت الناس إلى بيعتك؟ ألم تبايعني بالأمس بأمر الله وأمر رسوله»؟[1].

ثم لما هددوه بالقتل إن لم يبايع، أقبل عليهم علي «عليه السلام»، فقال: «يا معشر المسلمين والمهاجرين والأنصار، أنشدكم الله، أسمعتم رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول يوم غدير خم كذا وكذا؟ وفي غزوة تبوك كذا وكذا»؟ فلم يدع «عليه السلام» شيئاً قاله فيه رسول الله «صلى الله عليه وآله» علانية للعامة إلا ذكَّرهم إياه.

قالوا: اللهم نعم.

فلما تخوف أبو بكر أن ينصره الناس، وأن يمنعوه بادرهم فقال له: كل ما قلت حق، قد سمعناه بآذاننا وعرفناه، ووعته قلوبنا، ولكن قد سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول بعد هذا: «إنا أهل بيت اصطفانا الله وأكرمنا، واختار لنا الآخرة على الدنيا. وإن الله لم يكن ليجمع لنا أهل

---

(١) كتاب سليم بن قيس ج٢ ص٥٨٨ و ٥٨٩ و (بتحقيق الأنصاري) ص١٥٢ و ٣٨٨ وراجع: ج٣ ص٩٦٥ و ٩٦٦ والبحار ج٢٨ ص٢٧٠ و مجمع النورين ص٩٩ وشرح النهج للمعتزلي ج١٨ ص٣٧٢.

البيت النبوة والخلافة».

فقال علي «عليه السلام»: هل أحد من أصحاب رسول الله شهد هذا معك؟ الخ..[1].

وهو استدلال عجيب وغريب من أبي بكر، فإنه يفضي إلى القول بأن الله ورسوله كانا يعبثان بالناس طيلة ثلاث وعشرين سنة، حيث كان «صلى الله عليه وآله» بأمر من الله يؤكد الولاية لعلي «عليه السلام»، ويجمع الناس في منى وعرفات، وفي غدير خم، ويذكر لهم خلافة علي «عليه السلام» وإمامته، وولايته عليهم من بعده. ويأخذ البيعة له في يوم الغدير.. و.. و.. الخ.. ثم يتبين أن الله ـ والعياذ بالله ـ كان مخطئاً حين كان يوجه رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى القيام بهذه الأعمال، وإطلاق هذه الأقوال كلها.

هذا.. وقد قال «عليه السلام» لرسول أبي بكر، الذي قال له: أجب خليفة رسول الله: «سبحان الله، ما أسرع ما كذبتم على رسول الله، إنه ليعلم ويعلم الذين حوله أن الله ورسوله لم يستخلف غيري».

وحين أرسل إليه: أجب أمير المؤمنين قال: «فوالله إنه ليعلم أن هذا الاسم لا يصلح إلا لي، ولقد أمره رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو سابع سبعة، فسلموا علي بإمرة المؤمنين».

فاستفهم هو وصاحبه عمر من بين السبعة، فقالا: أحق من الله ورسوله؟

---

(١) كتاب سليم بن قيس ج٢ ص٥٨٨ و ٥٨٩ و (بتحقيق الأنصاري) ص١٥٤ وراجع: ج٣ ص٩٦٥ و ٩٦٦ فهناك مصادر أخرى للحديث، والبحار ج٢٨ ص٢٧٠ ـ ٢٧٤ و ٣٠٠ ومجمع النورين ص٩٩ والمحتضر للحلي ص١١٠.

فقال لهما رسول الله «صلى الله عليه وآله»: نعم، حقاً، حقاً الخ..[1].

٢ ـ احتجاجه «عليه السلام»، بحديث الغدير في يوم الشورى، حيث قال «عليه السلام»: ولأحتجن عليكم بما لا يستطيع عربيكم ولا عجميكم تغيير ذلك، ثم قال: أنشدكم الله، أيها النفر جميعاً: أفيكم أحد وحّد الله قبلي؟

قالوا: لا..

إلى أن قال: فأنشدكم الله، هل فيكم أحد قال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه، وانصر من نصره. ليبلغ الشاهد الغايب، غيري؟

قالوا: اللهم لا.. الخ..[2].

---

(١) كتاب سليم بن قيس ج٢ ص٥٨٣ و و (بتحقيق الأنصاري) ص١٤٨ و ٢٦٨ وراجع مصاد أخرى لهذا الحديث في ج٣ ص٩٦٥ و ٩٦٦ واليقين لابن طاووس ص٢٨ والعقد النضيد والدر الفريد لمحمد بن الحسن القمي ص١١١ و ١١٣.

(٢) راجع: الغدير ج١ ص١٥٩ فما بعدها عن المناقب للخوارزمي الحنفي ص٢١٧ وأخرجه الحمويني الشافعي في فرائد السمطين الباب٥٨ ج١ ص٣١٩ وفي الدر النضيد لابن حاتم الشامي، قال: أنشدكم بالله، أمنكم من نصّبه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، يوم غدير خم للولاية غيري؟ قالوا: اللهم لا..

وراجع أيضاً: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٦ ص١٦٧ وراجع: الغدير ج١ ص١٦١ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) للميرجهاني ج٣ ص٢١٦ وشرح الأخبار ج٢ ص١٩١ وكنز الفوائد ص٢٢٧ والأمالي للطوسي ص٣٣٣ و ٥٥٥ والإحتجاج للطبرسي ج١ ص١٩٦والروضة في فضائل أمير المؤمنين لشاذان =

وعلى كل حال: فقد ذكروا حديث المناشدة عن الدارقطني وابن مردويه، وأبي يعلى وغيرهم.

ولنفترض: أن بعض رجال أسناد هذا الحديث ضعاف، فإن ذلك لا يعني كذب الرواية من الأساس كما هو معلوم. لاسيما مع أن مصلحة الرواة هي في خلاف مضمون ما يروونه..

٣ ـ واحتج علي «عليه السلام»، بهذا الحديث في خلافة عثمان أيضاً.. وذلك في المسجد، في حلقة كان فيها أكثر من ماءتي رجل[1]، فقال: «أفتقرون أن رسول الله دعاني يوم غدير خم، فنادى لي بالولاية، ثم قال: ليبلغ الشاهد منكم الغائب»؟.

قالوا: اللهم نعم[2].

٤ ـ لما بلغه وهو في الكوفة أن الناس يتهمونه فيما يرويه من تقديم رسول الله «صلى الله عليه وآله» إياه على غيره، حضر في مجتمع من الناس،

= بن جبرئيل القمي ص١١٨ والبحار ج٣١ ص٣٣٢ و ٣٥١ و ٣٦١ و ٣٦٨ وتفسير أبي حمزة الثمالي ص١٥٢ وتمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل للباقلاني ص٥١٤ وبشارة المصطفى للطبري ص٣٧٤ وكشف اليقين ص٤٢٣.

(١) راجع: إكمال الدين للصدوق ص٢٧٤ والإحتجاج للطبرسي ج١ ص٢١١ الغدير ج١ ص١٦٣ ـ ١٦٥ وفرائد السمطين ج١ ص٣١٢ وكتاب سليم بن قيس (بتحقيق الأنصاري) ص٧١ والتحصين لابن طاووس ص٦٣١ والبحار ج٣١ ص٤٠٨ وكتاب الأربعين للماحوزي ص٤٣٩.

(٢) راجع: كتاب سليم بن قيس ج٢ ص٦٤١ و ٦٤٤ و ٦٤٥ و ٦٤٦ و (بتحقيق الأنصاري) ص١٩٣ ـ ١٩٥ وراجع: المصادر في الهامش السابق.

وناشد من سمع رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم الغدير أن يشهد، فشهد له قوم، وأمسك زيد بن أرقم، فدعا عليه علي «عليه السلام» بذهاب البصر فعمي.

وقيل: إن الذين لم يشهدوا ثلاثة. وقيل: إنهم قوم.

وقيل: فقام أناس كثير فشهدوا.

وفي نص آخر: شهد له بضعة عشر رجلاً، أو اثنا عشر رجلاً، أو ثلاثة عشر رجلاً (أو بدرياً). أو ستة عشر رجلاً، أو خمسة، أو ستة، أو ثلاثون، أو سبعة عشر رجلاً، أو ثمانية عشر[1].

---

(١) راجع فيما تقدم: مناقب أهل البيت «عليه السلام» للشيرواني ص١٢٨ وشرح النهج للمعتزلي ج٢ ص٢٨٩ وج٤ ص٧٤ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص٣٩ و ٦٢ و ٦٣ و ٨٦ و ٩٨ و ١٠٩ و ١٢٩ و ١٣٥ و ١٣٨ و ١٨٦ و ٢٠٩ و ٢٤٣ و ٢٥١ و ٢٦٢ و ٢٧٠ و ٢٧٢ و ٢٨٦ و ٣١٢ و ٣٢٤ و ٣٤١ و ٣٦١ وج٩ ص١٥ و ١٧ و ١٨ و ٢٠ و ٢٤ و ٢٦ وقاموس الرجال ج١٠ ص٣٣٣ وج١١ ص١٤٥ و ٤٤٩ والمعجم الصغير ج١ ص٦٤ وأسد الغابة ج٢ ص٢٣٣ وج٣ ص٩٣ و ٣٠٧ وج٤ ص٢٨ وج٥ ص٦ وكتاب الولاية لابن عقدة ص٢٢٦ و ٢٢٩ و ٢٣٥ و ٢٣٧ ومسند أحمد ج١ ص٨٨ و ١١٩ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص١٣٦ و ١٥٥ وذكر أخبار إصبهان ج٢ ص٢٢٨ وكنز العمال ج١٣ ص١٥٥ و ١٧٠ وتاريخ بغداد ج١٤ ص٢٤٠ والمعجم الأوسط ج٧ ص٧٠ والمعجم الكبير ج٥ ص١٧٥ وجزء الحميري ص٣٣ وذخائر العقبى للطبري ص٦٨ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٠٥ و ١٠٦ و ١٠٨ وأمالي المحاملي ص١٦٢ ومسند أبي يعلى ج١ ص٤٢٩ وخصائص أمير المؤمنين «عليه السلام» للنسائي ص٩٦ و ١٠٣ والبداية والنهاية ج٧ ص٣٨٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٢٠٦ و ٢٠٧ و ٢٠٩ و ٢١٢ =

ونشير هنا إلى أمرين:

الأول: لماذا لم يشهد أكثر من هذا العدد؟!:

ذكر العلامة الأميني أسماء أربعة وعشرين رجلاً، شهدوا لأمير المؤمنين «عليه السلام» بحديث الغدير في رحبة الكوفة(١)، فراجع.

وقد أشار العلامة الأميني: إلى أن رواية أبي الطفيل قد ذكرت: أن علياً «عليه السلام» لما قدم الكوفة نشد الناس بحديث الغدير.

وإنما قدم «عليه السلام» الكوفة سنة ٣٥ للهجرة، وبعد خمسة وعشرين عاماً من استشهاد رسول الله «صلى الله عليه وآله». وكان كثير من الذين حضروا يوم الغدير قد ماتوا، وكثير منهم كانوا مبثوثين في مختلف البلاد، وقد فتح العراق بعد استشهاد رسول الله «صلى الله عليه وآله»

= و ٢١٤ وتهذيب الكمال للمزي ج٢٢ ص٣٩٧ والسيرة الحلبية (الملحقات) ج٣ ص٣٣٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٣٠٥ و ٣٠٧ و ٣١٦ و ٣٢٣ و ٣٢٨ و ٣٣٨ و ٣٧٨ وج٢١ ص١١٤ و ١١٩ وج٢٢ ص١٢٥ وج٢٣ ص١٢ و ٤١٣ و ٤١٦ وج٣٠ ص٣٨٩ و ٤٠٤ وينابيع المودة ج٢ ص١٥٩ وكشف الغمة ج١ ص٢٨٧ والخرائج والجرائح ج١ ص٢٠٨ والإرشاد للمفيد ج١ ص٣٥٢ والطرائف ص١٤٨ وكتاب الأربعين للماحوزي ص١٤٦ والعمدة لابن البطريق ص١٠٩ والبحار ج٣٤ ص٣٤١ وج٣٧ ص١٨٦ و ١٩٦ و ١٩٧ و ١٩٩ و ٢٠٠ وج٤١ ص٢٠٥ وج٤٢ ص١٤٨ ومستدرك سفينة البحار ج١٠ ص٤٦٩ والمراجعات للسيد شرف الدين ص٢٦٨ و ٢٧٠ و ٣٨٨. وراجع: الغدير ج١ ص١٦٦ ـ ١٨٤ عن مصادر كثيرة.

(١) راجع: الغدير ج١ ص١٨٤ ـ ١٨٥.

بسنوات، وإنما دخل العراق شراذم من الصحابة بعد ذلك..

كما أن هذا الإستشهاد قد جاء على سبيل الإتفاق، ولم يُهيَّأ له الناس، ولا طُلِبَ من الصحابة الحضور للشهادة، لكي تكثر الشهود، وتحضر الرواة، وكان في الحاضرين من يخفي شهادته حنقاً أو سفهاً.

الثاني: شهادتان.. لا شهادة واحدة:

قد ظهر مما تقدم أن ثمة اختلافاً في عدد من شهد. فهل سبب ذلك هو أنهم أرادوا عدّ خصوص من كان بدرياً. أو أنصارياً، أو على جانبي المنبر.. أو ان بعضهم أراد تقليل العدد لحاجة في نفسه قضاها؟! كل ذلك محتمل.

وثمة احتمال آخر، أشير إليه في هامش كتاب الغدير[1] وقد لهجت بصحته النصوص نفسها، وهو: أن هناك مناشدتين:

إحداهما: جرت داخل المسجد، ومن على منبره بالذات، فقام ستة شهود من كل جانب من جانبي المنبر.. أو قامت جماعة كان منهم اثنا عشر بدرياً[2].

---

(١) راجع الغدير (ط مركز الغدير للدراسات) ج١ ص٣٧٨.

(٢) راجع: مسند أحمد ج٤ ص٣٧٠ وفضائل الصحابة ص١١٦٧والبداية والنهاية ج٥ ص٢١١ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج٧ ص٣٨٤. وعن الضياء في المختارة، وينابيع المودة ج٢ ص١٥٩ والبحار ج٣ ص١٨ وج٣٧ ص١٩٦ وج٤١ ص٢٠٥ وج٤٢ ص١٤٨ والخرائج والجرائح ج١ ص٢٠٨ و الإرشاد للمفيد ج١ ص٣٥٢ والعمدة لابن البطريق ص١٠٦ و ١١٠ وكتاب الأربعين للشيرازي ص١١٤ وخلاصة عبقات الأنوار ج٣ ص٢٦١ وج٩ ص٢٥ وشرح إحقاق الحق ج٦ ص٣١٨ وج١٦ ص٥٧٩ إضافة إلى مصادر أخرى تقدمت.

وأخرى: في خارج المسجد في الرحبة التي أمامه.. فقام ناس كثير، أو ثلاثون رجلاً(١).

وهناك احتمال ثالث، وهو: أن تكون هذه المناشدات في مسجد الكوفة وفي رحبته قد جرت عدة مرات.. ويدل على ذلك حديث الركبان التالي:

٥ ـ مناشدة علي «عليه السلام» حين خروجه من القصر، حيث استقبله ركبان متقلدون السيوف، فقالوا له: السلام عليكم يا مولانا ورحمة الله وبركاته.

فقال «عليه السلام»: مَنْ ها هنا من أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله»؟

فقام ثلاثة عشر (أو اثنا عشر) رجلاً، فشهدوا أنهم سمعوا النبي «صلى الله عليه وآله» يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه(٢).

---

(١) مسند أحمد ج١ ص٨٨ و ١١٩ وأمالي المحاملي ص١٦٢ والبداية والنهاية ج٧ ص٣٤٨ وأسد الغابة ج٤ ص٢٨ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٠٥ ومسند أبي يعلى ج١ ص٤٢٩ وكنز العمال ج١٣ ص١٧٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٢٠٦ و ٢٠٧ وذكر أخبار إصبهان ج٢ ص٢٢٨ وتاريخ بغداد ج١٤ ص٢٤٠ والمراجعات للسيد شرف الدين ص٢٦٨ و ٢٧٠و ٣٨٨ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص٨٣ و ٦٢ و ٨٦ و ١٢٩ و ١٨٦ و ٢٠٧ و ٣٤١ و ٣٦١ وج٩ ص١٧ و ٢٠ وج٣٧ ص١٢٥ و ١٤٨ و ١٨٨ و ٢٠٠ وكتاب الأربعين للماحوزي ص١٤٦ ومناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج٢ ص٣٦٧ و ٤٠٨ و ٤٣٧ و ٤٤٤ و ٤٤٥ والأمالي ص٢٥٥ وكتاب الأربعين للشيرازي ص١١٨ والطرائف لابن طاووس ص١٥١ والعمدة لابن البطريق ص٩٣ بالإضافة على مصادر أخرى تقدمت.

(٢) راجع: الغدير ج١ ص١٨٩ و ١٩٠ وشرح الأخبار للقاضي النعمان ج١ ص١٠٩ وأسد الغابة ج١ ص٣٦٨ والبحار ج٤١ ص٢١٣ وخلاصة عبقات الأنوار ج٣ ص٢٦١ و ج٧ ص١٩٩ وج٩ ص٢٥ وكتاب الولاية لابن عقدة =

وذكرت نصوص أخرى: أن ركباناً أتوه فشهدوا له بحديث الغدير، وهو في رحبة الكوفة، فيهم أبو أيوب الأنصاري[1]، فيحتمل تعدد الواقعة.

= ص٢٤١ واختيار معرفة الرجال ج١ ص٢٤٦ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٢ ص٢١٦ و ٣٢٦ و ٣٣١ وكتاب الولاية لابن عقدة ص٢٤١ ونقد الرجال ج١ ص٢٦٥ ومعجم رجال الحديث ج٤ ص١٨٥ وأعيان الشيعة ج٣ ص٥٥١ وج٤ ص٥٣٩ والمناشدة والإحتجاج بحديث الغدير ص٥٩ و ٦٠ و ٦١ وشرح إحقاق الحق ج٦ ص٣٣٤.

(١) راجع: الغدير ج١ ص١٨٧ و ١٨٨ و ٣٨٠ ومسند أحمد ج٥ ص٤١٩ والمعجم الكبير ج٤ ص١٧٣ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٣١ وج٧ ص٣٨٤ وأعيان الشيعة ج٦ ص٢٨٧ونهج الإيمان لابن جبر ص١١٦ والعدد القوية ص١٨٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤٢٢ وجواهر المطالب ج١ ص٨٣ وينابيع المودة ج١ ص١٠٧ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٢ ص٢١٥ وشرح النهج للمعتزلي ج٣ ص٢٠٨ وغاية المرام ج١ ص٢٦٩ و ٢٨٢ و ٣٠٠ وكشف المهم في طريق خبر غدير خم ص١٠١ و ١٤٨ والمناشدة والإحتجاج بحديث الغدير ص٥٧ و ٥٨ وشرح الأخبار للقاضي النعمان ج١ ص١٠٨ ومعجم الرجال والحديث لمحمد حياة الأنصاري ج١ ص٣٧ و ٥٠ و ٦٢ و ٢٦٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٢١١ والدرجات الرفيعة ص٣١٥ و ٤٥٣ والعمدة ص٩٤ و ١٠٩ والإكمال في أسماء الرجال ص١٥ والبحار ج٣٧ ص١٤٨ ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص١٢٨ وخلاصة عبقات الأنوار ج١ ص٤٩ و ج٣ ص٢٦١ وج٧ ص٤٠ و ٧٠ و ٩٤ و ١٣٦ و ١٦٦ و ١٦٩ و ٢٣٥ وج٩ ص١٣٥ و ١٣٦ و ١٣٧ والمراجعات ص٢٧٣ وموسوعة أحاديث أهل البيت «عليهم السلام» ج٧ ص٣٤٢ وشرح إحقاق الحق ج٦ ص٢٥١ و ٣٢٦ وج١٦ ص٥٦٥ وج٢١ ص٥٩ و ٦٠ وج٢٣ ص٧ ص٦٣٦ وج٣٠ ص٤٢٢ و ٤٢٥.

وتذكر النصوص هنا أيضاً: أن بعض من لم يشهد أصيب ببلاء أيضاً، وهم ستة أشخاص[١].

٦ ـ إحتج «عليه السلام» على طلحة بحديث الغدير في حرب الجمل[٢].

٧ ـ ناشدهم «عليه السلام» بحديث الغدير أيضاً في صفين، فشهد له اثنا عشر بدرياً[٣].

٨ ـ واحتجت فاطمة الزهراء «عليها السلام» على غاصبي حقوقها بحديث الغدير أيضاً[٤].

---

(١) راجع: الإرشاد للمفيد ج١ ص٣٥٢ وكشف الغمة ج١ ص٢٨٧ وشرح النهج للمعتزلي ج٤ ص٧٤ وكتاب الولاية لابن عقدة ص٢٤٦ وأسد الغابة ج٣ ص٣٢١ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٢٠٨ ومجمع الزوائد ج٩ ص١٠٦ وقاموس الرجال ج١١ ص١١٦ والمعجم الكبير ج٥ ص١٧١ و ١٧٥ والإكمال في أسماء الرجال ص٧٢ وخلاصة عبقات الأنوار ج٣ ص٢٦٢ وج٧ ص١١٦ وج٩ ص٢٣ و ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٣٠٨ و ٣١٨ و ٣٢٠ وج٨ ص٧٤٣ و ٧٤٥ وج١٦ ص٥٦٧ وج٣٠ ص٣٩٧ والبحار ج٣٧ ص٢٠٠ والغدير ج١ ص١٩٢.

(٢) راجع: تخريج الأحاديث والآثار ج٢ ص٢٣٥ وكنز العمال ج١١ ص٣٣٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٥ ص١٠٨ والغدير ج١٠ ص١٢٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٢٤٩ و ٣٣٦ وج١٦ ص٥٦٨ وج٢٣ ص١٥ وج٢٣ ص٦٣١ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٣٧١ والإكمال في أسماء الرجال ص١١٥.

(٣) راجع: كتاب سليم بن قيس (بتحقيق الأنصاري) ص٢٩٥ والبحار ج٣٣ ص١٤٦ والغدير ج١ ص١٩٥.

(٤) راجع: خلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص١٨٨ وج٩ ص١٠٣ و ١٠٥ و ١٠٦ =

٩ ـ احتج به الإمام الحسن «عليه السلام» المجتبى في خطبته حين فرضت عليه الهدنة مع معاوية[١].

١٠ ـ خطب الإمام الحسين «عليه السلام» بمنى في أكثر من سبع مائة رجل عامتهم من التابعين، ونحو مائتي رجل من أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله»، فكان مما قال: «أنشدكم الله، أتعلمون أن رسول الله نصبه يوم غدير خم، فنادى له بالولاية، وقال: ليبلغ الشاهد الغائب»؟

قالوا: اللهم نعم[٢].

ونضيف إلى ما تقدم:

١١ ـ إحتجاج عبد الله بن جعفر على معاوية بحديث الغدير[٣].

١٢ ـ واحتج رجل همداني اسمه برد على عمرو بن العاص بحديث

= وقاموس الرجال ج١٢ ص٣٣٤ والغدير ج١ ص١٩٧ وشرح إحقاق الحق ج٢١ ص٢٧.

(١) راجع: الأمالي للطوسي ص٥٦١ والبحار ج١٠ ص١٣٨ وج٦٩ ص١٥١ والغدير ج١ ص١٩٧ وينابيع المودة ج٣ ص٣٦٦ وكتاب الولاية لابن عقدة ص١٨٢ وشرح إحقاق الحق ج٥ ص٥٨ وعن حلية الأبرار ج١ ص٢٥٣ وتفسير البرهان ج٣ ص٣١٥ ح٢٦.

(٢) راجع: كتاب سليم بن قيس (تحقيق الأنصاري) ص٣٢٠ والبحار ج٣٣ ص١٨٣ والغدير ج١ ص١٩٨ وراجع: الإحتجاج للطبرسي ج٢ ص١٩ وصلح الحسن «عليه السلام» للسيد شرف الدين ص٣٢٤.

(٣) راجع: كتاب سليم بن قيس (بتحقيق الأنصاري) ص٣٦٢ والبحار ج٣٣ ص٢٦٥ والغدير ج١ ص١٩٩.

الغدير[١].

١٣ ـ واحتج به عمرو بن العاص على معاوية[٢].

١٤ ـ واحتج به عمار بن ياسر على عمرو بن العاص[٣].

١٥ ـ واحتج به أصبغ بن نباتة في مجلس معاوية أيضاً[٤].

١٦ ـ وناشد شاب أبا هريرة بحديث الغدير في مسجد الكوفة[٥].

---

(١) راجع: الامامة والسياسة (بتحقيق الزيني) ج١ ص٩٧ و (بتحقيق الشيري) ج١ ص١٢٩ والحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب للسيد فخار بن معد ص٢٣٢ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص٨٢ والغدير ج١ ص٢٠١ وج٩ ص١٣٧ وشرح إحقاق الحق ج٦ ص٢٨٥ وج٣١ ص٣٨٢ وج٣٢ ص٣٨٢.

(٢) راجع: المناقب للخوارزمي ص١٩٩ وكشف الغمة ج١ ص٢٥٨ والبحار ج٣٣ ص٥٢ والعقد النضيد والدر الفريد لمحمد بن الحسن القمي ص و٨٨ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص١٤٨ والغدير ج١ ص٢٠١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٥ ص٥١.

(٣) راجع: كتاب الفتوح لابن أعثم الكوفي ج٣ ص٧٧ وشرح النهج للمعتزلي ج٨ ص٢١ ووقعة صفين للمنقري ص٣٣٨ والبحار ج٣٣ ص٣٠ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٦٣٠ والغدير ج١ ص٢٠٢ وج٢ ص١٤٥.

(٤) راجع: المناقب للخوارزمي ص٢٠٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٢٥٧ والغدير ج١ ص٢٠٢.

(٥) راجع: الإيضاح لابن شاذان ص٥٣٥ والغارات للثقفي ج٢ ص٦٥٨ ومناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج٢ ص٣٩٤ والسيرة النبوية ج٤ ص٤٢٥ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٣٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٢٣٢ ومسند أبي يعلى ج١١ ص٣٠٦ والمصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٤٩٩ ومجمع =

١٧ ـ ناشد رجل زيد بن أرقم بحديث الغدير[١].

١٨ ـ ناشد عراقي جابر الأنصاري بحديث الغدير[٢].

قال الذهبي: هذا حديث حسن عال جداً، ومتنه متواتر[٣].

١٩ ـ واحتج به قيس بن سعد على معاوية[٤].

= الزوائد ج٩ ص١٠٥ والبحار ج٣٤ ص٣٢٥ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص١٨٥ و ٢٣٧ و ٣١٥ والغدير ج١ ص٢٠٣ وشرح إحقاق الحق ج٦ ص٢٥٨ وج٢١ ص٦٢ و ٦٣.

(١) راجع: المعجم الكبير ج٥ ص١٩٤ وينابيع المودة ج٢ ص٢٨٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٢١٦ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص١١١ و ١٧٨ والغدير ج١ ص٢٠٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٢٣٢ وج٢١ ص٤٣.

(٢) راجع: سير أعلام النبلاء ج٨ ص٣٣٤ وقال في هامشه: حديث صحيح، أخرجه ابن ماجة (١٢١) من حديث سعد بن أبي وقاص، وأخرجه أحمد ج٤ ص٣٦٨ والترمذي (٧١٣) من حديث زيد بن أرقم، وأخرجه أحمد ج١ ص٨٤ و ١١٨ و ١١٩ و ١٥٢ من حديث علي، و ٣٣١ من حديث ابن عباس، وج٤ ص٢٨١ من حديث البراء، وج٤ ص٣٦٨ و ٣٧٠ و ٣٧٢ من حديث زيد بن أرقم، وج٥ ص٣٤٧ من حديث بريدة، و ٤١٩ من حديث أبي أيوب الأنصاري.

وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٢٢٥ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص٢٦٠ والغدير ج١ ص٢٠٥ وشرح إحقاق الحق ج٦ ص٢٥٤ وج٢١ ص٦٧ وج٣٠ ص٤١٠ و ٤١١ والجوهرة في نسب الإمام علي وآله للبري التلمساني ص٦٧.

(٣) راجع: سير أعلام النبلاء ج٨ ص٣٣٤.

(٤) راجع: البحار ج٣٣ ص١٧٣ ـ ١٧٥ والغدير ج١ ص١٠٦ ـ ١٠٨ وكتاب سليم بن قيس ج٢ ص٧٧٧ ح٢٦ و (بتحقيق الأنصاري) ص٣١١.

٢٠ ـ واحتجت به دارمية الحجونية على معاوية[١].

٢١ ـ احتج به عمرو الأودي على قوم كانوا ينالون من أمير المؤمنين «عليه السلام»[٢].

٢٢ ـ استشهد عمر بن عبد العزيز بحديث الغدير أيضاً[٣].

٢٣ ـ استشهد زريق مولى علي بن أبي طالب على عمر بن عبد العزيز بحديث الغدير[٤].

٢٤ ـ احتج المأمون بحديث الغدير على الفقهاء، وفيهم إسحاق بن

---

(١) راجع: بلاغات النساء لابن طيفور ص٧٢ والطرائف ص٢٧ عن العقد الفريد (ط مصر ١٣١٦هـ) ج١ ص١١٥ والبحار ج٣٣ ص٢٦٠ والغدير ج١ ص٢٠٨ و ٣٤٤ ومستدرك سفينة البحار ج٣ ص٢٧٣ والإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» للرحماني ص٧٦٧ ومستدركات علم رجال الحديث ج٨ ص٥٧٣ وقاموس الرجال ج١٢ ص٢٥٤.

(٢) راجع: الأمالي للطوسي ص٥٥٨ والبحار ج٤٠ ص٦٩ والغدير ج١ ص٢٠٩.

(٣) راجع: بشارة المصطفى ص٣٧٨ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص١٧٧ والإمام علي «عليه السلام» في آراء الخلفاء للشيخ مهدي فقيه إيماني ص١٧٣ وفي هامشه عن: حلية الأولياء ج٥ ص٣٦٤ وأسد الغابة ج٥ ص٣٨٣ ترجمة عمر بن عبد العزيز، وتاريخ مدينة دمشق ج٥ ص٣٢٠ [و (ط دار الفكر) ج٦٥ ص٣٢٤] رواية زريق القرشي المدني، وفرائد السمطين ج١ ص٦٦ باب (١٠) ح٣٢ ونظم درر السمطين ص١١٢. وراجع: شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٢٨٥ وج٢١ ص٩٢ وج٢٢ ص١١٨.

(٤) راجع: تاريخ مدينة دمشق ج١٨ ص١٣٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢١ ص٥١.

إبراهيم، ويحيى بن أكثم[1].

تحريف كتاب المعارف:

قال المعتزلي: «وروى سفيان الثوري، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن عمر بن عبد الغفار: أن أبا هريرة لما قدم الكوفة مع معاوية، كان يجلس بالعشيات بباب كندة، ويجلس الناس إليه، فجاء شاب من الكوفة، فجلس إليه، فقال: يا أبا هريرة، أنشدك الله، أسمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول لعلي بن أبي طالب: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»!

فقال: اللهم نعم.

قال: فأشهد بالله، لقد واليت عدوه، وعاديت وليه! ثم قام عنه»[2].

---

(١) راجع: قاموس الرجال ج١٢ ص١٥٥ والغدير ج١ ص٢١٠ والإمام علي «عليه السلام» في آراء الخلفاء للشيخ مهدي فقيه إيماني ص١٨٢ ـ ١٩٧ وفي هامشه عن: العقد الفريد ج٥ ص٩٢ ـ ١٠١ وعيون أخبار الرضا للصدوق ج٢ ص١٨٥ ـ ٢٠٠ باختلاف يسير.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج٤ ص٦٨ الخطبة رقم ٥٦ وكشف الأستار عن مسند البزار الحديث رقم ٢٥٣١ والمصنف لابن أبي شيبة حديث رقم ١٢١٤١ والمطالب العالية حديث ٣٩٥٨ وراجع: أضواء على السنة المحمدية ص٢١٧ وشيخ المضيرة أبا هريرة لأبي رية ص٢٣٧ والنص والإجتهاد ص٥١٥ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص٢٣٠ والغدير ج١ ص٢٠٤ ومناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج٢ ص٤٠٣ والإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» لأحمد الرحماني ص٥٦٢ والبحار ج٣٧ ص١٩٩ ومواقف الشيعة ج٢ ص٣١١ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب =

ثم يواصل كلامه عن أبي هريرة، وأنه كان يؤاكل الصبيان في الطريق، ويلعب معهم. ويخطب الناس بالمدينة.. ثم يقول:

«**قلت**: قد ذكر ابن قتيبة هذا كله في كتاب، المعارف، في ترجمة أبي هريرة، وقوله فيه حجة، لأنه غير متهم عليه».

قال الأميني «رحمه الله»: «هذا كله قد أسقطته عن كتاب المعارف (ط مصر سنة ١٣٥٣هـ) يد التحريف اللاعبة به، وكم فعلت هذه اليد الأمينة لدة هذه في عدة موارد منه، كما أنها أدخلت فيه ما ليس منه، وقد مر الإيعاز إليه ص١٩٢»(١).

ويبدو أن هناك طبعات أخرى قد أهملت ذلك أيضاً، فراجع طبعة سنة ١٣٩٠ هـ.

وقد ذكرنا: أن هذا الكتاب قد حرف في موارد أخرى، منها ما يرتبط بإسقاط الزهراء «عليها السلام» لجنينها المحسن بضرب عمر بن الخطاب لها..

تحريف كتاب تاريخ اليعقوبي:

قال اليعقوبي في تاريخه ج٢ ص٣٧ (ط النجف الأشرف سنة ١٣٥٨):

«وقد قيل: إن آخر ما نزل عليه: **{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ**

= والسنة والتاريخ ج١١ ص٣٥١ وغاية المرام ج١ ص٣٠٠ وكشف المهم في طريق خبر غدير خم ص١٥٠ والمناشدة والإحتجاج بحديث الغدير ص٨٣ وراجع: مناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج٢ ص٤٠٣.

(١) الغدير ج١ ص٢٠٤.

نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً}(١).

وهي الرواية الصحيحة، الثابتة الصريحة. وكان نزولها يوم النص على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه، بغدير خم».

لكن تاريخ اليعقوبي المطبوع في بيروت سنة (مطبوع في دار صادر ـ بيروت سنة ١٣٧٩ هـ ـ و١٩٦٠م) ج٢ ص٤٣ قد جاء محرفاً كما يلي: «وكان نزولها يوم النفر على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه بعد ترحم».

وقد ذكرنا طائفة أخرى من الكتب المحرفة في كتابنا: «دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام» فراجع.

وعلى كل حال، فليس هذا بالغريب على هؤلاء، وإنما هي «شنشنة أعرفها من أخزم».

ب ـ إحتجاج الزهراء ÷ :

روى شمس الدين أبو الخير الجزري الدمشقي المقري الشافعي في كتابه أسنى المطالب في مناقب سيدنا علي بن أبي طالب ص٤٩ ـ ٥١ قال عن حديث الغدير:

فألطف طريق وقع بهذا الحديث وأغربه ما حدثنا به شيخنا خاتمة الحفاظ، أبو بكر محمد بن عبد الله بن المحب المقدسي مشافهة: أخبرتنا الشيخة أم محمد زينب ابنة أحمد عبد الرحيم المقدسية، عن أبي المظفر محمد

---

(١) الآية ٣ من سورة المائدة.

بن فتيان بن المثنى، أخبرنا أبو موسى محمد بن أبي بكر الحافظ، أخبرنا ابن عمة والدي القاضي أبو القاسم عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد المدني بقراءتي عليه، أخبرنا ظفر بن داعي العلوي باستراباد، أخبرنا والدي وأبو أحمد ابن مطرف المطرفي قالا: حدثنا أبو سعيد الإدريسي إجازة فيما أخرجه في تاريخ استراباد، حدثني محمد بن محمد بن الحسن أبو العباس الرشيدي من ولد هارون الرشيد بسمرقند وما كتبناه إلا عنه، حدثنا أبو الحسين محمد بن جعفر الحلواني، حدثنا علي بن محمد بن جعفر الأهوازي مولى الرشيد، حدثنا بكر بن أحمد القسري.

حدثتنا فاطمة وزينب وأم كلثوم بنات موسى بن جعفر «عليه السلام»، قلن حدثتنا فاطمة بنت جعفر بن محمد الصادق، حدثتني فاطمة بنت محمد بن علي، حدثتني فاطمة بنت علي بن الحسين، حدثتني فاطمة وسكينة ابنتا الحسين بن علي عن أم كلثوم بنت فاطمة عن فاطمة بنت النبي، رسول الله «صلى الله عليه وآله» ورضي عنها، قالت:

أنسيتم قول رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم غدير خم، من كنت مولاه فعلي مولاه؟

وقوله «صلى الله عليه وآله»: أنت مني بمنزلة هارون من موسى «عليهما السلام»؟

وهكذا أخرجه الحافظ أبو موسى المديني في كتابه المسلسل بالأسماء، وقال:

هذا الحديث مسلسل من وجه، وهو أن كل واحدة من الفواطم تروي

عن عمة لها، فهو رواية خمس بنات أخ كل واحدة منهن عن عمتها[١].

حديث الولاية إخبار أم إنشاء؟!:

ومن الأسئلة التي تطرح هنا السؤال التالي:

هل جملة: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» خبرية محضة، أو أنها خبرية يراد بها الإنشاء؟!.

ويجاب بما يلي:

إنه سواء أكانت جملة «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» خبرية محضة، أم خبرية يراد بها الإنشاء، فإن النتيجة واحدة، ولا يُلْحِقُ ذلك أي ضرر في الاستدلال بها على ولاية أمير المؤمنين «عليه السلام»..

غير أننا نقول: إن النبي «صلى الله عليه وآله» كان قد أخبرهم وبيَّن لهم طيلة أكثر من عشرين سنة أن علياً «عليه السلام» هو الإمام من بعده، وكان ذلك منه «صلى الله عليه وآله» بأمر من الله سبحانه..

وقد يعترض على ذلك: بأنه إذا كانت ولاية أمير المؤمنين «عليه السلام» ثابتة من أول بعثة النبي «صلى الله عليه وآله»، فما معنى إعادة إنشائها في يوم الغدير؟ فإن إنشاء الولاية فيه معناه: أنها لم تكن ثابتة قبل ذلك، وأنها إنما توجد بهذا الإنشاء..

وهذه شبهة في دلالة حديث الغدير، من شأنها أن تجعل الناس كلهم معذورين في عدم الإلتزام بولايته «عليه السلام»..

---

(١) راجع الغدير ج١ ص١٩٧.

والجواب: إنه لا مانع من إنشاء الولاية مرة بعد أخرى، فيأتي اللاحق ليؤكد السابق، خصوصاً إذا كان هناك من يفكر في الإنقلاب على الأعقاب، ويسعى للتشكيك في جدية الأوامر الصادرة، أو في الإلتفاف عليها بطريقة أو بأخرى، أو تجاهلها. وهذا نظير تأكيدات رسول الله «صلى الله عليه وآله» على الناس مرة بعد أخرى بأن جهزوا جيش أسامة.

وتتأكد صحة هذا المعنى إذا كان في الحشد المجتمع يوم الغدير من لم تبلغه الإنشاءات السابقة، أو أنه قد طرحت عليه بعض الشبهات، والتشكيكات، من قبل الطامعين، والطامحين..

لا دليل على إمامة علي × بلا فصل:

وقد يقول بعضهم: لو سلم دلالة الحديث على إمامة علي «عليه السلام»، فلا نسلم دلالته على كونها بعد النبي «صلى الله عليه وآله» بلا فصل، لكي تنتفي إمامة الثلاثة: أبي بكر، وعمر، وعثمان.

ويرد عليه:

أولاً: كيف يترك النبي «صلى الله عليه وآله» في حال تصديه لنصب إمام المسلمين من بعده، حذراً من حضور أجله ـ كيف يترك ـ ذكر ثلاثة من خلفائه، وينص على الرابع منهم، والذي سيكون إماماً بعد خمس وعشرين سنة من وفاته «صلى الله عليه وآله»؟!.

ولو جاز ذلك، لكان جميع ولاة العهد محل كلام، إذ لا يقول السلطان عادة: هذا ولي عهدي بلا فصل.

ثانياً: لو أخذنا هؤلاء، فإنه حتى لو قال «صلى الله عليه وآله»: من

كنت مولاه فعلي مولاه بعدي، لقالوا: لا منافاة بين البعدية وبين الفصل بغيره، كما صنع القوشجي في قوله: أنت وصيي وخليفتي من بعدي.

بل لو قال: فعلي مولاه بعدي بلا فصل، لقالوا: يحتمل أن يكون المعنى بلا فصل من غير الثلاثة!![1].

ثالثاً: إن حديث الغدير يدل على جعل الولاية لعلي «عليه السلام» فعلاً. ومن حين صدور الكلام.. لا أنه يجعلها له بعد وفاته «صلى الله عليه وآله».

رابعاً: إن الخلفاء الثلاثة لم يجعل لهم النبي «صلى الله عليه وآله» ولاية، بل هم الذين استأثروا بالأمر لأنفسهم، فتبقى الولاية المجعولة له بحديث الغدير بلا مزاحم.

هل الإمامة لتكميل الخطة العملية للدين؟!:

ويحاول بعض الناس أن يزعم: أن الإمامة تدخل في نطاق إكمال البرنامج العملي، الذي لم يكمله النبي «صلى الله عليه وآله»، فاحتاج إلى من يكمله بعده.

وعلى أساس ذلك تم التفتيش بين المسلمين عن هذه الشخصية التي تستطيع ملء الفراغ بعد النبي «صلى الله عليه وآله»، فلم يكن غير الإمام علي «عليه السلام».

ونقول في الجواب:

إنه لا ريب في أن ولاية أمير المؤمنين «عليه السلام» التي أمر الله سبحانه نبيه «صلى الله عليه وآله» بأن يبلغها في يوم الغدير وغيره، جزء من دين

---

(١) راجع: دلائل الصدق ج٢ ص٦٢ و٦٣.

الإسلام الحنيف، وقد دلت نفس الآيات القرآنية التي نزلت في مناسبة الغدير على ذلك.. فلاحظ:

١ ـ قوله تعالى لنبيه «صلى الله عليه وآله»: **{يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}**(١).

حيث يستفاد من هذه الآية:

أولاً: إن عدم تبليغ ولاية أمير المؤمنين علي «عليه السلام» يوازي عدم تبليغ الدين كله. فلو كانت الحاجة إلى الإمام علي «عليه السلام» هي مجرد حاجة إلى مساعد في إكمال البرنامج العملي، فإن ذلك يتم عبر الاستعانة به، وتمهيد الأمور له ليمسك بزمامها، ولا يحتاج ذلك إلى نص عليه من الله، وتسجيل ذلك في آيات قرآنية تتلى إلى يوم القيامة، ولا إلى تبليغ ما أنزل إليه من الله تعالى، ولا يكون ترك ذلك التبليغ بمثابة ترك تبليغ الرسالة كلها..

إذ إن الحديث في الآية إنما هو عن قيمة مجرد الإبلاغ، وليس الحديث عن نفس الاستعانة بالإمام علي «عليه السلام» في إكمال البرنامج العملي، في حركة الرسالة في الواقع!!

ثانياً: إنه تعالى قد جعل الآخرين الذين لا يرضون بولاية الإمام علي «عليه السلام» من القوم الكافرين، وهم إنما يكفرون بإنكار حقائق الدين، لا بمجرد الاعتراض على أن يكون الإمام علي «عليه السلام» هو المكمل للبرنامج العملي، إذا كان ذلك ناشئاً عن حسد، أو هوى، لا عن تكذيب

---

(١) الآية ٦٧ سورة المائدة.

للرسول «صلى الله عليه وآله»، وإنكار لصدقه فيما يبلغهم إياه..

ثالثاً: إن الظاهر هو أن السبب في اعتبار عدم إبلاغ ولايته «عليه السلام» مساوياً لعدم إبلاغ الرسالة كلها، هو أن أعمال العباد لا تقبل بدون ولاية الإمام علي «عليه السلام»، فلو أن أحداً قام ليله، وصام نهاره، وحج دهره، ولم يأت بولاية الإمام علي «عليه السلام» لم ينفعه ذلك كله شيئاً..

كما أن ولايته صلوات الله وسلامه عليه شرط لاكتمال التوحيد، وفقاً لما روي عن الإمام الرضا «عليه السلام»، عن آبائه «عليهم السلام»، عن جبرئيل «عليه السلام»، عن الله سبحانه وتعالى: «كلمة لا إله إلا الله حصني، فمن دخل حصني أمن من عذابي».

ثم قال الإمام الرضا «عليه السلام»: «بشروطها، وأنا من شروطها»[1].

---

(١) راجع: نقله في مجلة مدينة العلم، (السنة الأولى) ص٤١٥ عن صاحب تاريخ نيسابور، وعن المناوي في شرح الجامع الصغير، وهي أيضاً في الصواعق المحرقة ص ١٢٢، وحلية الأولياء ٣ ص ١٩٢، وعيون أخبار الرضا ج٢ ص١٣٥و (ط مؤسسة الأعلمي) ج١ ص١٤٥ وأمالي الصدوق ص٢٠٨، وينابيع المودة ص ٣٦٤ و ٣٨٥ وقد ذكر قوله «عليه السلام»: وأنا من شروطها، في الموضع الثاني فقط. والبحار ج٤٩ ص١٢٣ و ١٢٦ و ١٢٧ ج٣ ص٧ عن ثواب الأعمال، ومعاني الأخبار، وعيون أخبار الرضا «عليه السلام»، والتوحيد، والفصول المهمة لابن الصباغ ص٢٤٠ ونور الأبصار ص١٤١ ونقلها في مسند الإمام الرضا ج١ ص٤٣ و ٤٤ عن التوحيد، ومعاني الأخبار، وكشف الغمة ج٣ ص٩٨. وهي موجودة في مراجع كثيرة أخرى. لكن يلاحظ: أن بعض هؤلاء قد حذف قوله «عليه السلام»: «بشروطها، وأنا من شروطها»، ولا يخفى السبب في ذلك.

وراجع: التوحيد ص٢٥ وثواب الأعمال للصدوق ص٧ ومعاني الأخبار للصدوق =

وفي نص آخر: «ولاية علي بن أبي طالب حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي».

ومعنى ذلك أنه لا فرق بينهما لجهة: أن كلاً منهما ـ أي التوحيد، وولاية الإمام علي «عليه السلام» ـ حصن الله سبحانه.

فقوله تعالى: **{وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ}**(1) يعطينا: أن حقائق الإسلام وشرائعه وأحكامه بمثابة الجسد، المكتمل في تكوينه، والجامع لكل الميزات، والحائز على جميع الإمكانات والطاقات.. ولكنه يبقى خامداً هامداً، لا فائدة فيه إلا إذا نفخت فيه الروح، فتبدأ اليد بالحركة، وتدب فيها القوة، وتصبح العين قادرة على الرؤية، والأذن متمكنة من السمع، وتعطيه اليقظة في العقل وفي المشاعر والأحاسيس و.. و.. الخ..

فولاية الإمام علي «عليه السلام» إذن بمثابة هذه الروح التي تجعل كل أحكام الدين وشرائعه، وحقائقه وقضاياه مؤثرة في الغايات المتوخاة منها، موصلة إلى الله تعالى، هادية إليه..

فإذا لم يبلِّغ الرسول «صلى الله عليه وآله» هذه الولاية، فإنه لم يبلغ أي شيء من رسالة الله سبحانه.. لأن جميع ما بلغه يكون ناقصاً، وبلا فائدة ولا عائدة، إذ ليس فيه روح وحركة وحياة، ولا يثمر ثمرة، ولا يؤدي إلى نتيجة..

= ص٣٧١ وروضة الواعظين للفتال النيسابوري ص٤٢ والمناقب لابن شهرآشوب ج٢ ص٢٩٦ وعوالي اللآلي ج٤ ص٩٤ ونور البراهين للجزائري ج١ ص٧٦ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٢٣٥ ومسند الإمام الرضا «عليه السلام» للعطاردي ج١ ص٤٤ وراجع: ينابيع المودة ج٣ ص١٢٣.

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

٢ ـ الآية الثانية: وهي قوله تعالى: **{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِيناً}**[١].. أفادت بملاحظة نزولها بمناسبة تبليغ ولاية الإمام علي «عليه السلام» يوم الغدير:

أولاً: إن ولاية الإمام علي «عليه السلام» جزء من الدين، ولا يكمل الدين إلا بها..

ثانياً: إن الإسلام كله لا يكون ديناً مرضياً لله سبحانه بدون هذه الولاية.. فلو كانت الحاجة إلى الإمام علي «عليه السلام» هي لمجرد المساعدة في إكمال البرنامج العملي في حركة الرسالة في الواقع، فلا معنى لربط رضا الله لدينه بها، فإن الدين إذا اكتمل، فإنه يصبح مرضياً، سواء طبّقه الناس، أم عصوا الله فيه..

أضف إلى ذلك أن الكل يعلم: أن الإمام علياً «عليه السلام» قد أقصي عن مركزه الذي جعله الله تعالى له.. فهل بقي هذا الرضا الإلهي لدين الإسلام، أم أنه قد ذهب وزال بسبب ذلك الإقصاء أيضاً.. فإذا كنا لا نشك في أن رضاه تعلى للإسلام قد بقي، فذلك يعني أن نفس إبلاغ الولاية هو الذي يكمل به الدين، وليس لطاعة الناس ومعصيتهم أثر في ذلك..

ثالثاً: إن رضاه تعالى للإسلام ديناً قد حصل بمجرد حصول ذلك الإبلاغ. وقد نزلت الآية الدالة على ذلك بمجرد حصول ذلك الإبلاغ، ولم يكن البرنامج العملي قد أكمل بعد. وذلك يعني أن الذي حصل بالإبلاغ هو إكمال الدين به فقط.. وذلك ظاهر لا يخفى.

---

(١) الآية ٣ من سورة المائدة.

وبذلك يتضح: أن ما ذكره ذلك البعض من أن آية **{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ}** قد نزلت قبل نصب علي «عليه السلام» يوم الغدير وأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد بلغ الرسالة للناس(١)، ينافي الآيتين المتقدمتين منافاة ظاهرة، ولا أقل من أنه ينافي صريح الآية الثانية..

على أن مقتضى كلامه هو أن الإمام علياً «عليه السلام» لم يكن هو الإنسان الذي اصطفاه الله قبل خلق الخلق، إذ مقتضاه: أن الأمر لا ينحصر بالإمام علي «عليه السلام»، فأي إنسان سواه كان يمكنه أن يساعد في إكمال البرنامج العملي، يمكن الاستعانة به، وقد يكون هناك اثنان أو أكثر كان بإمكانهم ـ لو اجتمعوا ـ أن يقوموا مقام الإمام علي «عليه السلام» في ذلك..

ويشير إلى ذلك قول ذلك البعض نفسه: «فلا بد أن يتم التفتيش بين المسلمين عن الشخصية التي تستطيع ملء الفراغ بعد رسول الله الخ..»(٢).

وهذا يخالف ما عليه مذهب شيعة أهل البيت «عليهم السلام»، وما هو الثابت لهم بالأدلة القاطعة، والبراهين الساطعة من القرآن ومن السنة الشريفة..

ويبقى أن نشير إلى أن ما ورد في السؤال من طلب معرفة الفرق بين الدين، وبين البرنامج العملي.. **فنقول**:

إن ذلك من أوضح الواضحات، وأبده البديهيات، فإن الدين هو مجموعة الأحكام والشرائع، والحقائق الإيمانية، الثابتة، التي يطلب من

---

(١) نظرة إسلامية حول الغدير ص١٦ من ١٨.

(٢) المصدر السابق ص١٩.

الناس الإيمان والعمل بها، إلى يوم القيامة..

وأما البرنامج العملي، فهو ما يطلب من خلاله تهيئة الظروف والمناخات لحمل الناس على قبول تلك الحقائق والإيمان بها، وعلى الالتزام العملي بتلك الشرائع والأحكام..

وهذا الأمر لا يحتاج إلى جعل، ولا إلى تشريع، بل هو نتيجة جهد بشري، سواء في مجال التخطيط، أو في مجال التنفيذ. والتدخل الإلهي في هذه الصورة إن كان، فهو إنما يأتي على سبيل المعونة والتسديد، وليس على سبيل الجعل والتشريع..

وأين هذا من الدين الذي لا بد من الرجوع فيه إلى الله سبحانه، والانتهاء إليه فيه..

وعلى كل حال نقول:

لو كانت القضية قضية إكمال برنامج عملي لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، يرتبط بتعميق الإسلام لدى أناس كانوا حديثي عهد بالجاهلية.. لم يكن الناس في الأجيال اللاحقة بحاجة إلى ولاية الإمام علي «عليه السلام»، لا من حيث الاعتقاد، ولا في دائرة العمل والممارسة.. ولكانت قضية ولايته محصورة بذلك الجيل من الناس دون سواهم..

كان الغدير رداً على زيد بن حارثة!!:

وجاء في حديث احتجاج المأمون على الفقهاء، وفيهم إسحاق بن إبراهيم قول المأمون لإسحاق: يا إسحاق، هل تروي حديث الولاية؟

قلت: نعم يا أمير المؤمنين.

قال: إروه.

ففعلت.

قال: يا إسحاق، أرأيت هذا الحديث، هل أوجب على أبي بكر وعمر ما لم يوجب لهما عليه؟

قلت: إن الناس ذكروا: أن الحديث إنما كان بسبب زيد بن حارثة، لشيء جرى بينه وبين علي، وأنكر ولاء علي، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه.

قال: في أي موضع قال هذا؟ أليس بعد منصرفه من حجة الوداع؟

قلت: أجل.

قال: فإن قتل زيد بن حارثة قبل الغدير!

كيف رضيت لنفسك بهذا؟

أخبرني لو رأيت ابناً لك قد أتت عليه خمسة عشر سنة يقول: مولاي مولى ابن عمي أيها الناس؟ فاعلموا ذلك. أكنت منكراً ذلك عليه تعريفه الناس ما لا ينكرون ولا يجهلون؟

فقلت: اللهم نعم.

قال: يا إسحاق أفتنزه ابنك عما لا تنزه عنه رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟

ويحكم لا تجعلوا فقهاءكم أربابكم إن الله جل ذكره قال في كتابه: **{اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللهِ}**(1). ولم يصلُّوا لهم، ولا

---

(1) الآية ٣١ من سورة التوبة.

صاموا، ولا زعموا أنهم أرباب، ولكن أمروهم فأطاعوا أمرهم(١).

والظاهر: أن إشكال المأمون هذا قد آتى ثماره، حيث جاء المصلحون بعد ذلك ليقولوا: إن هذه الحادثة قد جرت بين أسامة بن زيد بن حارثة وبين علي.. وقد كان أسامة حياً آنئذٍ، والذي قتل في مؤتة هو أبوه.. فذكروا: أن أسامة قال لعلي «عليه السلام»: لست مولاي، إنما مولاي رسول الله.

فقال «صلى الله عليه وآله»: «من كنت مولاه فعلي مولاه»(٢).

ومن الواضح: أن إشكال المأمون باستشهاد زيد في مؤتة يدل على أن إقحام اسم أسامة قد جاء متأخراً بهدف حل هذا الإشكال.

لكن لو سلمنا باستبدال زيد بأسامة، فإن إشكال المأمون بعدم معقولية أن يقول الرجل: مولاي مولى ابن عمي.. يبقى على حاله..

يضاف إلى ذلك: أنه لو صحت رواياتهم، فلا معنى لأن يوقف النبي «صلى الله عليه وآله» عشرات الآلاف في حر الرمضاء، ولا معنى لأخذ

---

(١) قاموس الرجال ج١٢ ص١٥٥ والغدير ج١ ص٢١١ ـ ٢١٢ والإمام علي «عليه السلام» في آراء الخلفاء للشيخ مهدي فقيه إيماني ص١٨٢ ـ ١٩٧ وفي هامشه عن: العقد الفريد ج٥ ص٩٢ ـ ١٠١ و (ط أخرى) ج٥ ص٥٦ ـ ٦١ وعيون أخبار الرضا للصدوق ج٢ ص١٨٥ ـ ٢٠٠ باختلاف يسير.

(٢) تحفة الأحوذي ج١٠ ص١٤٨ والنهاية لابن الأثير ج٥ ص٢٢٨ وعن السيرة الحلبية ج٣ ص٢٧٧ وفيض القدير شرح الجامع الصغير ج٦ ص٢٨٢ ومعاني القرآن للنحاس ج٦ ص٤١١ وكتاب الأربعين للماحوزي ص١٦٤ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص٤٢ والغدير ج١ ص٣٨٣ ولسان العرب ج١٥ ص٤١٠ وشرح إحقاق الحق ج٦ ص٢٤٤ و ٢٩١.

البيعة له.. ولا معنى لقول عمر: أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة.. ولا معنى لأن يحتاج إلى العصمة من الناس.. ولا معنى لإكمال الدين وإتمام النعمة، ولا معنى.. ولا معنى.. إذا كان ينحصر بهذا الخلاف البسيط بين أسامة وبين علي «عليه السلام».

علي × كان باليمن:

وذكر ياقوت الحموي: أن محمد بن جرير الطبري «له كتاب فضائل علي بن أبي طالب «عليه السلام»، تكلم في أوله بصحة الأخبار الواردة في غدير خم، ثم تلاه بالفضائل، ولم يتم»[1].

وقال: «وكان إذا عرف من إنسان بدعة أبعده واطَّرحه. وكان قد قال بعض الشيوخ ببغداد بتكذيب غدير خم، وقال: إن علي بن أبي طالب كان باليمن في الوقت الذي كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» بغدير خم.

وقال هذا الانسان في قصيدة مزدوجة، يصف فيها بلداً بلداً ومنزلاً منزلاً، أبياتاً يُلَوِّحُ فيها إلى معنى حديث غدير خم، فقال:

ثم مررنا بغدير خم ... كم قائل فيه بزور جم

على علي والنبي الأمي

وبلغ أبا جعفر ذلك، فابتدأ بالكلام في فضائل علي بن أبي طالب، وذكر طرق حديث غدير خم، فكثر الناس لاستماع ذلك الخ..»[2].

---

(١) معجم الأدباء ج١٨ ص٨٠ وقاموس الرجال ج٩ ص١٥٢.

(٢) معجم الأدباء ج١٨ ص٨٤ والغدير ج١ ص١٥٢.

وقال الطحاوي: «فدفع دافع هذا الحديث، وزعم أنه مستحيل، وذكر أن علياً لم يكن مع النبي «صلى الله عليه وآله» في خروجه إلى الحج من المدينة، الذي مرَّ في طريقه بغدير خم بالجحفة..»(١).

ونقول:

إن علياً «عليه السلام» لم يكن باليمن آنئذٍ، لأنه عاد منها في أيام الحج، وشارك في حجة الوداع، وأشركه النبي «صلى الله عليه وآله» معه في الهدي، وبعد انتهاء حجة الوداع توجه النبي «صلى الله عليه وآله» ومعه علي «عليه السلام» إلى المدينة، وجرت قصة الغدير في طريق العودة(٢).

ويفهم من كلام الذهبي: أن الذي تكلَّم في حديث الغدير ودفعه وردِّه بهذا الزعم الباطل، هو ابن أبي داود، فبلغ ذلك محمد بن جرير، فعمل كتاب الفضائل، ثم قال: قلت: رأيت مجلداً من طرق الحديث لابن جرير، فاندهشت له، ولكثرة تلك الطرق(٣).

وذكر ابن طاووس: أن ابن جرير سمى كتابه المشار إليه: «كتاب الرد

---

(١) تذكرة الحفاظ ج٢ ص٧١٣ رقم ٧٢٨ والغدير ج١ ص٣١٤ و ٢٩٤.

(٢) إقبال الأعمال ص٤٥٣ وأشار إلى كتاب ابن جرير في البداية والنهاية ج١١ ص١٤٦ وتهذيب التهذيب ج٧ ص٣٣٩ والفهرست للطوسي ص١٥٠.

(٣) تذكرة الحفاظ ج٢ ص٧١٣ ومشكل الآثار ج٢ ص٣٠٨ والصواعق المحرقة ص٤٢ و ٤٣ والمعتصر من المختصر ج٢ ص٣٠١ والمرقاة في شرح المشكاة ج١٠ ص٤٧٦ والمسترشد للطبري (الشيعي) ص٤٣ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص٢١٩ والغدير ج١ ص١٥٢ و ٣٠٧ والإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» لأحمد للرحماني ص٨٠٨ وفتح الملك العلي لابن الصديق المغربي ص١٥.

على الحرقوصية»[١]. نسبة إلى حرقوص، أحد زعماء الخوارج، كأنه يشير إلى أن الذي شكك في حديث الغدير كان من هذه الفرقة الخبيثة.

من هما العبدان الصالحان؟!:

ورد في رواية جرير بن عبد الله البجلي لواقعة الغدير: أنه «صلى الله عليه وآله» أخذ بذراع علي «عليه السلام» وقال:

«من يكن الله ورسوله مولاه، فإن هذا مولاه، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه. اللهم من أحبّه من الناس فكن له حبيباً، ومن أبغضه فكن له مبغضاً. اللهم إنّي لا أجد أحداً استودعه في الأرض بعد العبدين الصالحين»[٢]

---

(١) راجع: مشكل الآثار ج٢ ص٣٠٨ والصواعق المحرقة ص٤٢ و ٤٣ والمعتصر من المختصر ج٢ ص٣٠١ والمرقاة في شرح المشكاة ج١٠ ص٤٧٦ وشرح الأخبار ج١ ص٨١ والمسترشد للطبري (الشيعي) ص٣٥ وإقبال الأعمال لابن طاووس ج٢ ص٢٣٩ والبحار ج٣٧ ص١٢٦ والغدير ج١ ص١٥٣ ورجال النجاشي ص٣٢٢ وقاموس الرجال ج٩ ص١٥١ و ١٥٤ و ١٩٣.

(٢) الغدير (تحقيق مركز الغدير للدراسات) ج١ ص٦٢١ عن مجمع الزوائد ج٩ ص١٠٦ والمعجم الكبير ج٢ ص٣٥٧ وهداية العقول ص٣١ وقال في الغدير: في تعليق هداية العقول (ص ٣١): لعله أراد بالعبدين الصالحين أبا بكر وعمر، وقيل: الخضر وإلياس، وقيل: حمزة وجعفر رضي الله عنهما، لأن علياً «عليه السلام» كان يقول عند اشتداد الحرب: وا حمزتاه ولا حمزة لي؟ وا جعفراه ولا جعفر لي؟

أقول: هذا رجم بالغيب، إذ لا مجال للنظر في تفسير العبدين الصالحين بمن ذكر إلا أن يعثر على نص، والظاهر: عدم ذلك لما ذكره سيدي العلامة بدر الدين محمد بن =

غيرك[١]، فاقض له بالحسنى.

قال بشر (الراوي عن جرير) قلت: من هذان العبدان الصالحان؟

قال: لا أدري[٢].

= إبراهيم بن المفضل «رحمه الله» لما سأله بعضهم عن تفسير الحديث، فأجاب بما لفظه: لم أعثر عليه في شيء من كتب الحديث إلا أن في رواية مجمع الزوائد ما يدل على عدم معرفة الراوي أيضاً بالمراد بالرجلين لأن فيه قال بشر أي الراوي عن جرير: قلت: من هذان العبدان الصالحان؟

قال: لا أدري.

قال «رحمه الله»: ومثل هذا إن لم يرد به نقل فلا طريق إلى تفسيره بالنظر أ هـ.

وقال في كتاب على ضفاف الغدير: وأخرجه عنه أحمد بن عيسى المقدسي في الجزء الثاني من فضائل جرير بن عبد الله البجلي الموجود في المجموع ٩٣ في المكتبة الظاهرية. أخرجه في الورقة ٢٤٠.

وأخرجه ابن عساكر في تاريخه: رقم ٥٨٧، وابن منظور في مختصر تاريخ دمشق ص١٧ ص٣٥٨، والقرافي في نفحات العبير الساري: ق٧٦/ ب، والسيوطي في جمع الجوامع ص١ ص٨٣١، وفي قطف الأزهار المتناثرة في الأحاديث المتواترة ص٢٧٧ ح١٠٢، والزبيدي في لقط اللآلئ المتناثرة في الأحاديث المتواترة ص٢٠٦، والشوكاني في در السحابة ص٢١٠، والكتاني في نظم المتناثر في الحديث المتواتر ص١٩٤ وإسحاق بن يوسف الصنعاني في تفريج الكروب في حرف الميم.

(١) راجع: الغدير ج١ هامش ص٦٢.

(٢) أسد الغابة ج١ ص٣٠٨ وقال: أخرجه الثلاثة. يريد: ابن عبد البر، وابن منة، وأبا نعيم.

و لم يرضوا بتفسير العبدين الصالحين بأنهما الخضر وإلياس، وقالوا: لا بدّ من أن يحدّدهما نصّ المعصوم، وهو غير موجود[١].

الزهري لا يحدث بفضائل علي × :

وقد حدث الزهري بحديث الغدير، فقيل له: لا تحدث بهذا بالشّام وأنت تسمع ملء أذنيك سب علي.

فقال: و الله، إن عندي من فضائل علي «عليه السلام» ما لو تحدّثت بها لقتلت[٢].

و هذا يعطي: أنّ هذا الرجل كان يكتم من فضائل علي «عليه السلام» ما هو أهم من حديث الغدير.. وذلك خوفاً من القتل، فما بالك بما كان يكتمه الآخرون من فضائله صلوات الله و سلامه عليه**!!**

نص الطبري مؤيد بالنصوص:

وإذا تأملنا في نص خطبة الغدير، وما جرى في التهنئة به، الذي رواه محمد بن جرير الطبري، صاحب التاريخ المعروف، والتفسير الموصوف، ورواه الطبرسي في الإحتجاج وآخرون، ثم راجعنا النصوص المختلفة الأخرى، فسنخرج بنتيجة حاسمة هي: أنه نص جدير بالتأمل، لأن النصوص الأخرى

---

(١) راجع الهامش الذي في الصفحة قبل السابقة.

(٢) أسد الغابة ج١ ص٣٠٨ وقاموس الرجال ج١٢ ص٣٨ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص٢٢٨ والغدير ج١ ص٢٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٢٧٤ و ٣٧٦.

تؤيده، والأحداث والوقائع تسدده، وتشيده وتؤكده..

وإذا كانت البيعة في يوم الغدير قد استمرت مدة طويلة، قيل: ثلاثة أيام، وقيل: غير ذلك، فلماذا لا يكون «صلى الله عليه وآله» قد خطب الناس مرة بعد أخرى في تلك الأيام، لكي يقيم الحجة على أبلغ وجه وأتمه، وليسمعهم المزيد مما ربما يكون أكثر المجتمعين لم يسمعوه منه. إذ لعل معظمهم لم يكن قد رأى النبي «صلى الله عليه وآله» قبل ذلك، ولن يراه أكثرهم بعد ذلك.

أما شرح مضامين هذه الخطبة، والإلمام بدلالات سائر ما جرى فلا بد لنا من الإعتذار عنه، لأنه يحتاج إلى توفر تام، وجهد مستقل.

جبريل.. وعمر بن الخطاب:

لا بد من ذكر الواقعة التي نوقشت ها هنا، وهي في كتاب الغدير الجزء الأول.

ونقول:

لعل عمر بن الخطاب قد بهره جمال ذلك الشاب الذي كان إلى جانبه، حيث لم يعهد في أقرانه، ونظرائه الذين يعرفهم شيئاً يذكر من الجمال، باسثناء بني هاشم، فأثار ذلك عجبه، ولم يتهيأ له أن يسأل ذلك الشاب عن نفسه، فروى ما رأى للنبي «صلى الله عليه وآله» عله يعرف منه شيئاً عنه.

أو لعله أراد من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يأتي بذلك الشاب ويؤنبه، على ما فرط منه، حين اتهم من يسعى في حل هذا العقد بأنه منافق.

أو أنه أراد أن يسمع من النبي «صلى الله عليه وآله» كلمة مفادها: أن

الأمر لا يبلغ إلى هذا الحد. وأن الشاب قد أخطأ في تقديره..

وحينئذٍ فقط يمكنه أن يروي هذه الواقعة للآخرين.

ولكن عمر قد فوجئ بما لم يكن يخطر له على بال، فقد أخبره النبي «صلى الله عليه وآله» بأن ذلك الشاب هو جبرئيل، وكم كانت جميلة تلك اللحظات التي حلم عمر فيها أن يتمكن من رواية ما يسمعه للآخرين على سبيل التفاخر والمباهاة، باعتبار أن رؤية جبرئيل حدث متميز، ربما يشير إلى خصوصية غيرعادية في من يوفق لرؤية هذا الملاك العظيم.

ولكن الذي يصده عن ذلك، كان أعظم وأخطر، فإن ذلك الشاب الجميل الصورة، قد حكم على من يسعى في حل هذا العقد بالنفاق..

وقد صدَّق النبي «صلى الله عليه وآله» قوله، مبيناً أن قائل هذا القول هو جبرئيل «عليه السلام».

وإذا عرف الناس ذلك، فسيكون سبباً في زيادة تعقيد الأمور أمام الساعين في حل هذا العقد، وعمر بن الخطاب منهم، بل هو العنصر الأبرز والأقوى، والأشد صلابة فيه.

إن ذلك يمثل تأكيداً على أن الله هو الذي أبرم هذا العقد، وأن أي سعي في الإتجاه الآخر سيكون تمرداً على الله مباشرة. وليس بالإمكان لمن يعترف بأن جبريل هو الذي حكم بنفاق من يحل العقد أن يدَّعي للناس: أن من الممكن أن يكون هذا التدبير من ابتكارات رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حباً بصهره وابن عمه..

الفصل التاسع:

الغدير في ظل التهديدات الإلهية

قريش وخلافة بني هاشم:

قد عرفنا في الفصل السابق: أن قريشاً، ومن هم على رأيها هم الذين كانوا يخططون لصرف الأمر عن بني هاشم، وبالذات عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه الصلاة والسلام»، وكانوا يتصدون لملاحقة هذا الأمر ومتابعته في جميع تفاصيله وجزئياته، دون كلل أو ملل، ولو عن طريق إثارة الشكوك والشبهات، واختلاق الشائعات، وحياكة المؤامرات، وتوجيه الإتهامات إلى حد اتهام النبي «صلى الله عليه وآله» بنزاهته، وفي عدله، وحتى في عقله. حتى قالوا عنه: إنه يهجر.. وكانت قريش تتحدى، وتمانع بالقول، وبالفعل، حتى منعت النبي «صلى الله عليه وآله» من إعلان هذا الأمر في عرفات، ثم في منى. فراجع.

وقد رأوا: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان في مختلف المواقع والمواضع لا يزال يهتف باسمه، ويؤكد على إمامته، لكن الأصعب والأمر عليهم أن يعلن إمامته «عليه السلام» أمام تلك الجموع الغفيرة، التي جاءت للحج من جميع الأقطار والأمصار، ولأجل ذلك بادروا إلى التشويش والإخلال بالنظام. وحين غلبوا على أمرهم، وأعلن «صلى الله عليه وآله» أن الأئمة اثنا عشر كانت قريش بالذات هي التي قصدت النبي

«صلى الله عليه وآله» في منزله بعد هذا الموقف مباشرة، لتستوضح منه ماذا يكون بعد هؤلاء الأئمة، لترى إن كان لها نصيب في هذا الأمر ولو بعد حين.

فكان الجواب: ثم يكون الهرج.

وفي نص آخر: (الفرج)، كما رواه الخزاز[1].

والظاهر: أن هذا هو الصحيح..

وقد رأى النبي «صلى الله عليه وآله»: أن مجرد التلميح لهذا الأمر، قد دفعهم إلى هذا المستوى من الإسفاف والإسراف في التحدي لإرادة الله سبحانه. ولشخص النبي «صلى الله عليه وآله»، دون أن يمنعهم من ذلك شرف المكان، ولا خصوصية الزمان، ولا قداسة المتكلم، وشأنه وكرامته. حسبما أشار إليه «صلى الله عليه وآله» في تقريره لهم حين سألهم عن أي شهر أعظم حرمة، وأي بلد أعظم حرمة، وأي يوم أعظم حرمة[2].

---

(١) راجع: كفاية الأثر ص٥٢ ويقارن ذلك مع ما في إحقاق الحق (الملحقات) وغيبة النعماني وغيرهما. فإنهم صرحوا بان قريشاً هي التي أتته.

(٢) راجع هذه الفقرات: في خطبة النبي «صلى الله عليه وآله» في حجة الوداع في المصادر التالية: مسند أحمد ج٣ ص٣١٣ و ٣٧١ وكنز العمال ج٥ ص٢٨٦ و ٢٨٧ والمصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٦٠٠ والكافي ج٧ ص٢٧٣ و ٢٧٥ ودعائم الإسلام ج٢ ص٤٨٤ والمجموع للنووي ج٨ ص٤٦٦ وج١٤ ص٢٣١ والمحلى لابن حزم ج٧ ص٢٨٨ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج٢٩ ص١٠ و (ط دار الإسلامية) ج١٩ ص٣ والتفسير الصافي ج٢ ص٦٧ وتفسير نور الثقلين ج١ ص٦٥٥ وتفسير القمي ج١ ص١٧١ ومستدرك =

فكيف لو صرح «صلى الله عليه وآله» بذلك، وجهر باسمه «عليه الصلاة والسلام» في ذلك الموقف، فقد يصدر منهم ما هو أمر وأدهى، وأشر وأقبح، وأشد خطراً على الإسلام وأهله.

وقد فضح الله بذلك أمر هؤلاء المتظاهرين بغير حقيقتهم، أمام فئات من الناس، جاءت للحج من كل حدب وصوب، وسيرجع الناس بذكريات مرة عنهم، ليحدثوا بها أهلهم، وأصدقاءهم، وزوارهم.. في زمان كان الرجوع من سفر كهذا، والنجاة من أخطاره ومشقاته، بمثابة ولادة جديدة..

التدخل الإلهي:

ثم جاء التهديد الإلهي لهم، فحسم الموقف، وأبرم الأمر، وظهر لهم أنهم عاجزون عن الوقوف في وجه إرادة الله، القاضية بلزوم إقامة الحجة على الناس كافة، وفق ما يريده الله ويرتضيه. وأدركوا: أن استمرارهم في المواجهة السافرة قد يؤدي بهم إلى حرب حقيقية، مع الله ورسوله، وبصورة علنية ومكشوفة.

فلم يكن لهم بد من الرضوخ، والانصياع، لا سيما بعد أن أفهمهم الله سبحانه: أنه يعتبر عدم إبلاغ هذا الأمر بمثابة عدم إبلاغ أصل الدين،

= الوسائل ج١٧ ص٨٧ والبحار ج٣٧ ص١١٣ وإمتاع الأسماع ج١٠ ص٣٤٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٣٩١ والبداية والنهاية ج٥ ص٢١٥ وجامع أحاديث الشيعة ج٢٦ ص١٠٠ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص١٧٠ إضافة إلى مصادر أخرى تقدمت.

وأساس الرسالة، وأن معارضتهم لهذا الإبلاغ، تجعلهم في جملة أهل الكفر، المحاربين، الذين يحتاج الرسول إلى العصمة الإلهية منهم.

وهذه الأمور الثلاثة قد تضمنتها الآية الكريمة التي حددت السياسة الإلهية تجاههم، فهي تقول:

{وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ واللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لا يَهْدِي القَوْمَ الكَافِرِينَ}(١).

والتركيز على هذه الأمور الثلاثة معناه: أن القرار الإلهي هو أنه تعالى سوف يعتبر عدم تبليغ هذا الأمر للناس بصورة علنية بمثابة العودة إلى نقطة الصفر، وخوض حروب في مستوى بدر، وأحد والخندق، وحنين وسواها من الحروب التي خاضها المسلمون ضد المشركين، من أجل تثبيت أساس الدين وإبلاغه.

ومن الواضح لهم: أن ذلك سوف ينتهي بهزيمتهم وفضيحتهم، وضياع كل الفرص، وتلاشي جميع الآمال في حصولهم على امتياز يذكر، أو بدونه، حيث تكون الكارثة بانتظارهم، حيث البلاء المبرم، والهلاك والفناء المحتّم.

فآثروا الرضوخ ـ مؤقتاً ـ إلى الأمر الواقع، والانحناء أمام العاصفة، في سياسة غادرة وماكرة.. ولزمتهم الحجة، بالبيعة التي أخذت منهم له «عليه السلام» في يوم الغدير. وقامت الحجة بذلك على الأمة بأسرها أيضاً. ولم يكن المطلوب أكثر من ذلك. وكان ذلك قبل استشهاده «صلى الله عليه

---

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

وآله» بسبعين يوماً..

سياسة الفضائح:

ولكن ذلك لم يكن ليمنعهم من ادعاء التوبة عما صدر عنهم، والندم على ما بدر منهم، وادعاء أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد رضي عليهم وسامحهم، وأنه قد استجدت أمور دعت النبي إلى العدول عن ذلك كله، فصرف النظر عن تولي الإمام علي «عليه السلام» للأمور بعده.. ربما لأنه رأى أن العرب لن ترضى بهذا الأمر، لأن علياً «عليه السلام» وترها، وقتل رجالها.. أو لغير ذلك من أسباب..

١ ـ فكانت قضية تجهيز جيش أسامة، وظهور عدم انصياعهم لأوامر النبي «صلى الله عليه وآله» وانسحابهم من منظومة ذلك الجيش، وسعيهم في تعطيل مسيره، رغم إصرار النبي «صلى الله عليه وآله» عليهم في ذلك، حتى لقد لعن «صلى الله عليه وآله» من تخلف عن جيش أسامة..

كانت هذه القضية هي الدليل الآخر على أنهم لا يزالون على سياساتهم تجاه النبي «صلى الله عليه وآله»، وأنهم كانوا دائماً بصدد عصيان أوامره، رغم شدة غضبه «صلى الله عليه وآله»، منهم، ومن موقفهم..

وقد يعتذرون عن ذلك بأن حبهم للنبي «صلى الله عليه وآله»، وخوفهم من أن يحدث له أمر في غيبتهم، هو الذي دعاهم إلى هذا العصيان، فليس هو عصيان تمرد ولا هو عن سوء نية، بل هو يدل على أنهم في غاية درجات الحسن والصلاح..

ثم إنهم قد يقولون للناس ـ وقد قالوا ذلك بالفعل ـ: إن لعن النبي لهم

هو من أسباب زيادة درجات الصلاح فيهم، حيث روى الرواة عنه «صلى الله عليه وآله» زوراً وبهتاناً، أنه قال:

«والله إني بشر، أرضى وأغضب، كما يغضب البشر، اللهم من سببته، أو لعنته، فاجعل ذلك زكاة له ورحمة». أو نحو ذلك من الألفاظ(١).

٢ ـ فجاءت قضية صلاة أبي بكر بالناس، في مرض موته «صلى الله عليه وآله»، وعزل النبي «صلى الله عليه وآله» له عنها، لتفسد عليهم أي ادعاء لأن يكونوا أهلاً لما هو أدنى من مقام إمامة الأمة، وخلافة النبوة، فإن

---

(١) راجع: مسند أحمد ج٢ ص٢٤٣ و ٤٩٣ وج٦ ص٥٢ وصحيح مسلم ج٨ ص٢٦ و ٢٧ وشرح مسلم للنووي ج١٦ ص١٥١ ومجمع الزوائد ج٨ ص٢٦٧ وفتح الباري ج١١ ص١٤٧ وأبو هريرة لشرف الدين ص٤٣ ص٩١ وقاموس الرجال ج١٠ ص١٢٥ والتاريخ الكبير للبخاري ج٤ ص١٠٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٦٧ ص٣٢٦ وأسد الغابة ج٤ ص٣٨٦ والبداية والنهاية ج٨ ص١١٣ وإمتاع الأسماع ج١ ص٢٦٧ وج٢ ص٢٥١ و ٢٥٢ وسبل الهدى والرشاد ج١٠ ص٤٣٤ وعمدة القاري ج٢٢ ص٣١٠ وعون المعبود ج١٢ ص٢٧٠ و ٢٧١ ومسند ابن راهويه ج١ ص٢٧٥ وج٢ ص٥٤٣ والآحاد والمثاني ج٢ ص٢٠٠ وصحيح ابن حبان ج١٤ ص٤٤٤ والإستذكار ج٢ ص٧٥ وتخريج الأحاديث والآثار ج٢ ص٢٦١ واللمع في أسباب ورود الحديث ص٨٢ وكنز العمال ج٣ ص٦٠٩ و ٦١١ و ٦١٣ والفتح السماوي ج٢ ص٧٦٨ وتفسير السمعاني ج٢ ص٣٦٩ وج٣ ص٢٢٣ وأحكام القرآن ج٣ ص٤٣١ وتفسير الرازي ج٢٢ ص٢٣١ والجامع لأحكام القرآن ج١٠ ص٢٢٧ وتفسير الآلوسي ج١٥ ص٢٤ و ٢٥ ومكاتيب الرسول ج١ ص٥٨٧ و ٥٨٩ و ٦١٧ والغدير ج٨ ص٢٥١ و ٢٥٢.

عدم الأهلية حتى للإمامة في الصلاة، التي لا تحتاج إلا إلى صحة القراءة «والعدالة»(١)، يكشف عن عدم الصلاحية لمقام الإمامة الذي يحتاج إلى العلم الغزير، وإلى العدالة، وإلى الشجاعة، وإلى غير ذلك من صفات..

ولكنهم قد يعتذرون عن ذلك أيضاً بالتشكيك في اشتراط العدالة، ويروون عن النبي «صلى الله عليه وآله» زوراً وبهتاناً أيضاً أنه قال: «صلوا خلف كل بر وفاجر».. ثم يفتي فقهاؤهم بذلك، أو يدّعون أن النبي هو الذي صلى خلف أبي بكر، كما صلى ـ بزعمهم الفاسد ورأيهم الكاسد ـ خلف عبد الرحمن بن عوف.. ويدّعون.. ويدّعون..

٣ ـ فجاءت قضية كتابة النبي «صلى الله عليه وآله» الكتاب الذي لن يضلوا بعده أبداً، لتظهر كيف أنهم لا يتورعون حتى عن اتهام النبي «صلى الله عليه وآله» في عقله، حتى ليقول قائلهم: «إن النبي ليهجر»!! أو قال كلمة معناها: «غلبه الوجع».

رغم أنه «صلى الله عليه وآله» لم يصرح لهم بأنه يريد أن يعين الخليفة من بعده، بل قال: «أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدي أبداً».. فواجهوه بهذا الأمر العظيم، فكيف لو زاد على ذلك ما هو أوضح وأصرح؟!

ألا يحتمل أن يبادروا حتى إلى قتله؟!

وقد يعتذرون عن ذلك أيضاً بأن الذي تجرأ على النبي «صلى الله عليه وآله» وواجهه بهذا القول، هو عمر بن الخطاب قد ندم وتاب، وقد يدعون أنه اعتذر إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، وأنه «صلى الله عليه وآله» قد عذره

---

(١) وفق مذهب أهل البيت «عليهم السلام» فقط.

وصفح عنه وسامحه.

بل لقد قالوا: إن ما صنعه عمر، من منع النبي «صلى الله عليه وآله» من كتب الكتاب كان هو الأصح والأصلح، وأنه لو كتب ذلك الكتاب لاختلف المسلمون، ولكانت المصيبة أعظم. وسيأتي بيان ذلك

٤ ـ فجاء ما جرى على السيدة الزهراء «عليها السلام» ليؤكد إصرارهم على مناوأة النبي «صلى الله عليه وآله» في أهدافه، وعلى أنهم لا يتورعون حتى عن الاعتداء على البنت الوحيدة لرسول الله «صلى الله عليه وآله».. إلى حد إسقاط الجنين، وكسر الضلع، وضربها إلى حد التسبب باستشهادها.. وذلك بعد أن جمعوا الألوف من المقاتلين، خصوصاً من قبيلة بني أسلم. التي كانت تعيش أعرابيتها بالقرب من المدينة، وقد قال تعالى: **{وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ}**[1].

وقد يعتذرون عن ذلك ويقولون للناس أيضاً: لعن الله الشيطان لقد كانت ساعة غضب وعجلة، ولم نكن نحب أن نسيء إلى بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وقد ندمنا أعظم الندم على ما صدر وبدر منا ـ رغم أن لنا، أسوة برسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإنه إذا كان النبي قد يبدر منه حين الغضب ما لا يناسب مقامه، وفقاً لحديث: إني بشر أرضى وأغضب كما يغضب البشر، اللهم من سببته أو لعنته الخ.. فكيف يمكن تنزيه غيره «صلى الله عليه وآله» عن مثل ذلك؟!

وهذا معناه: أن ما صدر منهم لا يعني بالضرورة أنهم لا يصلحون

---

(١) الآية ١٠١ من سورة التوبة.

لمقام الإمامة والخلافة، خصوصاً وأن ما صدر منهم تجاه السيدة الزهراء «عليهاالسلام» كان في ساعات حرجة، مشوبة بالكثير من الإنفعال والتوتر، وهم يزعمون: أنهم يسعون فيها إلى حفظ الإسلام، قبل انتشار الأمر، وفساد التدبير..

٥ ـ فجاءت قضية فدك لتبين أن هؤلاء غير صادقين فيما يدَّعونه، وأنهم يفقدون أدنى المواصفات لمقام خلافة النبوة، فهم:

غير مأمونين على دماء الناس، كما أظهره فعلهم بالسيدة الزهراء «عليها السلام».

وغير مأمونين على أعراضهم، كما أوضحه هتكهم لحرمة بيتها، وهي التي تقول: خير للمرأة أن لا ترى رجلاً ولا يراها رجل.

وغير مأمونين على أموال الناس كما أوضحه ما صنعوه في فدك..

فإذا كانوا لا يحفظون أموال ودماء وعرض رسول الله، فهل يحفظون دماء وأعراض وأموال الضعفاء من الناس العاديين؟!

وإذا كانوا يجهلون حكم الإرث، فقد علمتهم إياه السيدة الزهراء «عليها السلام».

وبعد التعليم، والتذكير، فإن الإصرار يدل على فقدانهم لأدنى درجات الأمانة والعدالة.

فهل يمكنهم بعد ذلك كله ادعاء أنهم يريدون إقامة العدل، وحفظ الدماء، والأعراض، والأموال، وتعليم الناس دينهم، وتربيتهم، وبث فضائل الأخلاق فيهم، وغير ذلك..

والنتيجة من ذلك هي: أن هؤلاء القوم قد أصروا على صرف هذا

الأمر عن الإمام علي «عليه السلام»، ونكثوا بيعته، وأجبروا الناس على البيعة لهم..

وقد توسلوا للوصول إلى أهدافهم بقوة السلاح، فجهزوا ألوفاً من المقاتلين من قبيلة بني أسلم، وفرضوا على الناس البيعة، وأهانوهم من أجلها، وسحبوهم إلى البيعة من بيوتهم سحباً، وحملوهم عليها قهراً، وجبراً، كما صرحت به النصوص التاريخية.

وكان هناك من يدلهم على البيوت التي اختبأ فيها أفراد لا يريدون البيعة لأبي بكر، فكانوا يستخرجون الرجلين والثلاثة، ويأتون بهم ملببين، مهانين إلى المسجد ليبايعوا أبا بكر..

وبعد أن تضايقت سكك المدينة بالرجال المسلحين من بني أسلم وغيرهم، فإنه إن كان هناك أفراد يحبون نصرة الإمام علي «عليه السلام»، فكيف يمكنهم الوصول إليه؟! وقد أخذ الرجال عليهم أقطار الأرض، وآفاق السماء؟!!

لقد كان ما جرى إنقلاباً مسلحاً بكل معنى الكلمة، قام به أناس بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله»، وبعد إحساسهم بالأمن، وبالقوة.

{فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ}[1].

{وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالاً مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ}[2].

---

(١) الآية ١٠ من سورة الفتح.

(٢) الآية ١٣ من سورة العنكبوت.

تذكير ضروري: الورع والتقوى:

وقد يدور بخلد بعض الناس السؤال التالي: إنه كيف يمكن أن نصدق أن يقدم عشرات الألوف من الصحابة على مخالفة ما رسمه النبي «صلى الله عليه وآله» لهم في أمر الخلافة والإمامة. وهم أصحابه الذين رباهم على الورع والتقوى، وقد مدحهم الله عز وجل في كتابه العزيز، وذكر فضلهم، وهم الذين ضحوا في سبيل هذا الدين، وجاهدوا فيه بأموالهم وأنفسهم؟!

ونقول في الجواب:

إن ما يذكرونه حول الصحابة أمر مبالغ فيه. وذلك لأن الصحابة الذين حجوا مع النبي «صلى الله عليه وآله» قبيل وفاته، وإن كانوا يعدون بعشرات الألوف.. ولكن لم يكن هؤلاء جميعاً من سكان المدينة، ولا عاشوا مع النبي «صلى الله عليه وآله» فترات طويلة، تسمح له بتربيتهم وتزكيتهم، وتعليمهم وتعريفهم بأحكام الإسلام، ومفاهيمه.

بل كان أكثرهم من بلاد أخرى، بعيدة عن المدينة أو قريبة منها، وقد فازوا برؤية النبي «صلى الله عليه وآله» هذه المرة، ولعل بعضهم كان قد رآه قبلها أو بعدها بصورة عابرة أيضاً، ولعله لم يكن قد رآه.

ولعل معظمهم ـ بل ذلك هو المؤكد ـ قد أسلم بعد فتح مكة، وفي عام الوفود، سنة تسع من الهجرة: فلم يعرف من الإسلام إلا اسمه، ومن الدين إلا رسمه، مما هو في حدود بعض الطقوس الظاهرية والقليلة.

وقد تفرق هؤلاء بعد واقعة الغدير مباشرة، وذهب كل منهم إلى أهله وبلاده.

ولم يبق مع رسول الله بعد حادثة الغدير، الا أقل القليل، ربما بضعة

مئات من الناس، ممن كان يسكن المدينة.

وربما كان فيهم العديد من الخدم والعبيد، والأتباع، بالإضافة إلى المنافقين الذين هم ممن حولهم من الأعراب ومن أهل المدينة، مردوا على النفاق، ولم يكن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يعلمهم بصورة تفصيلية، وكان الله سبحانه هو الذي يعلمهم(١).

قال تعالى: **{وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُواْ عَلَى النِّفَاقِ لاَ تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ}**(٢).

هذا إلى جانب فئات من الناس، من أهل المدينة نفسها، كانوا لا يملكون درجة كافية من الوعي للدين، وأحكامه ومفاهيمه، وسياساته، بل كانوا مشغولين بزراعاتهم، وبأنفسهم، وتجاراتهم، وملذاتهم، فإذا رأوا تجارة أو لهواً، انفضوا إليها، وتركوا النبي «صلى الله عليه وآله» قائماً.

وقد تعرض كثير من الناس منهم لتهديدات النبي «صلى الله عليه وآله» بحرق بيوتهم، لأنهم كانوا يقاطعون صلاة الجماعة التي كان يقيمها رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالذات، كما أنه قد كان ثمة جماعة اتخذت لنفسها مسجداً تجتمع فيه، وتركت الحضور في جماعة المسلمين، وهو ما عرف بمسجد الضرار، وقد هدمه «صلى الله عليه وآله»، كما هو معروف.

وتكون النتيجة هي أن من كان في ساحة الصراع والعمل السياسي في

---

(١) الظاهر: أنه لا يعلمهم في مقام الظاهر، وفقاً لوسائل العلم العادية، أما بعلم الشاهدية، فإنه كان «صلى الله عليه وآله» يرى أعمال الخلائق..

(٢) الآية ١٠١ من سورة التوبة.

المدينة، هم أهل الطموحات، وأصحاب النفوذ من قريش، صاحبة الطول والحول في المنطقة العربية بأسرها. بالإضافة إلى أفراد معدودين من غير قريش أيضاً.

فكان هؤلاء هم الذين يدبرون الأمور، ويوجهونها بالإتجاه الذي يصب في مصلحتهم، ويؤكد هيمنتهم، ويحركون الجماهير بأساليب متنوعة، اتقنوا الاستفادة منها بما لديهم من خبرات سياسية طويلة.

فكانوا يستفيدون من نقاط الضعف الكثيرة لدى السذَّج والبسطاء، أو لدى غيرهم ممن لم يستحكم الإيمان في قلوبهم بعد، ممن كانت تسيِّرهم الروح القبلية، وتهيمن على عقلياتهم وروحياتهم المفاهيم والرواسب الجاهلية.

وكان أولئك الذين وترهم الإسلام ـ أو قضى على الإمتيازات التي لا يستحقونها، وقد استأثروا بها لأنفسهم ظلماً وعلوا ـ كانوا ـ يسارعون إلى الاستجابة إلى أي عمل يتوافق مع أحقادهم، وينسجم مع مشاعرهم وأحاسيسهم الثائرة ضد كل ما هو حق وخير، ودين وإسلام.

وهذا هو ما عبر عنه رسول الله «صلى الله عليه وآله» حينما ذكر: أن تأخيره إبلاغ أمر الإمامة بسبب أنه كان يخشى قومه، لأنهم قريبو عهد بجاهلية، بغيضة ومقيتة، لا يزال كثيرون منهم يعيشون بعض مفاهيمها، وتهيمن عليهم بعض أعرافها.

وهكذا يتضح: أن الأخيار الواعين من الصحابة، كانوا قلة قليلة. وحتى لو كثر عددهم، فإن الآخرين هم الذين كانوا يقودون التيار، بما تهيأ لهم من عوامل وظروف، في المدينة التي كانت بمثابة قرية صغيرة، لا يصل عدد سكانها إلى بضعة ألوف من الناس، لا تصل إلى عدد أصابع اليد الواحدة، قد

عرفنا بعض حالاتهم، فكان أن تمكنوا من صرف أمر الخلافة بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن أصحابها الشرعيين، إلى غيرهم، حسبما هو مذكور ومسطور في كتب الحديث والتاريخ.

محاولة قتل رسول الله ' :

هذا.. وقد تقدم: أن بعض النصوص يقول: إن التنفير برسول الله «صلى الله عليه وآله» ليلة العقبة، ليسقط في ذلك الوادي السحيق قد كان بعد حجة الوداع، وبعد البيعة لعلي «عليه السلام» في يوم الغدير[1].

ولعله يمكن ترجيح هذا القول لكثير من الإعتبارات التي اتضح جانب كبير منها.

خلاصة وبيان:

وبعد ما تقدم، فإنه يصبح واضحاً أن الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله» كان يواجه عاصفة من التحدي، والإصرار على إفشال الخطط الإلهية، بأي ثمن كان، وبأي وسيلة كانت!

وأن التدخل الإلهي، والتهديد القرآني إنما هو موجه إلى العناصر التي أثارت تلك العاصفة، لإفهامهم: أن إصرارهم على التحدي، يوازي في خطورته وفي زيف نتائجه، وقوفهم في وجه الدعوة الإلهية من الأساس.

---

(١) البحار ج٢٨ ص٩٩ وإرشاد القلوب للديلمي ص٣٣١ وكتاب سليم بن قيس (بتحقيق الأنصاري) ص٢٧٢ والعقد النضيد والدر الفريد لمحمد بن الحسن القمي ص١١٤ والمحتضر ص١٠٩ والبحار ج٢٨ ص١٢٨.

وقد حَسَم هذا التدخل الموقف، ولجم التيار، لاسيما بعد أن صرح القرآن بكفر من يتصدى، ويتحدى، وتعهد بالحماية والعصمة له «صلى الله عليه وآله»: **{وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}**(١).

وإذا كان الله سبحانه هو الذي سيتصدى لكل معاند وجاحد، فمن الواضح: أنه ليس بمقدور أحد أن يقف في وجه الإرادة الإلهية، فما عليهم إلا أن ينسحبوا من ساحة التحدي، من أجل أن يقيم الله حجته، ويبلغ الرسول «صلى الله عليه وآله» دينه ورسالته.

وليبوؤوا بإثم المكر والبغي، وليحملوا وزر النكث والخيانة..

---

(١) الآية ٦٧ من سورة المائدة.

الباب الثاني عشر

مـــرض الـنبي ' وإسـتـشــهـــاده.. أحــــداث وسيــاســــــات

الفصل الأول: مرض النبي ووصاياه
الفصل الثاني: سرية أسامه بن زيد
الفصل الثالث: الكتاب الذي لم يكتب
الفصل الرابع: تمحلات بالية وأعذار واهية
الفصل الخامس: عزل أبي بكر عن الصلاة
الفصل السادس: أحداث الوفاة في النصوص والآثار
الفصل السابع: تغسيل رسول الله '
الفصل الثامن: تكفين النبي ' والصلاة عليه

الفصل الأول:

مرض النبي ’ ووصاياه

مدة مرض رسول الله ' :

قال الحافظ: اختلف في مدة مرضه «صلى الله عليه وآله»، فالأكثر على أنها ثلاثة عشر يوماً.

وقيل: بزيادة يوم.

وقيل: بنقصه.

وقيل: تسعة أيام. رواه البلاذري عن علي «عليه السلام».

وقيل: عشرة، وفيه جزم سليمان التيمي.

وكان يخرج إلى الصلاة إلا أنه انقطع ثلاثة أيام.

قال في العيون: أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يصلي بالناس، فصلى بهم فيما روينا سبع عشرة صلاة، ورواه البلاذري عن أبي بكر بن أبي سبرة[1].

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٢٤٤ وفتح الباري ج٨ ص٩٨ وراجع: إمتاع الأسماع ج٢ ص١٣٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٥٠٧ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٧٦ وعمدة القاري ج١٨ ص٦٠ والكامل لابن عدي ج٤ ص٢٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٠ ص٢٩٨ وسير أعلام النبلاء ج٨ ص٥٠٦.

حديث لد النبي ' خرافة:

وقد ذكروا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد لدَّ في مرض موته[١]، (أي أنهم داووه باللدود، وهو من الأدوية ما يسقاه المريض في أحد شقي الفم)[٢]، في اليوم الذي ثقل فيه، واشتد ما يجده حتى أغمي عليه، وذلك في يوم الأحد[٣]، قبل وفاته «صلى الله عليه وآله» بيوم واحد.

فمن النصوص والآثار التي حكت لنا ذلك:

١ ـ ما رواه البخاري وغيره عن عائشة قالت: لددناه في مرضه، فجعل يشير إلينا: أن لا تلدوني، فقلنا: كراهية المريض للدواء، فلما أفاق قال: ألم أنهكم أن تلدوني؟

قلنا: كراهية المريض للدواء.

فقال: لا يبقى أحد في البيت إلا لد وأنا أنظر، إلا العباس فإنه لم

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ج١٣ ص٣١ وج١٠ ص٢٦٦ و ٢٦٧ وذخائر العقبى ص١٩٢ و تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٤٣٨ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٤٣٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص١٠٦٥ وعمدة القاري ج١٨ ص٧٣ وسبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٢٢٨ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٤٥ وإمتاع الأسماع ج١٠ ص٣٢٨ وج١٤ ص٤٣٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤٤٦.

(٢) وفي لسان العرب ج٣ ص٣٩٠ عن الفراء، قال: اللد أن يؤخذ بلسان الصبي فيمد إلى أحد شفتيه، ويوجر في الآخر الدواء في الصدف بين اللسان وبين الشدق.

(٣) كنز العمال ج١٠ ص٥٧٣.

يشهدكم[١].

٢ ـ ولفظ محمد بن سعيد: كانت تأخذ رسول الله «صلى الله عليه وآله» الخاصرة، فاشتدت به فأغمي عليه، فلددناه، فلما أفاق قال: هذا من فعل نساء جئن من هنا، وأشار إلى الحبشة، وإن كنتم ترون أن الله يسلط علي ذات الجنب، ما كان الله ليجعل لها علي سلطاناً، والله لا يبقى أحد في البيت إلا لد، فما بقي أحد في البيت إلى لد، ولددنا ميمونة وهي صائمة[٢].

٣ ـ ومن طريق أبي بكر بن عبد الرحمن: أن أم سلمة وأسماء بنت عميس أشارتا بأن يلدوه[٣].

وفي رواية رواها عبد الرزاق بسند صحيح: أن قضية اللد قد جرت في

---

(١) صحيح البخاري ج٣ ص٥٤ و (ط دار الفكر) ج٥ ص١٤٣ وج٧ ص١٧ وج٨ ص٤٠ و ٤٢ وصحيح مسلم ج٧ ص٢٤ وشرح مسلم للنووي ج١٤ ص١٩٩ وعمدة القاري ج١٨ ص٧٣ وج٢١ ص٢٤٨ و ٢٤٩ وج٢٤ ص٤٨ و ٥٧ وتغليق التعليق ج٤ ص١٦٤ وصحيح ابن حبان ج١٤ ص٥٥٤ وكتاب الوفاة للنسائي ص٢٩ وتحفة الأحوذي ج٦ ص١٧٠ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٤٦ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٤٣٧ ومسند ابن راهويه ج٥ ص٤٢ والسنن الكبرى للنسائي ج٤ ص٢٥٥ و ٣٧٥ وشرح النهج للمعتزلي ج١٣ ص٣٢، ومسند أحمد ج١ ص٥٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤٤٩.

(٢) فتح الباري ج٨ ص١١٢ و ١١٣ وعمدة القاري ج١٨ ص٧٣ وسبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٢٢٨.

(٣) راجع: فتح الباري ج٨ ص١١٣ وفي الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٢٣٦: أنهما لدتاه..

بيت ميمونة، وأن نساءه تشاورن في ذلك، فلما أفاق قال: هذا من فعل نساء جئن من ها هنا وأشار إلى الحبشة[1].

٤ ـ قال المعتزلي: «وإن أهل داره ظنوا: أن به ذات الجنب فلدوه وهو مغمى عليه، وكانت العرب تداوي باللدود من ذات الجنب، فلما أفاق علم أنهم قد لدّوه، فقال: «لم يكن الله ليسلطها عليَّ، لدوا كل من في الدار»، فجعل بعضهم يلد بعضاً»[2].

٥ ـ وفي رواية عن العباس: أنه دخل على رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعنده نساؤه فاستترن مني إلا ميمونة، فقال: لا يبقى في البيت أحد شهد اللد إلا لد الخ..[3].

٦ ـ وفي رواية مطولة عن عائشة، قالت: وفزع الناس إليه، فظننا أن به

---

(١) راجع: المصنف للصنعاني ج٥ ص٤٢٩ ومسند ابن راهويه ج٥ ص٤٢ وموارد الظمآن ج٧ ص٥٧ وكنز العمال ج٧ ص٢٦٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٦ ص٣٣٣ والثقات لابن حبان ج٢ ص١٣١ والمعجم الكبير ج٢٤ ص١٤٠ وفتح الباري ج٨ ص١١٢، والمستدرك للحاكم ج٤ ص٢٠٢ وصحيح ابن حبان ج١٤ ص٥٥٣ ومجمع الزوائد ج٩ ص٣٣ ومسند أحمد ج١ ص٤٣٨، لكن فيه: أن الذي اتهم نساء الحبشة هو غير النبي «صلى الله عليه وآله».

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج١٠ ص٢٦٦ ومسند أبي يعلى ج١٢ ص٦٢ وراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٢٣٦.

(٣) مسند أحمد ج١ ص٢٠٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٦ ص٣٣٣ وراجع: مجمع الزوائد ج٥ ص١٨١ ومسند أبي يعلى ج١٢ ص٦٢ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٢٥٢.

ذات الجنب، فلددناه ثم سرّي عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأفاق فعرف أنه قد لد، ووجد أثر اللدود، فقال: ظننتم أن الله عز وجل سلطها علي ؟ ما كان الله يسلطها علي، والذي نفسي بيده، لا يبقى في البيت أحد إلا لد إلا عمي، فرأيتهم يلدونهم رجلاً رجلاً.

وقالت عائشة، ومن في البيت يومئذ فتذكر فضلهم، فلد الرجال أجمعون، وبلغ اللدود أزواج النبي «صلى الله عليه وآله»، فلددن امرأة امرأة، حتى بلغ اللدود امرأة منا ـ قال ابن أبي الزناد: لا أعلمها إلا ميمونة قال: وقال بعض الناس: أم سلمة ـ قالت: إني والله صائمة.

فقلنا: بئسما ظننت أن نتركك وقد أقسم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلددناها، والله يابن أختي، وإنها لصائمة(١).

٧ ـ عن ابن عباس، قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إن خير ما تداويهم به السعوط، واللدود، والحجامة، والمشي.

فلما اشتكى رسول الله «صلى الله عليه وآله» لده أصحابه، فلما فرغوا قال: لدوهم، قال: فلدوا كلهم غير العباس..(٢).

وعنه أيضاً: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لدّه العباس وأصحابه،

---

(١) مسند أحمد ج٦ ص١١٨ والمستدرك للحاكم ج٤ ص٢٠٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٦ ص٣٣٢ وتغليق التعليق ج٤ ص١٦٦ ومسند أبي يعلى ج٨ ص٣٥٤ وسبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٢٢٧.

(٢) سنن الترمذي ج٣ ص٢٦٢ و ٢٦٤ والطب النبوي لابن القيم الجوزي ص٤١ والعهود المحمدية للشعراني ص٥٨٦ والفائق ج٣ ص٣١٣ والنهاية ج٤ ص٢٤٥، وزاد: أنه فعل ذلك عقوبة لهم.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: من لدّني ؟ فكلهم أمسكوا.

فقال: لا يبقى أحد في البيت إلا لد غير عمه العباس.

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث عباد بن منصور(١).

٨ ـ وأخيراً.. فقد روت عائشة قالت: أغمي على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والدار مملوءة من النساء: أم سلمة، وميمونة، وأسماء بنت عميس، وعندنا عمه العباس بن عبد المطلب، فأجمعوا على أن يلدّوه، فقال العباس: لا ألده، فلدوه.

فلما أفاق قال: من صنع بي هذا ؟

قالوا: عمك.

قال لنا: هذا دواء جاء من نحو هذه الأرض ـ وأشار إلى أرض الحبشة ـ قال: فلم فعلتم ذلك؟

فقال العباس: خشينا يا رسول الله أن يكون بك ذات الجنب.

فقال: إن ذلك لداء ما كان الله ليقذفني به، لا يبقى أحد في البيت إلا لد إلا عمي.

قال: فلقد لدت ميمونة وإنها لصائمة لقسم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، عقوبة لهم بما صنعوا..(٢).

---

(١) سنن الترمذي ج٣ ص٢٦٥.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج١٣ ص٣١ و ٣٢ وذخائر العقبى ص١٩٢ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٤٣٨ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص١٠٦٥ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٤٧١ وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج٢٦ ص٣٣٣ والمعجم الكبير ج٢٤ ص١٤٠.

ونحن بدورنا لا نصدق هذه الروايات، وذلك لما يلي:

أولاً: عدا عن المناقشة في أسانيدها. فإن في هذه الروايات تناقضاً واختلافا، ونحن نكتفي بذكر موارد خمسة لهذه التناقضات، ونترك الباقي لنظر القارئ وملاحظته، فنقول:

١ ـ رواية تذكر: أن العباس قد لدّه.

وأخرى تقول: إنه رفض أن يلدّه، واكتفى بالإشارة بذلك..

وثالثة تقول: لم يشارك لا في لدّه ولا في المشورة به(١).

٢ ـ واحدة تقول: إن صحابته قد لُدُّوا رجلاً رجلاً حتى بلغ اللدود نساءه «صلى الله عليه وآله».

وأخرى تذكر: أن اللد كان للنساء فقط..

وثالثة تذكر: أن اللد كان لصحابته، ولا تشير إلى النساء أصلاً..

٣ ـ ثم هناك الخلاف في من التدت وهي صائمة، هل هي: أسماء بنت عميس، أو هي ميمونة..

٤ ـ واحدة تذكر: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يعرف باللد إلا عندما أفاق، حيث وجد أثره في فمه، وأخرى تذكر أنه نهاهم عن ذلك صراحة أو بالإشارة، ولكنهم لم يمتثلوا لأنهم اعتبروا أن ذلك منه كراهة المريض للدواء..

٥ ـ رواية تذكر: أن اللدود دواء جاءهم من قبل الحبشة.. وأخرى تقول: «كانت العرب تداوي باللدود من به ذات الجنب».

---

(١) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج١٣ ص٣٢ و ٣٣ وراجع المصادر المتقدمة في الهوامش السابقة.

إلا أن يقال: لا منافاة بينهما، فلعله كان يأتي من الحبشة، فتأخذه العرب، فتداوي به مرضاها.

ثانياً: لقد صرحت رواية المعتزلي، والزمخشري، وابن الأثير[1]: بأن الرسول «صلى الله عليه وآله» أراد أن يلدهم جميعاً عقوبة لهم.. وهذا «فيه نظر، لأن الجميع لم يتعاطوا ذلك»[2] فلماذا يعاقب غير الجناة ؟!..

ولو سلم أنهم جميعاً استحقوا العقوبة لتركهم الإنكار على الفاعلين، ولا سيما مع نهيه «صلى الله عليه وآله» لهم عن ذلك..

فيرد عليه: أنهم إذا كانوا قد ظنوا أنه «صلى الله عليه وآله» نهاهم عن ذلك كراهية المريض للدواء كما يدّعون، فهم معذورون في ذلك لأنهم قد انساقوا مع تأويلهم وفهمهم..

هذا كله، عدا عن أن بعض الروايات تنكر أن يكون «صلى الله عليه وآله» قد نهاهم عن ذلك، بل تصرح: بأنه لم يعرف بالأمر إلا بعد إفاقته من إغمائه..

ولو سلم.. فإنهم في فعلهم ذلك كانوا يحسبون أنهم يحسنون له «صلى الله عليه وآله»، ويبّرونه، ويحافظون عليه، فهل هم مع هذا يستحقون عقاباً أو تأديباً كما يزعمه العسقلاني؟!.[3].

وهل ذلك منه «صلى الله عليه وآله» لهم إلا كجزاء سنمار؟!..

ثم أليس يقولون: إنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن ينتقم لنفسه من

---

(١) الفائق ج٣ ص٣١٣، والنهاية ج٤ ص٢٤٥، وفيهما: فعل ذلك عقوبة لهم، لأنهم لدوه بغير إذنه. وراجع المصادر في الهوامش السابقة.

(٢) فتح الباري ج٨ ص١١٢.

(٣) نفس المصدر السابق.

أحد؟![١]، فلماذا غيَّر عادته في هذا الوقت بالذات؟!..

ولو سلم أنهم يستحقون العقاب، فهل عقابهم يكون على هذه الصورة؟!.

وهل كل من لدّ شخصاً مع عدم رضاه تكون عقوبته اللّد في المقابل؟!.

وكيف صار عقاب المرتكب للجريمة هو نفس عقاب الراضي بالفعل، وهل كل من رضي بفعل قوم لا بد وأن يتعرض لنفس العقاب الذي يتعرّضون له؟! فلو قتل رجل رجلاً ورضي به آخر، فهل يقتلان معاً: الراضي والقاتل على حد سواء ؟!..

إلى غير ذلك من الأسئلة التي تحتاج إلى أجوبة مقنعة ومفيدة..

ثالثاً: الرواية تصرح: بأن الله لم يكن ليبتليه «صلى الله عليه وآله» بذات الجنب.. ولكن أبا يعلى روى لنا بسند فيه ابن لهيعة، عن عائشة نفسها: أن النبي «صلى الله عليه وآله» مات من ذات الجنب[٢].

قال المعتزلي: «واحتج الذاهبون إلى أن مرضه كان ذات الجنب بما روي من انتصابه وتعذر الإضطجاع والنوم عليه.

قال سلمان الفارسي: دخلت عليه صبيحة يوم قبل اليوم الذي مات فيه، فقال لي: يا سلمان، ألا تسأل عما كابدته الليلة من الألم والسهر أنا وعلي؟

فقلت: يا رسول الله، ألا أسهر الليلة معك بدله؟

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) تهذيب التهذيب ج٥ ص٣٣١ وسبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٢٢٧ والمعجم الأوسط ج٩ ص٦ وفتح الباري ج٨ ص١١٣، وشرح النهج للمعتزلي ج١٠ ص٢٦٧ ومسند أبي يعلى ج٨ ص٢٥٨ وعمدة القاري ج٢١ ص٢٥٣ ومجمع الزوائد ج٩ ص٣٤ والمستدرك للحاكم ج٤ ص٤٠٥.

فقال: لا، هو أحق بذلك منك »[١].

وقال من شرح قول علي «عليه السلام» في نهج البلاغة: (وفاضت بين نحري وصدري نفسك) «يروى: أنه «صلى الله عليه وآله» قذف دماً يسيراً وقت موته، ومن قال بهذا القول زعم أن مرضه كان ذات الجنب، وأن القرحة التي كانت في الغشاء المستبطن للإضلاع انفرجت في تلك الحال، وكانت فيها نفسه «صلى الله عليه وآله»..»[٢].

رابعاً: لو سلمنا: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يمت من ذات الجنب، وإنما مات بالحمى والسرسام الحار.. فإننا لا يمكن أن نقبل أنهم ظنوا: أن به ذات الجنب، وذلك لأن الحاكم قد روى في المستدرك أن: «ذات الجنب من الشيطان..»[٣].

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ج١٠ ص٢٦٧ و ٢٦٦ على الترتيب، وراجع: كتاب الأربعين للشيرازي ص١٢٩ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٣٨١ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٦ ص٥٣٣.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج١٠ ص٢٦٧ و ٢٦٦ على الترتيب.

(٣) المستدرك ج٤ ص٤٠٥ ومسند ابن راهويه ج٢ ص٥٧٧ ومسند أحمد ج٦ ص٢٧٤ وفتح الباري ج٨ ص١١٣ وعمدة القاري ج٢١ ص٢٥٣ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص٤٥٩ وج١٢ ص٢٢٨ وكنز العمال ج١١ ص٤٦٩ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٤٣٨ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٤٥ وإمتاع الأسماع ج١٠ ص٣٢٨ وج١١ ص٢٢٨ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٤٣٣ و ٤٣٥ والشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض ج٢ ص١٢٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤٤٦.

فإذا كانت من الشيطان فلا يصح أن يتوهموا أن به ذات الجنب، لأن الشيطان ليس له سلطان على عباد الله الصالحين من المؤمنين، فكيف بسيد الأنبياء والمرسلين: **{إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ}**(١) وقال تعالى حكاية لكلام الشيطان: **{لأَغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ، إِلاَ عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ}**(٢).

وقول ابن حجر العسقلاني: إن ذات الجنب تطلق بإزاء مرضين: الورم الحار الذي يعرض للغشاء المستبطن، والآخر ريح محتقن بين الأضلاع، والأول هو المنفي له «صلى الله عليه وآله» عن نفسه(٣).

لا يحل الإشكال، لأنه لو كان كذلك.. فقد كان عليه «صلى الله عليه وآله»: أن يبين أيهما هو المعني بكلامه نفياً وإثباتاً.. وكان على الباحثين ذكر ذلك عنه، وإذا كان كذلك ولم يبين فلا بد أن يحمل كلامه على ما هو المتعارف، والتفكيك في كلامه يحتاج إلى دليل.

ثم كيف يكون هذا هو المنفي في كلامه مع أنه هو الذي يقولون: إنه مات به كما تقدّم نقله عن المعتزلي؟!..

خامساً: إذا كان «صلى الله عليه وآله» مغمى عليه حينما لدّوه كما تقول رواية البخاري، فما معنى تصريح نفس تلك الرواية بأنه «صلى الله عليه وآله» يشير إلينا أن لا تلدّوني؟!.

فقلنا: كراهة المريض للدواء.

---

(١) الآية ٤٢ من سورة الحجر.

(٢) الآية ٨٣ من سورة ص، والآية ٤٠ من سورة الحجر.

(٣) فتح الباري ج٨ ص١١٢ وج١٠ ص١٤٥ وسبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٢٢٨.

وروايات أخرى تصرح: بأنه «صلى الله عليه وآله» قد علم بأنهم لدّوه بعد إفاقته من الإغماء. وهذا يتنافى مع رواية البخاري: إنه أشار إليهم أن لا يلدّوه، فقالوا: كراهة المريض للدواء.

سادساً: قول بعض الروايات: إن جميع أزواج النبي «صلى الله عليه وآله» قد احتجبن من العباس سوى ميمونة غريب، فإن العباس وإن كان زوج أخت ميمونة، ولكن ذلك لا يخرجه عن كونه رجلاً أجنبياً عنها كسائر الرجال الأجانب، فلماذا لا تحتجب منه ميمونة زوج النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»؟!!.

وأخيراً.. فقد قال المعتزلي: «وسألت النقيب أبا جعفر يحيى بن أبي زيد البصري عن حديث اللدود، فقلت: ألدّ علي بن أبي طالب ذلك اليوم؟ فقال: معاذ الله، لو كان لدّ لذكرت عائشة ذلك فيما تذكره وتنعاه عليه.

قال: وقد كانت فاطمة حاضرة في الدار، وابناها معها، أفتراها لدّت أيضاً؟ ولدّ الحسن والحسين؟! كلاّ، وهذا أمر لم يكن، وإنما هو حديث ولّده من ولّده تقريباً إلى بعض الناس الخ..».

ثم يذكر: أن من لدّ هو فقط أسماء بنت عميس وميمونة، وأن الدواء جاء به جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة[1].

ولكن كيف ذلك ونحن نرى ابن أبي الحديد نفسه يصّرح: بأن اللدود كانت تستعمله العرب لذات الجنب؟![2] كما تقدم.

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ج١٣ ص٣٢.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج١٠ ص٢٦٦.

وهكذا يتضح: أن هذه الرواية لا يمكن أن تصح، وأن ذكرها في صحيح البخاري وغيره لا يبرر الالتزام بها، وتصديقها..

ولعل سر اختلاقها هو إظهار صحة نسبة الهُجْرِ إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» في مرضه. ولعل النقيب المعتزلي يشير إلى هذا في عبارته الآنفة.

وما أكثر الأكاذيب والمفتريات على نبي الأمة الأعظم «صلى الله عليه وآله»، رد الله كيد الكاذبين والمنحرفين إلى نحورهم، وعصمنا من الزلل في الفكر وفي القول والعمل.

الدنانير وعائشة:

عن سهل بن سعد قال: كان عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» سبعة دنانير وضعها عند عائشة، فلما كان في مرضه قال: يا عائشة، ابعثي الذهب إلى علي، ثم أغمي عليه، وشغل عائشة ما به، حتى قال ذلك مراراً، كل ذلك يغمى على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويشغل عائشة ما به، فبعث به إلى علي فتصدق به[1].

وعن المطلب بن عبد الله بن حنطب: أن رسول الله «صلى الله عليه

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٢٥٠ عن ابن سعد والطبراني برجال الصحيح، وراجع: مجمع الزوائد ج٣ ص١٢٤ والعهود المحمدية للشعراني ص١٥٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٢٣٩ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٥١٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٨ ص٦٢٧ والمعجم الكبير ج٦ ص١٩٨ و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٤٧٢.

وآله» قال لعائشة ـ وهي مسندته إلى صدرها ـ: «يا عائشة، ما فعلت تلك الذهب؟

قالت: هي عندي.

قال: فأنفقيها، ثم غشي عليه وهو على صدرها، فلما أفاق قال: هل أنفقت تلك الذهب يا عائشة؟!

قالت: لا والله يا رسول الله.

قالت: فدعا بها فوضعها في كفه، فعدها، فإذا هي ستة دنانير، فقال: ما ظن محمد بربه أن لو لقي الله وهذه عنده؟ فأنفقها كلها، ومات من ذلك اليوم[1].

وعن عائشة قالت: قال لي رسول الله «صلى الله عليه وآله» في وجعه الذي مات فيه: ما فعلت بالذهب؟

قلت: هو عندي يا رسول الله.

قال: ائت بها.

فأتيت بها، فجعلها في كفه، وهي بين الخمس والسبع، فرفع بها كفه وقال: أنفقيها، وقال: ما ظن محمد إن لقي الله وهذه عنده، أنفقيها[2].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٢٥٠ عن ابن سعد، والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٢٣٧ وراجع: إمتاع الأسماع ج١٤ ص٥١٦.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٢٥٠ عن مسدد، وأبي عمر، وابن أبي شيبة، وأحمد برجال الصحيح، وتاريخ مدينة دمشق ج٤ ص١١٠ وإمتاع الأسماع ج٢ ص٢٩٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٢٣٨ وصحيح ابن حبان ج٨ ص٨.

وعن سهل بن يوسف عن أبيه عن جده قال: أعتق النبي «صلى الله عليه وآله» في مرضه أربعين نفساً[1].

ونقول:

١ ـ لا ندري لماذا تتوانى عائشة في تنفيذ أمر النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» لها بإرسال الذهب إلى علي «عليه السلام»، حتى تلجئه إلى معاودة هذا الأمر مراراً وتكراراً، من دون فائدة أو عائدة؟! حتى اضطر أن يبادر هو بنفسه «صلى الله عليه وآله» إلى أن يبعث به لعلي «عليه السلام» ليتصدق به؟!

وما الذي كان يشغل عائشة عن امتثال ما يأمرها به النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»؟! ألم تكن عائشة تستطيع أن تقول لأي إنسان دخل عليها: خذ تلك الدنانير التي في ذلك المكان إلى علي ليتصدق بها؟!

وإذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي يعاني من الأوجاع، فمم كانت عائشة تعاني؟!

وما الذي كانت تفعله للنبي «صلى الله عليه وآله» حين كان يتوجع، أو يغمى عليه؟! أليس غاية ما تدّعي أنها فعلته له أنها أسندته وهو في وجعه إلى صدرها؟!

ومع افتراض صحة ذلك، فهل كان هذا يمنعها من امتثال أمره «صلى

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٢٥٠ عن أبي طاهر المخلص، وإمتاع الأسماع ج٦ ص٣٠٢ وج١٤ ص٥١٦ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٤٢٢ والتراتيب الإدارية ج١ ص٢٧.

الله عليه وآله» الذي كرره عليها مراراً وتكراراً؟!

ألم يكن بإمكانها أن تستفيد من نفس الوسيلة التي استفاد منها رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين اضطر هو إلى مباشرة إرسال تلك الدنانير إلى عليه «عليه السلام»؟!

وهل كانت ستتلكأ إلى هذا الحد لو كان «صلى الله عليه وآله» قد أمرها بإرسال تلك الدنانير إلى أبيها، أو إلى أي كان من الناس غير علي «عليه السلام»؟!

وألا يعتبر تلكؤها هذا من موجبات الأذى لرسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

وأين كانت سائر نساء النبي «صلى الله عليه وآله» عنه في يوم موته؟! فلا نسمع إلا اسم عائشة يتردد في كل اتجاه؟!

ولماذا تركه الناس كلهم حتى علي «عليه السلام»، وتركته نساؤه كلهم إلا عائشة، فتكون هي الوحيدة التي تسنده إلى صدرها، وتهتم بأوجاعه، وتعصي أوامره؟! كما ترويه لنا عائشة نفسها!!

وأين كانت عنه ابنته الوحيدة فاطمة «عليها السلام» في ساعاته الأخيرة والحرجة؟!

٢ ـ أما رواية ابن حنطب، فقد استبعدت علياً «عليه السلام» بالكلية، وقررت أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» وضع الدنانير في كفه، ولم تذكر أنه أنفقها بنفسه، أو أرسلها إلى أحد من الناس!! وإلى من أرسلها!!

لقد سكتت ولم تذكر شيئاً من ذلك، ثم جاءت رواية عائشة لتستأثر هي بإنفاق هذه الدنانير، وتستبعد علياً «عليه السلام» حتى من دائرة

الإحتمال بالكلية..

فتبارك الله أحسن الخالقين..

٣ ـ أما ما رواه أبو طاهر فنلاحظ عليه: أنه لم يذكر لنا عن هؤلاء الأربعين الذين أعتقهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» في مرض موته شيئاً يعرفنا بهم، أو بأسمائهم، وانتماءاتهم، وخصوصياتهم. كما أننا لم نجد أحداً ممن تقدم على أبي طاهر قد روى شيئاً من ذلك، وإن كنا لا نمنع من وقوعه..

فاطمة ÷ أول أهل بيته لحوقاً به:

عن عائشة قالت: اجتمع نساء رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يغادر منهم امرأة في وجعه الذي مات فيه، وما رأيت أحداً أشبه سمتاً وهدياً ودلاًّ برسول الله «صلى الله عليه وآله»، في قيامها وقعودها من فاطمة، وكانت إذا دخلت عليه قام إليها، وقبلها، وأجلسها في مجلسه، وكان إذا دخل عليها فعلت ذلك.

فلما مرض جاءت تمشي ما تخطئ مشيتها مشية رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال: مرحباً يا بنتي. فأجلسها عن يمينه، أو عن شماله، فأكبت عليه تقبله، فسارها بشيء، فبكت، ثم سارها فضحكت.

فقلت: ما رأيت اليوم فرحاً أقرب من حزن، فسألتها عن ذلك، قلت لها: ما خصك رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالسرار وتبكين.

فلما أن قامت قلت لها: أخبريني بما سارك؟

قالت: ما كنت لأفشي سر رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فلما أن توفي قلت لها: أسألك بما لي عليك من الحق لما أخبرتيني.

قالت: أما الآن فنعم، سارني فقال: إن جبريل كان يعارضني بالقرآن في كل سنة مرة، وإنه عارضني العام مرتين، وإنه لم يكن نبي كان بعده نبي إلا عاش بعده نصف عمر الذي كان قبله، ولا أرى ذلك إلا اقترب أجلي.

وفي لفظ: فقالت: إنه أخبرني أنه يقبض في وجعه، فاتقي الله واصبري، إن جبريل أخبرني أنه ليس امرأة من نساء المؤمنين أعظم رزنة منك، فلا تكوني أدنى امرأة منهن صبراً، فنعم السلف أنا لك، فبكيت.

ثم سارني فقال: أما ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة.

وفي لفظ: «أخبرني أني أول أهله لحوقاً به، فضحكت ضحكي الذي رأيت»(١).

قال الصالحي الشامي:

قال الحافظ ـ أي العسقلاني ـ: اتفقت الروايات على أن الذي سارها به أولاً فبكت هو إعلامه إياها بأنه ميت في مرضه ذلك، واختلف فيما سارها به فضحكت.

ففي رواية عروة: أنه إخباره إياها بأنها أول أهله لحوقاً به.

وفي رواية مسروق: بأنه إخباره إياها أنها سيدة نساء أهل الجنة، وجعل كونها أول أهله لحوقاً به، مضموماً إلى الأول وهو الراجح، ويحتمل تعدد

____

(١) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٢٥١ عن الخمسة، والطبراني، وابن حبان، والحاكم.

القضية[١].

ونقول:

١ ـ إن من القريب جداً أن يكون «صلى الله عليه وآله»، قد أخبر ابنته

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٢٥١ وراجع: ينابيع المودة ج٢ ص٥٥ وراجع: صحيح البخاري (ط مطبعة الأميرية) ج٤ ص٢٠٣ وصحيح مسلم ج٧ ص١٤٢ ومسند الطيالسي ص١٩٦ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص٢٦ وحلية الأولياء ج٢ ص٣٩ والخصائص للنسائي (ط دار التقدم بمصر) ص٣٤ ومصابيح السنة (ط دار الخيرية بمصر) ج٢ ص٢٠٤ ومسند أحمد ج٦ ص٢٨٢ وأنساب الأشراف ج١ ص٥٥٢ وصفة الصفوة (ط حيدرآباد) ج٢ ص٥ وطرح التثريب ج١ ص١٤٩ والمختار من مناقب الأخيار (ط دمشق) ص٥٦ ونظم درر السمطين ص١٧٩ وتذكرة الخواص ص٣١٩ ومنتخب تاريخ ابن عساكر ج١ (ط الترقي بدمشق) ص٢٩٨ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٢٦ وجمع الفوائد ج٢ ص٢٣٣ وتكملة المنهل العذب المورود ج٣ ص٢٢٢ والثغور الباسمة (ط بمبي) ص١٣ وأشعة اللمعات في شرح المشكاة ج٤ ص٦٩٣ ووسيلة النجاة للمولوي ص٢٢٨ ومرآة المؤمنين ص١٩٠ وأضواء على الصحيحين ص٣٤٥ وفضائل الصحابة ص٧٧ وسنن ابن ماجة ج١ ص٥١٨ ومسند أبي يعلى ج١٢ ص١١٢ والمعجم الكبير ج٢٢ ص٤١٩ وعن أسد الغابة ج٥ ص٥٢٢ والأوائل للطبراني ص٨٤ وعن المصادر التالية: كتاب الأربعين للماحوزي ص٣١٤ وفتح الباري ج٨ ص١٠٣ ومسند أبي يحيى الكوفي ص٧٩ ومسند ابن راهويه ج٥ ص٧ و السنن الكبرى للنسائي ج٥ ص٩٦ و ١٤٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤٤٨ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص١٢٠ وكشف الغمة ج٢ ص٨٠.

السيدة الزهراء «عليها السلام» بالأمرين معاً، أي أنه قال لها أولاً: إنه «صلى الله عليه وآله» ميت في مرضه ذلك، فبكت. ثم أخبرها بأنها سيدة نساء أهل الجنة، وبأنها أول أهل بيته لحوقاً به، فضحكت.

٢ ـ إنه لا بد من الوقوف عند دلالات هذا الإجلال والتعظيم من قبل رسول الله «صلى الله عليه وآله» لابنته فاطمة «عليها السلام»، حتى إنه يقوم إعظاماً لها، ويجلسها في مجلسه، مع أن من عادة الآباء إسقاط الكلفة مع أبنائهم، ولا سيما إذا كانوا يعيشون معهم، ويرونهم في كل يوم، فإذا كانوا يقومون للغير فإنهم لا يقومون لأبنائهم، فضلاً أن يجلسوهم في مجلسهم.

ومن الواضح: أن تعظيم رسول الله «صلى الله عليه وآله» لأي إنسان ليس لمجرد قرباه النسبيه به، وإنما هو لقربه من الله، ولعظيم فضله وموقعه من هذا الدين..

٣ ـ قد يستفاد من سياق الحديث أن هذا الذي جرى قد كان في أول مرض رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقد قالت عائشة عن فاطمة «عليها السلام»: «فلما مرض جاءت تمشي الخ..».

٤ ـ إن رفض الزهراء «عليها السلام» إفشاء سر رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى لزوجته في حال حياته يدل على أنها أهل لهذا السر، وأن من تسعى إلى الاطلاع على ما يريد الرسول «صلى الله عليه وآله» أن يستره عنها وعن غيرها ليست أهلاً له، إذ لا معنى لأن تطلب هذه المرأة من الزهراء «عليها السلام» أن تفعل ما لا يرضاه الرسول، ومن يدعو غيره إلى ذلك، فإنه لا يؤمن من أن يخالف أمره، ويرتكب ما لا يرضيه في حياته وبعد مماته..

٥ ـ واللافت هنا: أن الله سبحانه كان قبل ذلك قد أنزل آيات قرآنية فضحت عائشة ورفيقتها حفصة في أمر مشابه لهذه الحادثة، أي لإفشائهما سر رسول الله «صلى الله عليه وآله» وتظاهرهما عليه.

قال تعالى: **{وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثاً فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللهَ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ}**(١).

فمطالبتها فاطمة الزهراء «عليها السلام» بأن تفشي سر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، يدل على عدم توبتها من هذا الذنب.

٦ ـ إن ما أخبر به النبي «صلى الله عليه وآله» فاطمة «عليها السلام» هو من الغيوب التي اختصها به، وهو من الأمور التي لا يمكن إدراكها بالعقول، ولا بالتحليلات، لأنه أخبرها بوقت موته، وبوقت موتها أيضاً، ليظهر لعائشة، ولكل من هو على رأيها: أن الله ورسوله وأهل البيت كانوا يعرفون حتى مثل هذا الأمر، فكيف بغيره مما دلت عليه قرائن الأحوال، وأظهرت بواطنه فلتات الألسن، وسيئات الأقوال والأعمال، فلا يظن هؤلاء أنهم يتذاكون على الله ورسوله وأهل بيته، وأن ما يضمرونه ويريدونه يخفى عليهم، وأنهم تمكنوا من خداعهم، والتلبيس عليهم..

---

(١) الآيتان ٣ و ٤ من سورة التحريم.

وصية النبي ’ لعلي × :

عن علي «عليه السلام» قال: «أوصاني النبي «صلى الله عليه وآله» إذا أنا مت، فغسلني بست قرب من بئر غرس، فإذا فرغت من غسلي، فادرجني في أكفاني، ثم ضع فاك على فمي.

قال: ففعلت، فأنبأنى بما هو كائن إلى يوم القيمة».

وروي نحو ذلك عن الإمام الصادق «عليه السلام»[1].

وعن عمرو بن أبي شعبة قال: «لما حضر رسول الله «صلى الله عليه وآله» الموت دخل عليه علي «عليه السلام» فأدخل رأسه معه ثم قال: يا علي، إذا أنا مت فاغسلني، وكفني، ثم أقعدني، وسائلني، واكتب»[2].

ونقول:

يدلنا هذا النص على عدة أمور نذكرها فيما يلي:

١ـ حياة النبي ’ بعد موته:

إن هذا النص يدل على أن النبي «صلى الله عليه وآله» حي حتى بعد أن يموت، ولأجل ذلك نقرأ في زياراتنا للمعصومين والنبي «صلى الله عليه وآله» أعظم شأناً منهم: «أشهد أنك ترى مقامي، وتسمع كلامي، وترد

---

(١) بصائر الدرجات ص٣٠٤ والبحار ج٤٠ ص٢١٣ و ٢١٤ و ٢١٥ وج٢٢ ص٥١٧ و ٥١٤ عنه، ومستدرك الوسائل ج٢ ص١٨٩ وجامع أحاديث الشيعة ج٣ ص١٩٠ ومستدركات علم رجال الحديث ج١ ص٦٤٩.

(٢) البحار ج٤٠ ص٢١٣ و ٢١٤ وج٢٢ ص٥١٨ عن بصائر الدرجات، وعن الخرائج والجرائح، والكافي.

سلامي»[١].

بل قالوا: إن الأخبار قد تواترت بحياة النبي «صلى الله عليه وآله» في قبره، وكذلك سائر الأنبياء «عليه السلام»[٢].

وقالوا أيضاً: إن صلاتنا معروضة على النبي «صلى الله عليه وآله»، وإن سلامنا يبلغه، وهم أحياء عند ربهم كالشهداء[٣].

ويؤكد ذلك النص القرآني على: أن النبي «صلى الله عليه وآله» شاهد على أمته، قال تعالى: **{يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً}**[٤]. وشهادته على الأمة لا تقتصر على خصوص من عاشوا معه في حال حياته..

٢ـ علي × هو الوصي:

وغني عن البيان: أن وصية النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي «عليه السلام» بأن يضع فمه على فمه، وسماعه منه ما هو كائن إلى يوم القيامة

---

(١) راجع: عدة الداعي لابن فهد الحلي ص٥٦ وجامع أحاديث الشيعة ج١٢ ص٣٦٤ و ٥١٦ و ٥٢٣ ومستدرك الوسائل ج١٠ ص٣٤٥ والبحار ج٩٧ ص٢٩٥.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج١٠ ص٤٦٦ و ٤٨٦ وج١٢ ص٣٥٥ و ٣٥٦ و ٣٦٠ عن إنباه الأزكياء بحياة الأنبياء، وعن التذكرة للقرطبي والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٢ ص٨٢ و ٨٤ و ٤٣٢ وج٣٥ ص٣٨٥.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٣٥٥ عن الأنوار في أعمال الأبرار للأردبيلي الشافعي، وعن التذكرة للقرطبي. وراجع: فتاوى عبد القاهر بن طاهر البغدادي، وتنوير الحلك للسيوطي ص٥.

(٤) الآية ٤٥ من سورة الأحزاب.

تؤكد أن لعلي «عليه السلام» خصوصية ليست لأحد سواه، وهي ترتبط بعلم الإمامة، من خلال اتصاله بالنبي «صلى الله عليه وآله» بعد موته.

٣ ـ العلم بما هو كائن:

وقد قلنا أكثر من مرة: إن معرفة الإمام تقوم على ركنين:

أحدهما: النص الدال على الإختيار الإلهي لشخص بعينه لمنصب الإمامة.

والآخر: العلم الخاص، الذي يُؤْثِر الله به من يشاء من عباده.

وربما يحتاج أيضاً إلى إظهار الكرامة والمعجزة.

وقد ألمح الحديث الآنف الذكر إلى ذلك بصورة أو بأخرى، فأشار إلى الإختيار بما ظهر من وضع فمه «عليه السلام» على فم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإظهار المعجزة بكلامه بعد موته..

والعلم الخاص هو: أنه «صلى الله عليه وآله» قد علّمه ما هو كائن، إلى يوم القيامة، وذلك ظاهر لا يخفى.

وصايا النبي ' حول تجهيزه ودفنه:

وكان فيما أوصى النبي «صلى الله عليه وآله» به علياً «عليه السلام» قوله: «ضع يا علي رأسي في حجرك، فقد جاء أمر الله تعالى، فإذا فاضت نفسي فتناولها بيدك، وأمسح بها وجهك.

ثم وجهني إلى القبلة.

وتول أمري.

وصل علي أول الناس.

ولا تفارقني حتى تواريني في رمسي.

فأخذ علي «عليه السلام» رأسه، فوضعه في حجره..

إلى أن تقول الرواية:

ثم قُبِضَ «صلى الله عليه وآله»، ويد أمير المؤمنين تحت حنكه، ففاضت نفسه «صلى الله عليه وآله» فيها، فرفعها إلى وجهه، فمسحه بها.

ثم وجَّهَهُ، وغمضه، ومد عليه إزاره، واشتغل بالنظر في أمره[1].

وكان مما أوصى به رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يدفن في بيته الذي قبض فيه. ويكفن بثلاث أثواب. أحدهما: يمان. ولا يدخل قبره غير علي «عليه السلام»[2].

وفي نص آخر عن ابن عباس: لما مرض رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعنده أصحابه قام إليه عمار بن ياسر، فقال له: فداك أبي وأمي يا رسول الله، من يغسلك منا، إذا كان ذلك منك؟!

---

(١) الإرشاد للمفيد ص٩٤ ـ ٩٨ و (ط دار المفيد) ج١ ص١٨٧ والبحار ج٢٢ ص٤٧٠ و ٥٢١ عنه، وعن إعلام الورى ص٨٢ ـ ٨٤ و (ط أخرى) ١٤٣ ـ ١٤٤ و (ط مؤسسة آل البيت) ج١ ص٢٦٧ وعن مناقب آل أبي طالب ج١ ص٢٠٣ ومصباح الفقيه (ط.ق) ج١ ق٢ ص٣٤٦ وجواهر الكلام ج٤ ص١١ وراجع: قصص الأنبياء للراوندي ص٣٥٧ والدر النظيم ص١٩٤ والحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب للسيد فخار بن معد ص٣٠٤.

(٢) البحار ج٢٢ ص ٤٩٣ و ٤٩٤ وج٨٧ ص٣٧٩ عن الطرائف ص٤٢ و ٤٣ و٤٥ وجامع أحاديث الشيعة ج٣ ص٢٣١ و ٢٣٤ و٣٥٠ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج٣ ص٨٣ و (ط دار الإسلامية) ج٢ ص٧٧٩ ومستدرك الوسائل ج٢ ص٢٠٦.

قال: ذاك علي بن أبي طالب، لأنه لا يهم بعضو من أعضائي إلا أعانته الملائكة على ذلك.

فقال له: فداك أبي وأمي يا رسول الله، فمن يصلي عليك منا إذا كان ذلك منك؟!

قال: مه رحمك الله! ثم قال لعلي: يا ابن أبي طالب، إذا رأيت روحي قد فارقت جسدي فاغسلني.

إلى أن قال: واحملوني حتى تضعوني شفير قبري [ثم أخرجوا عني ساعة، فإن الله تعالى أول من يصلي علي] فأول من يصلي علي الجبار جل جلاله من فوق عرشه، ثم جبرئيل وميكائيل وإسرافيل [ثم ملك الموت]. في جنود من الملائكة لا يحصي عددهم إلا الله عز وجل، ثم الحافون بالعرش، ثم سكان أهل سماء فسماء، [ثم أدخلوا علي زمرة زمرة، فصلوا علي وسلموا تسليماً]. ثم جلُّ أهل بيتي ونسائي، الأقربون فالأقربون. يومون إيماءً، ويسلمون تسليماً، لا يؤذوني بصوت نادبة، ولا مرَّنة.

[**قال أبو بكر:** فمن يدخل قبرك؟!

قال: الأدنى فالأدنى من أهل بيتي مع ملائكة لا ترونهم.

قوموا نادوا عني إلى من وراءكم.

فقلت للحارث بن مرة: من حدثك هذا الحديث؟

قال: عبد الله بن مسعود].

وذكر الثعلبي ما يقرب من هذه القضية، لكنه ذكر اسم أبي بكر بدل

عمار، وعلي ثم ما وضعناه بين قوسين إنما هو من رواية الثعلبي[١].

وفي نص آخر: أوصى أن يخرجوا عنه، حتى تصلي عليه الملائكة[٢].

ويذكر نص آخر: أن مما أوصى به النبي «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» قوله: «يا علي، كن أنت وابنتي فاطمة، والحسن والحسين، وكبروا خمساً وسبعين تكبيرة، وكبر خمساً وانصرف. وذلك بعد أن يؤذن لك في الصلاة.

قال علي «عليه السلام»: بأبي وأمي، من يؤذن غداً؟!

قال: جبرئيل «عليه السلام» يؤذنك. قال: ثم من جاء من أهل بيتي يصلون علي فوجاً فوجاً، ثم نساؤهم، ثم الناس بعد ذلك[٣].

أداء أمانات الرسول ' بعد وفاته:

ويبقى سؤال، وهو: أنه هل كانت هناك أمانات مالية لدى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أداها عنه علي «عليه السلام» بعد استشهاده «صلى الله

---

(١) الأمالي للصدوق ص٧٣٢ و ٧٣٣ والبحار ج٢٢ ص٥٠٧ و ٥٣١ عنه، وعن كشف الغمة ص٦ ـ ٨ عن الثعلبي، وروضة الواعظين للفتال النيسابوري ص٧٢ وجامع أحاديث الشيعة ج٣ ص٢٣١.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ١٢ ص ٣٢٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٥٢٧ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٨٥.

(٣) البحار ج٢٢ ص ٤٩٣ و ٤٩٤ وج٧٨ عن الطرائف ص٤٢ و ٤٣ و٤٥ وجامع أحاديث الشيعة ج٣ ص٣٥٠ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج٣ ص٨٣ و (ط دار الإسلامية) ج٢ ص٧٧٩.

عليه وآله».

ونجيب:

إننا نلاحظ ما يلي:

١ ـ قال ابن شهرآشوب: «وقد ولاه في رد الودائع لما هاجر إلى المدينة، واستخلف علياً في أهله وماله، فأمره أن يؤدي عنه كل دين، وكل وديعة، وأوصى إليه بقضاء ديونه»(١).

ولكن هذه العبارة ليس لها ظهور في وجود ودائع عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين وفاته، وأنه أمر علياً «عليه السلام» بردها إلى أصحابها. لأنها إنما تتحدث عن أمر الهجرة من مكة إلى المدينة، وهي قد كانت قبل استشهاده «صلى الله عليه وآله» بأكثر من عشر سنوات.

٢ ـ هناك روايات كثيرة حول أن الإمام علياً «عليه السلام» هو الذي يقضي دين رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وينجز عداته، ويبرئ ذمته..(٢)،

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج١ ص٣٢٩ ـ ٣٣٣ و (ط المكتبة الحيدرية ـ النجف) ج١ ص٣٩٦ والبحار ج٣٨ ص٧٣ عنه.

(٢) كتاب سليم بن قيس (بتحقيق الأنصاري) ص١٣٦ والبحار ج٢١ ص٣٨٠ و٣٨١ وج٢٨ ص٥٥ وج٣٦ ص١٠٩ و ٣١١ و ٣٥٥ وج٣٨ ص١ و ٧٣ و ١٠٣ و ١١١ و ٣٣٤ وج٣٩ ص٣٣ و ٢١٦ وج٧٢ ص٤٤٥ وج٩٩ ص١٠٦ والخصال ج٢ ص٨٤ والأمالي للصدوق ص٤٥٠ وعيون أخبار الرضا «عليه السلام» ج١ ص٩ وكفاية الأثر ص٧٦ و ١٣٥ و ٢١٧ ومناقب الإمام أمير المؤمنين «عليه السلام» للكوفي ج١ ص٤٣٢ وشرح الأخبار ج١ ص١١٣ و ١١٧ و ٢١١ ومائة منقبة لمحمد بن أحمد القمي ص١٤٠ والأمالي للطوسي =

فقد يستفاد من كلمة يبرئ ذمته: أنه يرد الودائع إلى أهلها.

غير أنني أشك في صحة هذا الإستنتاج، وأرجح أن تكون هذه العبارة تفسيرية لما قبلها، وذلك لأنه «صلى الله عليه وآله»، لما نزلت عليه سورة: **{إِذَا جَاء نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ..}** في أواسط أيام التشريق في حجة الوداع، عرف أنه الوداع، فركب راحلته العضباء، وخطب الناس خطبته المعروفة، وفيها:

«أيها الناس، من كانت عنده وديعة، فليؤدها إلى من ائتمنه عليها»(١).

= ص٦٠٠ والمناقب لابن شهرآشوب ج١ ص٣٩٦ وج٢ ص٢٤٧ وج٣ ص١٦ وكتاب الأربعين للماحوزي ص١٩٢ والعمدة لابن البطريق ص١٨١ والمزار لابن المشهدي ص٥٧٧ وإقبال الأعمال لابن طاووس ج١ ص٥٠٧ والطرائف ص١٣٣ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٥٣ عن المناقب لابن المغازلي الشافعي ص٢٦١ ح٣٠٩ وبشارة المصطفى للطبري ص١٠١ و ٢٥٨ وكشف الغمة ج١ ص٣٤١ ونهج الإيمان ص١٩٦ و ٤٤٠ وفضائل أمير المؤمنين «عليه السلام» لابن عقدة الكوفي ص٢٠٤ وتفسير نور الثقلين ج٣ ص٦٢٤ وتفسير القمي ج٢ ص١٠٩ ومسند الإمام الرضا «عليه السلام» للعطاردي ج١ ص١٢٣ و ١٢٧ وجامع أحاديث الشيعة ج٢٣ ص٢٥٢.

(١) الكافي ج٧ ص٢٧٣ و ٢٧٥ والخصال ص٤٨٧ ومن لا يحضره الفقيه ج٤ ص٩٣ وتحرير الأحكام العلامة ج٤ ص٥٢٠ وج٥ ص٤١٦ وجواهر الكلام ج٤١ ص٦٧٠ ومصباح الفقيه (ط.ق) ج٢ ق ١ ص١٦٩وتحف العقول ص٣١ والوسائل (ط مؤسسة آل البيت) ج٥ ص١٢٠ وج٢٩ ص١٠ و (ط دار الإسلامية) ج٣ ص٤٢٤ وج١٩ ص٣ ومستدرك الوسائل ج٩ ص١٢ والفصول المهمة ج٢ ص٨٠ والبحار ج٢١ ص٣٨١ وج٧٣ ص٣٤٩ وج٧٤ =

فإذا كان «صلى الله عليه وآله» يأمر الناس برد الودائع، فالمتوقع أن يبادر هو «صلى الله عليه وآله» إلى ذلك حين علم بقرب أجله.

إلا أن يقال: إنه إذا كان مطمئناً إلى وجود من يوصل الودائع بعده إلى أهلها، فلا غضاضة في أن يوكل الأمر إليه.

٣ ـ وثمة شاهد آخر لعله يشير إلى ما نرمي إليه، وهو: أن الروايات قد صرحت بأن النبي «صلى الله عليه وآله» حينما دنا أجله، كانت لديه سبعة أو ستة دنانير، فخاف أن يقبضه الله، وهي عنده، فأمر أهله بالتصدق بها.. ثم تصدق بها(١).

وهذا يشير إلى أنه «صلى الله عليه وآله» لا بد أن يهتم بأمانات الناس،

= ص١١٨ وج٨٠ ص٢٧٩ وجامع أحاديث الشيعة ج١٣ ص٤٧٩ وج١٨ ص٥٤٥ وج٢٦ ص١٠٠ ومستدرك سفينة البحار ج١٠ ص٢٧٠ ومسند أحمد ج٥ ص٧٣ والسنن الكبرى للبيهقي ج٦ ص٩٧ ومجمع الزوائد ج٣ ص٢٦٦ و ٢٦٧ وشرح النهج للمعتزلي ج١ ص١٢٦ وكنز العمال ج٥ ص١٣١ وجامع البيان للطبري ج٣ ص٤٣٤ وإعجاز القرآن للباقلاني ص١٣٢ وتفسير الثعلبي ج٤ ص٣٤٧ وتفسير البغوي ج٢ ص٢٤٣ وأحكام القرآن لابن العربي ج٢ ص٥٠٣ والدر المنثور ج٣ ص٢٣٥ والتعديل والتجريح للباجي ج١ ص١٨ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٤٠٢ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٢١ و ٢٢٢ وج٢ ق٢ ص٥٨ وإمتاع الأسماع ج٢ ص١١٨ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص١٠٢٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤٠٢ و ٤٠٣ وسبل الهدى والرشاد ج٨ ص٤٨٢.

(١) راجع: مسند أحمد ج٦ ص١٠٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج٦ ص٣٥٦ وصحيح ابن حبان ج٨ ص٩ وموارد الظمآن ج٧ ص٤٢ والبداية والنهاية ج٦ ص٦١.

وبإيصالها إلى أهلها قبل أن يقبضه الله تعالى، وأن لا يكل ذلك إلى وصيه من بعده..

ولعلك تقول: إن هذه الإستفادة لا تلائم ما هو معروف عنه «صلى الله عليه وآله» من أنه خرج من مكة حين هاجر، دون أن يرجع الأمانات إلى أصحابها، بل هو قد وكَّل الإمام علياً «عليه السلام» بالقيام بهذه المهمة، ثم هاجر.

وقد روى الواقدي، وإسحاق الطبري: «أن عمير بن وائل الثقفي أمره حنظلة بن أبي سفيان: أن يدّعي على علي «عليه السلام» ثمانين مثقالاً من الذهب وديعة عند محمد «صلى الله عليه وآله»، وأنه هرب من مكة وأنت وكيله، فإن طلب بينة الشهود، فنحن معشر قريش نشهد عليه. وأعطوه على ذلك مائة مثقال من الذهب، منها قلادة ـ عشرة مثاقيل ـ لهند..

فجاء، وادّعى على علي «عليه السلام»، فاعتبر الودائع كلها، ورأى عليها أسامي أصحابها، ولم يكن لما ذكره عمير خبر، فنصح له نصحاً كثيراً، الخ..»(١).

وهذا معناه: أنه «صلى الله عليه وآله» لم يرجع الودائع إلى أصحابها حين الهجرة، واكتفى بتوكيل علي «عليه السلام» لكي يقوم بذلك بعده..

وفيها: أنه يريد أن يظهر للناس موقع علي «عليه السلام» منه «صلى الله عليه

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب ج١ ص٤٨٦ و٤٨٧ و (ط المكتبة الحيدرية ـ النجف) ج ٢ ص ١٧٥ والبحار ج٤٠ ص٢١٩ و٢٢٠ عنه وجامع أحاديث الشيعة ج٢٥ ص١٠٦ ومستدرك الوسائل ج١٧ ص٣٨٤.

وآله».. وأنه هو الذي يقوم مقامه في غيبته، وغير ذلك..

فيجاب بأن: ثمة فرقاً بين الهجرة وبين الوفاة، فإنه «صلى الله عليه وآله» لو باشر بنفسه بإرجاع الودائع لأصحابها حين الهجرة، لأثار ذلك الكثير من التساؤلات، لربما يفتضح أمر هجرته، ويزيد الأمر تعقيداً، ولربما يغيِّر ذلك من مسار الأحداث إلى ما هو أضرّ وأمرّ.. فكان أن أوكل ذلك إلى علي «عليه السلام»، مشيراً للناس إلى أن علياً «عليه السلام» هو الذي يقوم مقامه في غيبته، وعليهم أن يعرفوا له هذا الموقع منه «صلى الله عليه وآله».

ولم يكن هذا المحذور قائماً حين وفاته «صلى الله عليه وآله».. فالمتوقع أن يأتي تصرفه حين الوفاة موافقاً لما هو المطلوب منه في الحالات الطبيعية.. ولم يكن هناك مانع آخر يمنع من ذلك..

٤ ـ وقد ورد في حديث الغدير قوله: ثم أخذ بيد علي «عليه السلام» فرفعها، فقال: هذا وليي، ويؤدي عني ديني، وأنا موالي من والاه، ومعادي من عاداه[1].

غير أننا نقول:

لعل المراد هو الإعلان بأن لعلي «عليه السلام» هذا الموقع من رسول

---

(١) خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب للنسائي ص٢٨ و (ط مكتبة نينوى الحديثة) ص٤٨ والسنن الكبرى للبيهقي ج٥ ص١٠٧ ح٨٣٩٧ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص٣١٣ والمراجعات للسيد شرف الدين ص٢٦٣ والغدير ج١ ص٣٨ وشرح إحقاق الحق ج٢٢ ص١٩٠ وج٣٠ ص٤٢٨ وج٣١ ص٣١.

الله «صلى الله عليه وآله»، وهو موقع المسؤول بعد موت الرسول «صلى الله عليه وآله» عن كل ما كان الرسول مسؤولاً عنه في حياته.

ولعل مما يدل على ذلك دلالة واضحة الحديث المتقدم عن أنه حين دنا أجل رسول الله «صلى الله عليه وآله» كانت لديه سبعة دنانير، فخاف أن يقبضه الله وهي عنده، فأمر أهله بالتصدق بإرسالها إلى علي «عليه السلام» ليتصدق بها، فلم يفعلوا، فأرسلها إليه «صلى الله عليه وآله» بنفسه وتصدق بها.

فلو كان عليه دين، فالأولى أن يقضي بها دينه، لا أن يتصدق بها.

الفصل الثاني:

سريـــة أسامــة بن زيـد

حديث سرية أسامة:

قال الصالحي الشامي:

إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أقام بعد حجته بالمدينة بقية ذي الحجة، والمحرم، وما زال يذكر مقتل زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب وأصحابه، ووجد عليهم وجداً شديداً.

فلما كان يوم الإثنين لأربع ليال بقين من صفر. سنة إحدى عشرة أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالتهيؤ لغزو الروم، وأمرهم بالجد، ثم دعا من الغد يوم الثلاثاء لثلاث بقين من صفر أسامة بن زيد فقال: «يا أسامة، سر على اسم الله وبركته، حتى تنتهي إلى (موضع) مقتل أبيك، فأوطئهم الخيل، فقد وليتك هذا الجيش، فأغر صباحاً على أهل أبنى[1] وحرّق عليهم. وأسرع السير تسبق الأخبار، فإن أظفرك الله، فأقلل اللبث فيهم، وخذ معك الأدلاء، وقدم العيون والطلائع أمامك»[2].

---

(١) أبنى: ناحية بالبلقاء بين عسقلان والرملة، وهي قرب مؤتة.

(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٤٨ وراجع: المغازي للواقدي ج٣ ص١١١٧ والسيرة الحلبية (ط مصطفى محمد) ج٣ ص٢٣٤ والسيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج٢ ص٣٣٩ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ =

فلما كان يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من صفر بدئ برسول الله «صلى الله عليه وآله» وجعه، فَحُمَّ وصُدِعَ. فلما أصبح يوم الخميس عقد لأسامة لواء بيده.

ثم قال: «اغز بسم الله في سبيل الله، فقاتل من كفر بالله، اغزوا ولا تغدروا، ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة، ولا تتمنوا لقاء العدو فإنكم لا تدرون لعلكم تبتلون بهم، ولكن قولوا: اللهم اكفناهم بما شئت، واكفف بأسهم عنا.

فإن لقوكم قد جلبوا وضجوا، فعليكم بالسكينة والصمت، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، وقولوا: اللهم إنا نحن عبيدك وهم عبادك، نواصينا ونواصيهم بيدك، وإنما تغنيهم أنت، واعلموا أن الجنة تحت البارقة».

فخرج أسامة بلوائه [معقوداً]، فدفعه إلى بريدة بن الحصيب الأسلمي، وعسكر بالجرف، فلم يبق أحد من [وجوه] المهاجرين الأولين والأنصار إلا انتدب في تلك الغزوة منهم أبو بكر الصديق، وعمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح، وسعد بن أبي وقاص، وأبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، في رجال آخرين من الأنصار عدة، مثل قتادة بن النعمان،

= ص١٩٠ وراجع: سنن ابن ماجة ج٢ ص٤١٢ والمبسوط للسرخسي ج١٠ ص٣١ وسنن أبي داود ج٣ ص٣٨ وأحكام القرآن للجصاص ج٣ ص٤٢٩ ومسند أحمد ج٥ ص٢٠٥ و ٢٠٩ ونهج السعادة للمحمودي ج٥ ص٢٦٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٥٤ وج٢٢ ص٤ وإمتاع الأسماع ج٢ ص١٢٣ وج١٤ ص٥١٩.

وسلمة بن أسلم بن حريش[١].

فاشتكى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو على ذلك، ثم وجد من نفسه راحة فخرج عاصباً رأسه فقال: «أيها الناس، أنفذوا بعث أسامة».

ثم دخل رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فقال رجل من المهاجرين ـ كان أشدهم في ذلك قولاً ـ عياش بن أبي ربيعة [المخزومي]: «يستعمل هذا الغلام على المهاجرين»؟.

فكثرت المقالة، وسمع عمر بن الخطاب بعض ذلك فرده على من تكلم به، وأخبر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فغضب غضباً شديداً.

وخرج يوم السبت عاشر المحرم سنة إحدى عشرة.

وقد عصب رأسه بعصابة وعليه قطيفة، ثم صعد المنبر، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال:

«أما بعد، أيها الناس، فما مقالة قد بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة، ولئن طعنتم في إمارة أسامة لقد طعنتم في إمارة أبيه من قبله، وأيم الله، كان للإمارة لخليقاً، وإن ابنه من بعده لخليق للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إلي، وإنهما لمخيلان لكل خير، فاستوصوا به خيراً، فإنه من خياركم»[٢].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٤٨ والبحار ج٢١ ص٤١٠ وج٣٠ ص٤٢٨ وعمدة القاري ج١٨ ص٧٦ وعيون الأثر لابن سيد الناس ج٢ ص٣٥٢.

(٢) راجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٩٠ و (ط دار صادر) ج٢ ص٢٤٩ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٤٨ و ٢٤٩ ومنتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج٤ ص١٨٢ وكنز العمال ج١٠ ص٥٧٢ و ٥٧٣ والمغازي للواقدي =

ثم نزل فدخل بيته، وجاء المسلمون الذين يخرجون مع أسامة يودعون رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فيهم عمر بن الخطاب، ويمضون إلى العسكر بالجرف.

ودخلت أم أ يمن فقالت: «يا رسول الله، لو تركت أسامة يقيم في معسكره حتى تتماثل، فإن أسامة خرج على حالته هذه لم ينتفع بنفسه».

فقال: «أنفذوا بعث أسامة».

فمضى الناس إلى المعسكر فباتوا ليلة الأحد.

وفي نص آخر: ثم ثقل «صلى الله عليه وآله» في مرضه، فجعل يقول: «جهزوا جيش أسامة، أنفذوا جيش أسامة، أرسلوا بعث أسامة» يكرر ذلك[1].

ونزل أسامة يوم الأحد ورسول الله «صلى الله عليه وآله» ثقيل مغمور، وهو اليوم الذي لدوه فيه، فدخل عليه وعيناه تهملان، وعنده الناس والنساء حوله، فطأطأ عليه أسامة فقبله، والنبي «صلى الله عليه وآله» لا يتكلم، فجعل يرفع يديه إلى السماء ثم يضعها على أسامة، كأنه يدعو له.

ورجع أسامة إلى معسكره.

= ج٣ ص١١٩ وشرح النهج للمعتزلي ج١ ص١٥٩ والسيرة الحلبية (ط مصطفى محمد) ج٣ ص٢٣٤ والسيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج٢ ص٣٣٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٥٥ وعيون الأثر لابن سيد الناس ج٢ ص٣٥٢ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٥٢٠.

(١) راجع: كنز العمال ج١٠ ص٥٧٣ ومنتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج٤ ص١٨٢.

ثم دخل يوم الإثنين، وأصبح رسول الله «صلى الله عليه وآله» مفيقاً، وجاءه أسامة فقال له: «اغد على بركة الله»[١].

فودعه أسامة، وخرج إلى معسكره لما رأى رسول الله «صلى الله عليه وآله» مفيقاً.

ودخل أبو بكر فقال: «يا رسول الله، أصبحت مفيقاً بحمد الله واليوم يوم ابنة خارجة فأذن لي». فأذن له، فذهب إلى السنح.

وركب أسامة إلى العسكر، وصاح في أصحابه باللحوق بالعسكر، فانتهى إلى معسكره، وأمر الناس بالرحيل وقد متع النهار.

فبينا هو يريد أن يركب أتاه رسول أمه أم أيمن يخبره أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يموت.

فأقبل إلى المدينة، وأقبل معه عمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح، فانتهوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو يجود بنفسه، فتوفي رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذلك اليوم.

ودخل المسلمون الذي عسكروا بالجرف إلى المدينة، ودخل بريدة بن الحصيب باللواء معقوداً، فغرزه عند باب رسول الله «صلى الله عليه وآله».

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٤٩ والمغازي للواقدي ج٣ ص١١٢٠ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٩١ وكنز العمال ج١٠ ص٥٧٤ و (ط مؤسسة الرسالة) ج١٠ ص٥٧٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٥٦ وإمتاع الأسماع ج٢ ص١٢٥ وج١٤ ص٥٢٠ وشرح النهج للمعتزلي ج١ ص١٦٠ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٣٥ والسيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج٢ ص٣٤٠ والمسترشد للطبري (الشيعي) ص١١٢.

وحسب نص الجوهري: «..فتثاقل أسامة، وتثاقل الجيش بتثاقله، وجعل رسول الله «صلى الله عليه وآله» في مرضه يثقل ويخف، ويؤكد القول في تنفيذ ذلك البعث، حتى قال له أسامة: بأبي أنت وأمي، تأذن أن أمكث أياماً حتى يشفيك الله؟

قال: اخرج، وسر على بركة الله.

قال: يا رسول الله، إن أنا خرجت وأنت على هذه الحال خرجت وفي قلبي قرحة.

فقال: سر على النصر والعافية.

قال: يا رسول الله، إني أكره أن أسأل عنك الركبان.

قال: انفذ لما أمرتك به.

ثم أغمي على رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ثم تذكر الرواية: أنه خرج حتى نزل بالجرف، ومعه أبو بكر، وعمر، وأكثر المهاجرين الخ..

ثم أتاه رسول أم أيمن تخبره بأن النبي يموت[1].

فلما بويع لأبي بكر أمر بريدة أن يذهب باللواء إلى بيت أسامة، ليمضي لوجهه، وألا يحله حتى يغزوهم.

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ج٦ ص٥٢ عن كتاب السقيفة لأبي بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري وراجع: المراجعات ص٣٧٤ وكنز العمال ج١٠ ص٥٧١ و ٥٧٤ والبحار ج٣٠ ص٤٣٠ والنص والإجتهاد للسيد شرف الدين ص٤٢ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٥٢٧ ونهج السعادة للمحمودي ج٥ ص٢٥٩ والسقيفة وفدك للجوهري ص٧٧ وقاموس الرجال ج١٢ ص٢١.

وقال لأسامة: أنفذ في وجهك الذي وجهك فيه رسول الله «صلى الله عليه وآله». وأمر الناس بالخروج، فعسكروا في موضعهم الأول، وخرج بريدة باللواء.

فلما ارتدت العرب، كُلِّم أبو بكر في حبس أسامة، فأبى[1].

ومشى أبو بكر إلى أسامة في بيته فكلمه في أن يترك عمر، وأن يأذن له في التخلف، ففعل.

وخرج ونادى مناديه عزمت لا يتخلف عن أسامة من بعثه من كان انتدب معه في حياة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإني لن أوتى بأحد أبطأ عن الخروج معه إلا ألحقته به ماشياً. فلم يتخلف عن البعث أحد.

وخرج أبو بكر يشيع أسامة.

فركب من الجرف لهلال ربيع الآخر في ثلاثة آلاف، فيهم ألف فارس، وسار أبو بكر إلى جنبه ساعة وقال:

«أستودع الله دينك، وأمانتك، وخواتيم عملك. إني سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوصيك، فانفذ لأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإني لست آمرك ولا أنهاك عنه، إنما أنا منفذ لأمر أمر به رسول الله «صلى الله عليه وآله».

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٤٩ وكنز العمال ج١٠ ص٥٧٥ ومنتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج٤ ص١٨٣ والكامل في التاريخ ج٢ ص٣٣٤ و ٣٣٥ والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٣٦ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٩١ وعيون الأثر لابن سيد الناس ج٢ ص٣٥٣ وإمتاع الأسماع ج٢ ص١٢٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٥٧.

فخرج سريعاً، فوطئ بلاداً هادية، لم يرجعوا عن الإسلام، جهينة وغيرها من قضاعة. حتى نزل وادي القرى، فسار إلى أُبْنَى في عشرين ليلة.

فقدم له عين له من بني عذرة يدعى حريثاً، فانتهى إلى أبنى، ثم عاد فلقي أسامة على ليلتين من أبنى، فأخبره أن الناس غارون ولا جموع لهم، وحثهم على السير قبل اجتماعهم.

فسار إلى أُبْنَى وعبأ أصحابه، ثم شن عليهم الغارة، فقتل من أشرف له، وسبى من قدر عليهم، وحرق بالنار منازلهم، وحُرُثهم، ونخلهم، فصارت أعاصير من الدواخين، وأجال الخيل في عرصاتهم، وأقاموا يومهم ذلك في تعبئة ما أصابوا من الغنائم. وكان أسامة على فرس أبيه سبحة، وقتل قاتل أبيه في الغارة، وأسهم للفرس سهمين، وللفارس سهماً، وأخذ لنفسه مثل ذلك.

فلما أمسى أمر الناس بالرحيل ثم أغذ السير، فورد وادي القرى في تسع ليال، ثم بعث بشيراً إلى المدينة بسلامتهم. ثم قصد بعد في السير، فسار إلى المدينة، ستاً حتى رجع إلى المدينة ولم يصب أحد من المسلمين.

وخرج أبو بكر في المهاجرين وأهل المدينة يتلقونهم سروراً بسلامتهم، ودخل على فرس أبيه سبحة، واللواء أمامه، يحمله بريدة بن الحصيب حتى انتهى إلى باب المسجد، فدخل فصلى ركعتين. ثم انصرف إلى بيته.

وبلغ هرقل وهو بحمص ما صنع أسامة، فبعث رابطة يكونون بالبلقاء، فلم تزل هناك حتى قدمت البعوث إلى الشام في خلافة أبي بكر وعمر(١).

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٥٠ وراجع: عمدة القاري ج١٨ ص٧٧ والطبقات =

ونقول:

إن لنا مع ما تقدم الوقفات التالية:

تناقض ظاهر في كلام الشامي:

لقد ذكر الصالحي الشامي:

أن النبي «صلى الله عليه وآله» أمر بالتهيؤ لغزو الروم يوم الإثنين، لأربع ليال بقين من شهر صفر، سنة إحدى عشرة، وفي يوم الثلاثاء أمر أسامة بتولي هذه المهمة، وفي يوم الأربعاء بُدِئ برسول الله وجعه، فَحُمَّ وصُدِعَ، وفي يوم الخميس عقد لأسامة لواءاً بيده.

ولكنه يعود فيقول: إنه «صلى الله عليه وآله» لما سمع طعن الطاعنين في تأمير أسامة على المهاجرين، «خرج يوم السبت عاشر المحرم سنة إحدى عشرة، وقد عصب رأسه بعصابة، ثم صعد المنبر، فخطبهم، وفند مقالتهم وردها»[1]. وهذا تناقض واضح..

إلا أن يدعى: أن ثمة غلطاً في هذا النص الأخير، وأن الصحيح هو: أنه خطبهم في العاشر من شهر ربيع الأول، لا شهر محرم.

ولكنها دعوى موهونة أيضاً، فإن الصحيح هو أنه «صلى الله عليه وآله» قد توفي في الثامن والعشرين من شهر صفر..

= الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٨٩ ـ ١٩٢ وعيون الأثر لابن سيد الناس ج٢ ص٣٥٢ ـ ٣٥٤.

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٤٨ و ٢٤٩.

يستعمل هذا الغلام على المهاجرين؟!:

ولا ندري كيف يمكن أن نحكم على عياش بن أبي ربيعة وعلى القوم الذين تكلموا بمثل كلامه، بصحة الإيمان ونحن نرى أنه يعترض على رسول الله «صلى الله عليه وآله» في تأميره أسامة، ويخطئه، ويطعن في عصمته؟!(١).

ويزيد الأمر إشكالاً: تبرير اعتراضه هذا بأنه «صلى الله عليه وآله» قد أمّر أسامة على المهاجرين، مع أنه أمَّره على المهاجرين والأنصار معاً.

وكأنه يرمي إلى الإيحاء بأن المهاجرين طبقة مميزة عن غيرهم من سائر المسلمين بما في ذلك الأنصار.

فهو ينطلق من شعور عنصري، أو مفهوم طبقي، أدانه الإسلام ورفضه، ولا يعترف به، بل يعتبره من الدعوات المنتنة والبغيضة.

ويلاحظ: أن ابن أبي الحديد المعتزلي وتبعه الحلبي قد زادا كلمة والأنصار على النص من عند أنفسهما، مع عدم وجود هذه الكلمة في المصادر الأولية كما يعلم بالمراجعة، فلماذا هذا التصرف يا ترى؟!!

---

(١) راجع: البحار ج٢١ ص٤١٠ وج٣٠ ص٤٢٩ وعمدة القاري ج١٨ ص٧٦ وكنز العمال ج١٠ ص٥٧٢ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص٧١٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٥٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٩٠ وشرح النهج للمعتزلي ج١ ص١٥٩ وج١٠ ص١٨٤ وج١٧ ص١٨٢ و ١٩٤ وفتح الباري (المقدمة) ص٢٩٨ وج٧ ص٦٩ وج٨ ص١١٥ والعثمانية للجاحظ ص١٤٦ وإمتاع الأسماع ج٢ ص١٢٤ وج١٤ ص٥٢٠ وعيون الأثر لابن سيد الناس ج٢ ص٣٥٢ السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٢٢٧ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٤٨ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص١٤٤.

لعن الله من تخلف عن جيش أسامة:

ولا نستطيع أن نتجاهل ما ورد في النصوص التي رواها السنة والشيعة، من أن النبي «صلى الله عليه وآله» حين أمّر أسامة بن زيد على ذلك الجيش الذي جمع فيه المهاجرين والأنصار، ومن بينهم الطامعون بالخلافة، وقال: جهزوا جيش أسامة، لعن الله من تخلف عن جيش أسامة[1]. أو نحو ذلك.

فلم يطيعوا أمره «صلى الله عليه وآله»، وَسَوَّفُوا وتعللوا بالعلل، وبالمعاذير الواهية.

فكيف ولماذا عرضوا أنفسهم للعن رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

هل كانوا يرونه مخطئاً في تجهيزه لذلك الجيش؟

أم اتكلوا على حديث رواه الكذابون عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، يدّعون فيه أنه «صلى الله عليه وآله» قال: اللهم من سببته أو لعنته،

---

(١) راجع: الملل والنحل (ط دار المعرفة) ج١ ص٢٣ و (بهامش الفصل لابن حزم) ج١ ص٢٠ وشرح النهج للمعتزلي ج٦ ص٥٢ عن كتاب السقيفة لأحمد بن عبد العزيز الجوهري وراجع: المسترشد للطبري ص١١٢ والبحار ج٣٠ ص٤٣١ و ٤٣٢ ونفحات اللاهوت ص١١٣ وتشييد المطاعن ج١ ص٤٧ ومعالم المدرستين ج٢ ص٧٧ ووصول الأخيار إلى أصول الأخبار لوالد البهائي العاملي ص٦٨ وكتاب الأربعين للشيرازي ص١٤١ و ٥٢٧ وقاموس الرجال ج١٢ ص٢١ والسقيفة وفدك للجوهري ص٧٧ ونهج السعادة للمحمودي ج٥ ص٢٥٩ ومستدرك سفينة البحار ج٥ ص٢٠٩ والنص والإجتهاد ص٤٢ والمراجعات للسيد شرف الدين ص٣٧٤ وإحقاق الحق (الأصل) ص٢١٨.

فاجعل ذلك زكاة ورحمة له؟!(١).

وقد ذكرنا هذا الحديث أكثر من مرة في هذا الكتاب، وبينا خطله وفساده..

استعمله النبي ' وتأمرني أن أنزعه؟!:

وذكروا: أن عمر بن الخطاب جاء إلى أبي بكر يلتمس منه بلسان الأنصار عزل أسامة، وتولية غيره، فوثب أبو بكر إلى عمر، فأخذ بلحيته، فقال: ثكلتك أمك وعدمتك يا بن الخطاب، استعمله رسول الله وتأمرني أن أنزعه؟!(٢).

---

(١) راجع: صحيح مسلم ج٨ ص٢٤ و ٢٥ و ٢٦ و ٢٧ وسنن الدارمي ج٢ ص٣١٥ ومسند أحمد ج٢ ص٣١٧ و ٣٩٠ و ٤٤٩ و ٤٨٨ و ٤٩٣ و ٤٩٦ وج٣ ص٣٣ و ٣٩١ و ٤٠٠ وج٥ ص٤٣٧ و ٤٣٩ وج٦ ص٤٥ والبداية والنهاية ج٨ ص١١٩عن صحيح البخاري (كتاب الدعوات) ج٤ ص٧ إضافة إلى مصادر أخرى تقدمت.

(٢) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٢٢٦ و (ط دار صادر) ج٢ ص٤٦٢ والكامل في التاريخ ج٢ ص٣٣٥ والسيرة الحلبية (ط مصطفى محمد) ج٣ ص٢٣٦ و (ط دار المعرفة) ج٣ ص٢٣٠ وعن السيرة النبوية لدحلان (بهامش الحلبية) ج٢ ص٣٤٠

وراجع: التمهيد للباقلاني ص١٩٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٢ ص٥٠ ومختصر تاريخ دمشق ج١ ص١٧١ وتاريخ أبي الفداء ج١ ص١٥٦ وعن الروض الأنف ج٢ ص٣٧٥ وجواهر الكلام ج٣٠ ص١٤٢ والبحار ج٣٠ ص٥٠٢ وج٣٤ ص٣٨٣ والنص والإجتهاد للسيد شرف الدين ص٣٥ والغدير ج٧ ص٢٢٤=

ونقول:

أولاً: إنه إذا مات النبي أو الوصي، يستطيع وصيه أو الولي من بعده أن يعزل قواد الجند، والأمراء والعمال على البلاد، لأن الظروف قد تتغير، وتمسُّ الحاجة إلى صرف النظر عن بعض الإجراءات، أو استبدال بعض القادة على الجند أو العمال والولاة..

لكن الذي لا يعزل هو فقط الإمام وولي الأمر المنصوص عليه من الله ورسوله..

فما معنى أن يحتج الخليفة على عدم عزل أسامة بأن النبي قد نصبه؟![1].

ثانياً: إن أبا بكر نفسه قد عزل عدداً ممن نصبهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حياته، واستمروا على عملهم إلى ما بعد وفاته «صلى الله عليه وآله»، فقد ذكر العلامة الأميني: أن أبا بكر جعل خالد بن سعيد بن العاص على مشارق الشام في الردة، وكان النبي «صلى الله عليه وآله» قد استعمله على ما بين زمع زبيد إلى حد نجران. أو على صدقات مذحج، ومات وهو على عمله[2].

= وشرح النهج للمعتزلي ج١٧ ص١٨٣ وكنز العمال ج١٠ ص٥٧٩ والفصول المهمة في تأليف الأمة للسيد شرف الدين ص١٠٣.

(١) راجع: الغدير ج٧ ص٢٢٤ و ٢٢٥.

(٢) راجع: الغدير ج٧ ص٢٢٤ و ٢٢٥ ومكاتيب الرسول ج١ ص١٤ وفي هامشه عن: الإصابة ج٢ ص٢٢٢ (٤٢٣٤) في ترجمة طاهر بن أبي هالة و ص٥٣٩ (٥٨٤٦) في ترجمة عمرو وج١ ص٤٠٧ (٢١٦٧) في ترجمة خالد، والإستيعاب ج٣ ص٣٥٧ في ترجمة معاذ وج١ ص٤٠٠ في ترجمة خالد، واليعقوبي ج٢ =

واستعمل أبو بكر يعلى بن أمية على حلوان. مع أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان قد استعمله على الجند. وتوفي «صلى الله عليه وآله» وهو على عمله[1].

وكان عمرو بن العاص على عُمان، وتوفي «صلى الله عليه وآله» وهو أميرها[2].

وكان عكرمة على صدقات هوازن عام وفاته. فاستعمل أبو بكر

= ص٦٥ و ١١٢ وفتوح البلاذري ص١٤٢ والبداية والنهاية ج٦ ص٣٠٧ وابن خلدون ج٢ ق٢ ص٥٩ وابن أبي الحديد ج٦ ص٣١ و ٤١ وج٢ ص٥٨ والبحار ج٢١ ص٤٠٧ والتراتيب الإدارية ج١ ص٢٤٥ و ٣٩٧ وصحبة النبي «عليه السلام» ص١٢٠ والطبري ج٣ ص١٣٦ و ١٨٥ و ٢٢٨ و ٣١٨. والإرشاد للمفيد ص٨٠ و ٨١ (وفي أسد الغابة ج٢ ص٨٣ أرسل علياً «عليه السلام» وخالد بن سعيد إلى اليمن، وقال: إذا اجتمعتما فعلي الأمير.

(١) راجع: الغدير ج٧ ص٢٢٤ و ٢٢٥. وراجع: مكاتيب الرسول ج١ ص٤٧ وفي هامشه عن: البحار ج٢١ ص٤٠٧ والطبري ج٣ ص٢٢٨ و ٣١٨ وابن خلدون ج٢ ق٢ ص٥٩ والبداية والنهاية ج٦ ص٣٠٧ واليعقوبي ج٢ ص١١٣. وراجع: أسد الغابة ج٥ ص١٢٨ وقاموس الرجال ج١١ ص١٤٣.

(٢) راجع: سبل السلام للكحلاني ج١ ص١٢٧ والبحار ج٢٢ ص٢٤٩ والغدير ج٧ ص٢٢٥ ومكاتيب الرسول ج١ ص١١٦ وفي هامشه عن: الكامل لابن الأثير ج٢ ص٨٧ وأسد الغابة، والسيرة النبوية لزيني دحلان (بهامش الحلبية) ج٣ ص٧٥ والطبقات الكبرى ج١ ص٢٦٢ والإصابة، وابن أبي الحديد ج٢ ص١١٢. وراجع: الإستيعاب لابن عبد البر ج٣ ص١١٨٧.

عكرمة على عمان ثم عزله، واستعمل عليها حذيفة بن محصن[١].

ثم ذكر أن عمر نفسه قد عزل بعض من كانوا في عهد النبي «صلى الله عليه وآله»، وكذلك عثمان، فاستعمل عثمان بن أبي العاص على عمان والبحرين سنة ١٥، وكان على الطائف من زمن النبي «صلى الله عليه وآله» وغير ذلك[٢].

ثالثاً: إن المعترضين على تأمير أسامة إنما أخذوا مبررات الإعتراض مما جرى في السقيفة، حيث استدلوا على أحقية أبي بكر للخلافة بكبر سنه، فلا غضاضة على الأنصار إذا طالبوه بعزل صغير السن عنهم، وتولية من هو أسن منه.

بل إن هذا الإعتراض قد صدر من بعض المهاجرين والأنصار في عهد النبي على النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه بالنسبة لزيد بن حارثة، أبي أسامة، فاضطر «صلى الله عليه وآله» إلى أن يخطب الناس، ويؤكد أهليته للإمارة كأبيه، ويشير إلى أن اعتراضهم لم يكن لأجل سنه، وإنما لأمور أخرى يخفونها، ولو كان السبب هو مجرد السن، فلماذا يطعنون بإمارة أبيه من قبل.

رابعاً: لماذا يتكلم عمر بلسان الأنصار، ونحن نعرف أنه لم يكن يُكِنُّ لهم الكثير من الود والصفاء، ولا سيما بعد قصة السقيفة؟!

---

(١) راجع: الغدير ج٧ ص٢٢٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٧ ص٤٠٤ ومكاتيب الرسول ج١ ص٣١ وفي هامشه عن: الإصابة ج٢ ص٤٩٦ (٥٦٣٨) والتراتيب الإدارية ج١ ص٣٩٧ وأسد الغابة ج٤ ص٥ والإستيعاب ج٣ ص١٤٩.

(٢) راجع: الغدير ج٧ ص٢٢٥.

خامساً: قد برّروا الإعتراض على تأمير أسامة بأنه لا يجوز أن يتأمر على المهاجرين، كما تقدم عن عياش بن أبي ربيعة، ولم نسمع للأنصار اعتراضاً على تأمير أسامة..

سادساً: إذا كان أبو بكر متقيداً إلى هذا الحد بتوجيهات رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلماذا طلب من أسامة أن يتخلى له عن عمر بن الخطاب، ويبقيه عنده؟!

سابعاً: إذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» قد قرر ذلك، فهل يحق لأسامة أن يبطل قرار النبي «صلى الله عليه وآله» فيه؟!

هذا كله عدا عن تخلف أبي بكر نفسه عن ذلك الجيش، بعد أن كان النبي «صلى الله عليه وآله» قد ندبه ليكون فيه كسائر الناس؟!..

أبو بكر في جيش أسامة:

قال الصالحي الشامي:

ذكر محمد بن عمر، وابن سعد: أن أبا بكر كان ممن أمره رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالخروج مع أسامة إلى أُبنى، وجرى عليه في المورد، وجزم به في العيون، والإشارة، والفتح في مناقب زيد بن حارثة.

وأنكر ذلك الحافظ أبو العباس بن تيمية، فقال في كتابه الذي رد فيه على ابن المطهر الرافضي:

«لم ينقل أحد من أهل العلم أن النبي «صلى الله عليه وآله» أرسل أبا بكر وعثمان في جيش أسامة، فقد استخلفه يصلي بالمسلمين مدة مرضه إلى أن مات. وكيف يتصور أن يأمره بالخروج في الغزاة وهو يأمره بالصلاة

بالناس»؟ وبسط الكلام على ذلك.

فقلت: وفيما ذكره نظر من وجهين:

أولهما: قوله: لم ينقل أحد من أهل العلم الخ.. فقد ذكره محمد بن عمر، وابن سعد، وهما من أئمة المغازي.

ثانيهما: قوله: وكيف يرسل أبا بكر في جيش أسامة؟ الخ.. ليس بلازم، فان إرادة النبي «صلى الله عليه وآله» بعث جيش أسامة كان قبل ابتداء مرض رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلما اشتد به المرض استثنى أبا بكر، وأمره بالصلاة بالناس.

وقال ابن سعد: حدثنا عبد الوهاب بن عطاء العجلي قال: حدثنا المعمري عن نافع عن ابن عمر:

أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعث سرية فيها أبو بكر وعمر، واستعمل عليهم أسامة بن زيد، وكان الناس طعنوا فيه أي في صغره، فبلغ ذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله» الخ.. فذكر الحديث(١).

ونقول:

إن علينا أن نضيف إلى ما تقدم مايلي:

١ ـ إن النص المتقدم يقول: «لم يبق أحد من وجوه المهاجرين والأنصار، إلا انتدب (بالبناء للمفعول) في تلك الغزوة، منهم أبو بكر الخ..».

ومن الواضح: أن انتداب وجوه المهاجرين والأنصار، إنما كان من قبل

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٥٠ و ٢٥١.

رسول الله «صلى الله عليه وآله» نفسه.

٢ ـ إن الذين ذكروا أبا بكر في جيش أسامة لا ينحصرون بالواقدي وابن سعد، بل فيهم اليعقوبي، والبلاذري، وكثيرون آخرون[1].

٣ ـ بالنسبة لاستخلاف النبي «صلى الله عليه وآله» له ليصلي بالمسلمين..

نقول:

قد تعرضنا لهذا الموضوع بالتفصيل في فصل مستقل، وبيَّنَّا وهن ما استندوا إليه في ذلك، مع أن الروايات الصحيحة قد دلت على: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد عزله عن الصلاة، حين رآه يؤم الناس.. الأمر الذي يعزز الروايات التي تقول: إن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن يعلم بتصديه للصلاة، بل كان ذلك بتدبير من عائشة، كما نقله المعتزلي عن علي «عليه السلام»، أو عن أبي بكر نفسه.

على أن نفس التناقض الشديد فيما بين الروايات يسقطها عن درجة الإعتماد، فراجع ما ذكرناه حين الحديث عن هذا الأمر..

٤ ـ يضاف الى ما تقدم: أنه إذا كان «صلى الله عليه وآله» قد جعله في

---

(١) راجع: تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٧٤ وأنساب الأشراف ج١ ص٤٧٤ وتهذيب تاريخ ابن عساكر ج٢ ص٣٩١ وج٣ ص٢١٥ وأسد الغابة ج١ ص٦٨ وتاريخ الخميس ج٢ ص١٧٢ وتاريخ أبي الفداء ج١ ص١٥٦ والطبقات الكبرى ج٢ ص١٩٠ وج٤ ص٦٦ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٤٨ وسمط النجوم العوالي للعاصمي ج٢ ص٢٢٤ وشرح النهج للمعتزلي ج١ ص١٥٩ وج٦ ص٥٢ والكامل ج٢ ص٣١٧ عن السيرة الحلبية ج٣ ص٢٣٤ وعن السيرة النبوية لدحلان ج٢ ص٣٣٩ وكنز العمال ج١٠ ص٥٧٠ ومنتخب كنز العمال ج٤ ص١٨٠ وحياة محمد ص٤٦٧.

جيش أسامة، فلماذا تراجع عن قراره وغيَّر رأيه بهذه السرعة؟! فإن حاجة الناس إلى من يؤمهم في صلاتهم لا توجب استدعاء أبي بكر، إلا إذا فرض: أنه لم يكن بين الذين تخلفوا عن جيش أسامة من هو مؤهل لإمامتهم في الصلاة!!

وهذا لا يمكن قبوله. إذ ما هو النقص الذي كان يحول بينهم وبين ذلك؟! هل هو بأنهم كانوا بأجمعهم لا يحسنون القراءة مثلاً؟!

أم هو عدم وجود من يملك صفة العدالة بينهم؟ إن ذلك بعيد، ولا مجال للمصير إليه، لما يلي:

أولاً: لمنافاته لقولهم بعدالة جميع الصحابة.

ثانياً: إنهم يروون عن النبي «صلى الله عليه وآله» أنه قال: صلوا خلف كل بر وفاجر.

ثالثاً: إننا إذا قلنا باشتراط العدالة في الإمام، فمن الصعب الحكم بفسق أولئك الناس كلهم. فالحديث عن أن استثناء أبي بكر قد كان بعد اشتداد مرض النبي «صلى الله عليه وآله»، لا معنى له..

أقلل اللبث فيهم:

ولا بد لنا من التأمل في السبب الذي دعا النبي «صلى الله عليه وآله» أن يأمر أسامة بأن يُقِلَّ اللبث في أهل أُبنى، بعد أن يظفر بهم، فهل هو لا يريد أن يفسح المجال أمام أولئك الأعداء لانتهاز الفرصة لتسديد ضربتهم للمسلمين على حين غفلة منهم؟! فإن هذا ما يوجبه النصح للمسلمين والمحافظة عليهم، وحفظهم من أن يتعرضوا لصدمة روحية، قد تبلغ حد

الإحباط لدى بعض ضعفاء النفوس..

أو لأنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يبقي على حالة الإبهام والغموض، والتهيب للمسلمين، في نفوس أولئك الأعداء؟!

أو لأنه يريد منه أن يسرع بالرجوع إلى المدينة، لأن طول غيابه قد يفسح المجال أمام بعض الفئات لجمع قواهم، والإنقضاض على المدينة عاصمة الإسلام.

أو لأنه يريد أن يحميه من أن يتمكن هرقل من إرسال جيوشه الهائلة لنجدة أهل أُبنى، ويتمكن من إلحاق الأذى بأسامة وبجيشه.

أو أن كل ذلك كان مقصوداً ؟!!

ربما يكون هذا الأخير هو الأولى والأظهر..

إشارة إلى حديث اللدود:

وقد أشارت بعض النصوص المتقدمة إلى الحديث الذي يقول: إنهم لدّوا رسول الله في مرضه، وقد تكلمنا عن هذا الحديث في هذا الجزء من الكتاب وقلنا: إنه حديث خرافة، فراجع..

حرّق عليهم:

وقد نسبوا إلى النبي «صلى الله عليه وآله» أنه أمر أسامة بأن يحرق على أهل أُبنى، ونحن نشك في صحة هذه الرواية، وذلك لما يلي:

١ ـ إن كان المراد تحريق الشجر مثل النخل وغيره، فنقول:

قد ورد عن ثوبان أنه سمع رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول: من قتل صغيراً أو كبيراً، أو أحرق نخلاً، أو قطع شجرة مثمرة، أو ذبح شاة

لإهابها، لم يرجع كفافاً[١].

فإنه يدل على أن هذا العمل مرجوح عند الشارع، ولا يأمر النبي «صلى الله عليه وآله» بما هو مرجوح..

بل قد ورد ما يدل على حرمته أيضاً، وبذلك أفتى عدد من الفقهاء إلا في حال الضرورة[٢].

وحكم كثير منهم بالكراهة[٣].

---

(١) راجع: مسند أحمد ج٥ ص٢٧٦ ومجمع الزوائد ج٥ ص٣١٧ وج١٤ ص٢٦١ وكنز العمال ج١٥ ص٣٥ وسبل الهدى والرشاد ج٩ ص١١٨ وعمدة القاري ج١٤ ص٢٦١ وكنز العمال ج١٥ ص٣٥.

(٢) راجع: المهذب لابن البراج (مطبوع ضمن الينابيع الفقهية) كتاب الجهاد ص٨٨ مقيداً للأشجار بـ «المثمرة» وفي منتهى المطلب ج٢ ص٩٠٩ عن أحمد، وقد حكي القول بعدم الجواز عن الليث بن سعد، وأبي ثور، والأوزاعي فراجع: فتح الباري ج٥ ص٧ والجامع الصحيح ج٤ ص١٢٢ وفقه السيرة ص٢٨٠ وشرح مسلم للنووي ج٥ ص٧ وج١٢ ص٥٠ وعمدة القاري ج٤ ص١٧٩ ورياض المسائل للطباطبائي ج٧ ص٥٠٢ والبحار ج٧٣ ص٣١٩.

(٣) تذكرة الفقهاء ج١ ص٤١٢ و٤١٣ وراجع: السرائر ص١٥٧ وتحرير الأحكام ج١ ص١٣٥ وشرائع الإسلام ج١ ص٣١٢ والقواعد (المطبوع مع الإيضاح) ج١ ص٣٥٧ والجامع لأحكام الشرائع ص٢٣٦ ومنتهى المطلب ج٢ ص٩٠٩ والوسيلة (المطبوع ضمن الجوامع الفقهية) ص٦٩٦ والخراج لأبي يوسف ص٢١٠ والمبسوط للسرخسي ج١٠ ص٣١ عن الأوزاعي، والمبسوط للشيخ الطوسي «رحمه الله» ج٢ ص١١ وعون المعبود ج٧ ص٢٧٥ ومجمع الأنهر ج١ ص٥٩٠ وإيضاح الفوائد لابن العلامة ج١ ص٣٥٧ ومسالك الأفهام ج٣ ص٢٥ وجامع =

والنبي «صلى الله عليه وآله» لا يأمر بالمكروه فضلاً عن الحرام إلا مع الضرورة. فيرتفع معها عنوان الحرمة أو الكراهة.

إلا أن يقال: إن المرجوح هو فعل ذلك بالمسلمين، أو في نخلهم، وشجرهم، ولا يشمل نخل المحاربين وشجرهم، وأملاكهم.

ويجاب: بأن الكلام قد جاء مطلقاً، كما أن النهي عن ذلك قد يكون لأجل أنه من مصاديق الإفساد في الأرض، وهذا صادق على صورة كون النخل للمحاربين أيضاً، إلا مع الحاجة إليه لكسر شوكة العدو، وتحقيق النصر عليه.

٢ ـ وإن كان المراد تحريق الناس بالنار، فقد روي عن النبي «صلى الله عليه وآله» أنه قال: لا يعذب بالنار إلا رب النار. أو نحو ذلك[١].

= المقاصد للمحقق الكركي ج٣ ص٣٨٥ وكشف الغطاء (ط.ق) ج٢ ص٤٠٦ وجواهر الكلام ج٢١ ص٦٦.

(١) راجع: صحيح البخاري كتاب الجهاد، باب لا يعذب بعذاب الله ج٣ ص١٠٩٨ ح (٢٨٥٣) ومسند أحمد ج٣ ص٤٩٤ وج٢ ص٣٠٧ وعن سنن أبي داود ج٢ ص٢١٩ و (ط دار الفكر) ج١ ص٦٠٣ وج٢ ص٥٣٢ والجامع الصحيح للترمذي ج٤ ص١١٧ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٧١ و ٧٢ ومصابيح السنة ج٢ ص٥٢٨ و ٥٣٠ وفتح الباري ج٦ ص١٠٥ وج١٢ ص٢٣٩ وشرح النهج للمعتزلي ج٥ ص٦ وج١٤ ص١٩٤ والإستيعاب (ط دار الجيل) ج٤ ص١٥٣٦ والمعجم الكبير ج٣ ص١٦١ ومسند أبي يعلى ج٣ ص١٠٦ والآحاد والمثاني ج٤ ص٣٤٠ والمصنف للصنعاني ج٥ ص٢١٥ وتحفة الأحوذي ج٦ ص١٧٣ وعمدة القاري ج١٤ ص٢٢٠ وتيسير الوصول ج١ ص٢٧٩ و =

إلا أن يقال: إن التعذيب بالنار المنهي عنه هو: أن يكون من يراد تعذيبه في قبضة الإنسان المؤمن، ويريد أن يورد عليه عقوبة أو أذى مشروعاً من حدّ أو تعزير.

وأما الإستفادة من النار في قتال العدو فلا مانع منه.

٣ ـ ما نسب إلى علي «عليه السلام» من أنه أحرق عبد الله بن سبأ.. لعله غير دقيق، فقد روي:

أنه «عليه السلام» حفر له ولأصحابه حفائر، وخرق بعضها إلى بعض، ثم دخن عليهم حتى ماتوا[1].

٤ ـ من الممكن أن يكون هذا الحديث قد نسب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بهدف تبرير فعل صدر عن أبي بكر، الذي أحرق الفجاءة

= مجمع الزوائد ج٦ ص٢٥١ وحاشية رد المحتار لابن عابدين ج٤ ص٣١٧ والشرح الكبير لابن قدامه ج٩ ص٤٠٥ وج١٠ ص٣٩٦ والمحلى لابن حزم ج١٠ ص٣٧٦ وج١١ ص٣٨٣ ونيل الأوطار ج٨ ص٤ وج٩ ص٩٥ والبحار ج١٩ ص٣٥٢ والغدير ج٧ ص١٥٥ وبداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد الحفيد ج١ ص٣٠٩ وكشاف القناع للبهوتي ج٣ ص٥٥ والمغني لابن قدامه ج٩ ص٣٩١ و ٥٠٢.

(١) راجع: السنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٧١ والغدير ج٧ ص١٥٦وفتح الباري ج٦ ص١٠٦ وشرح النهج للمعتزلي ج٥ ص٥ وج٨ ص١١٩ وأحكام القرآن لابن العربي ج٣ ص٥١٥ وعمدة القاري ج١٤ ص٢٦٤ وشرح إحقاق الحق ج٨ ص٦٤٥.

السلمي(١)، وصدر أيضاً من خالد بن الوليد(٢)، ثم صدر من أسامة تجاه أهل أُبنى، ومعه جماعات من الصحابة ممن لا يحب هؤلاء الناس أن تنسب إليهم مخالفات صريحة، لأنهم كانوا ـ عموماً ـ من أنصار الحاكم الجديد.

أغز عليهم:

تقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» قال لأسامة: «أغز عليهم» وهو تصحيف، إذ لا معنى لتعدية كلمة «أغز» بعلى، فقوله: «أغز عليهم» كلام ركيك، إلى حد الغلط، وهو لا يصدر عن أفصح وأبلغ الناس، فالصحيح هو: «أغر عليهم».. ولعل عدم وجود النقط للحروف هو الذي أوقع في الإشتباه..

الغارة على الآمنين:

ولا مجال للإعتراض بأن النبي «صلى الله عليه وآله» لا يأمر بالإغارة على الآمنين. وذلك لأن أهل أبنى كانوا معلنين للحرب على الإسلام

____

(١) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٢٦٤ والبداية والنهاية ج٦ ص٣١٩ والإصابة ج٥ ص٢٢٣ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص١٣٧ وكتاب الفتوح لابن أعثم ج١ ص١٠ والخصال ص١٧١ والبحار ج٣٠ ص١٢٣ و خلاصة عبقات الأنوار ج٣ ص٣٢٢ و ٣٢٤ والغدير ج٧ ص١٧٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٠ ص٤١٨ و ٤٢٠ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٦١٩.

(٢) راجع: الرياض النضرة ج١ ص١٢٩ والمحلى لابن حزم ج١١ ص٣٨٠ وتذكرة الفقهاء (ط.ج) ج٩ ص٦٩ و (ط.ق) ج١ ص٤١٢ و.

وأهله، وقد كان لهم دور بارز في مؤتة.

ولا مانع من صحة ما روي، من أن قاتل زيد بن حارثة كان فيهم أو منهم، وليس للمحارب أن يتوقع من عدوه أن يعلمه بموقعه، وبخططه، أو بما يحمله من سلاح، أو بساعة إغارته عليه.. بل عليه هو أن يكون حذراً، وأن يستعد للمفاجآت، ويحسب لها حسابها.

ولعدوه الحق بأن يموه عليه، وأن يطلب غرته ويغير عليه.. فلا محذور في أن يأمر النبي «صلى الله عليه وآله» أسامة بن زيد بأن يغير على أهل أبنى في أي وقت شاء.

سبب التثاقل والتخلف عن أسامة:

قال العلامة البحاثة السيد عبد الحسين شرف الدين «رحمه الله»، في بيانه لأسباب تثاقلهم ثم تخلفهم عن جيش أسامة:

«لا يفوت البعث بتثاقلهم عن السير، ولا بتخلف من تخلف منهم عن الجيش». أما الخلافة فإنها تنصرف عنهم لا محالة، إذا انصرفوا إلى الغزوة قبل وفاته «صلى الله عليه وآله..

وكان بأبي هو وأمي ـ أراد أن تخلو منهم العاصمة، فيصفو الأمر من بعده لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» على سكون وطمأنينة.

فإذا رجعوا وقد أبرم أمر الخلافة، وأحكم لعلي «عليه السلام» عقدها، كانوا عن المنازعة والخلاف أبعد..

وإنما أمّر عليهم أسامة وهو ابن سبع عشرة سنة(١) لياً لأعنة البعض، ورداً لجماح أهل الجماح منهم، واحتياطاً من الأمن في المستقبل من نزاع أهل التنافس لو أمّر أحدهم كما لا يخفى.

لكنهم فطنوا إلى ما دبر «صلى الله عليه وآله»، فطعنوا في تأمير أسامة، وتثاقلوا عن السير معه، فلم يبرحوا من الجرف حتى لحق النبي «صلى الله عليه وآله» بربه، فهمّوا حينئذ بإلغاء البعث، وحلّ اللواء تارة، وبعزل أسامة أخرى، ثم تخلف من تخلف منهم عن الجيش، وفي أولهم أبو بكر وعمر(٢).

تثاقل أسامة والجيش إلى أي مدى؟!:

ويفهم من قول الجوهري «فتثاقل أسامة، وتثاقل الجيش بتثاقله»: أن السبب في تثاقل الجيش هو أسامة بالذات..

---

(١) راجع: الإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج١ ص٣٤ والإصابة ج١ ص٤٦ والوافي بالوفيات ج٩ ص٢٦٣ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص١١٣ والمراجعات للسيد شرف الدين ص٣٦٩ ومستدرك سفينة البحار ج٥ ص٣٧ والنص والإجتهاد ص٣٦ وأسد الغابة ج١ ص٦٤ والفصول المهمة في تأليف الأمة ص١٠٤ وعن السيرة الحلبية ج٣ ص٢٣٤ و (ط دار المعرفة) ج٣ ص٢٢٧ وقيل: كان عمره ١٨ سنة، وقيل: ٢٠ سنة.

(٢) النص والإجتهاد ص٣٦ و ٣٧. وراجع: مكاتيب الرسول ج٣ ص٦٨١ وفي هامشه عن: أسد الغابة ج١ ص٦٤ والإصابة ج١ ص٣١ والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج١ ص٥٧ وقاموس الرجال ج١ ص٤٦٨ وتنقيح المقال ج١ ص١٠٨ والكشي ص٣٩ / ٨٠ و ٨١ والطبقات الكبرى ج٤ ق١ ص٤٢.

غير أن من الواضح: أن أكثر الجيش، ربما لم يكن مدركاً لما يجري، وكان يتعامل مع الأمور بعفوية، وسلامة طوية وانقياد وطاعة، غير أن المفروض بأعيان القوم، وزعمائهم أن لا يستسلموا للأمور ببساطة، بل لا بد أن يتساءلوا عن مبررات هذا التثاقل، وسيرفضونه إن وجدوا أنه لا يملك مبررات تقنعهم، وسترتفع عقيرتهم بالإعتراض والإدانة..

ولكننا حين نراجع موقفهم هنا نجد: أنهم لم يرتفع لهم صوت، رغم شدة وتواصل حثّ النبي «صلى الله عليه وآله» لهم على المسير، إلى حد لعن المتخلفين، بل كان هؤلاء الأعيان والزعماء يشاركون في هذا التثاقل، ويمعنون فيه.. مما يعني أنه تثاقل قد تفاهموا عليه مع أسامة، إن لم يكونوا هم الذين جروه إليه، أو فرضوه عليه..

ويؤكد هذا الذي نقوله: أن هذا التثاقل، أو فقل: هذا التمرد على أوامر رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد استمر حوالي نصف شهر..

وحتى حينما لم يجد أسامة بداً من المسير، تحت وطأة إصرار رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإنه سار قليلاً، وبمقدار ساعة فقط، ثم حط رحاله في الجرف على بعد فرسخ واحد من المدينة، ربما ليبقى جيشه في أجواء ما يجري في المدينة، وعلى علم بالشائعات عن حياة النبي «صلى الله عليه وآله»، التي ربما كانت فئات في المدينة تغذيها، بالتعاون مع مجموعات في الجيش نفسه.

وكان أسامة يترك الجيش ويدخل المدينة، ويصر على النبي «صلى الله عليه وآله» بالتريث، ويصر عليه النبي «صلى الله عليه وآله» بالإستعجال، حتى لقد رجع في اليوم الأخير مرتين كانت الأخيرة منهما برفقة عمر وأبي

عبيدة، فوجده يجود بنفسه.

إعتذارات البشري عن تثاقلهم:

ثم ذكر السيد شرف الدين: أن الشيخ سليم البشري قد اعتذر عنهم بما حاصله:

١ ـ بالنسبة لتثاقلهم، نقول:

إن النبي «صلى الله عليه وآله»، وإن كان قد حثهم على الإسراع، ولكنه تمرض بعد ذلك مباشرة، فثقل حتى خيف عليه، فلم تسمح نفوسهم بفراقه وهو في تلك الحال، فتربصوا ينتظرون في «الجرف» ما تنتهي إليه حاله.

وهذا من وفور إشفاقهم عليه، وولوع قلوبهم به. ومقصدهم في تثاقلهم: إما قرة عيونهم بصحته، وإما التشرف بتجهيزه، وتوطيد الأمر لمن يتولى عليهم من بعده. فهم معذورون في تربصهم.

٢ ـ واعتذر عن طعنهم في إمارة أسامة: بأن سببها هو حداثة سنه، وهم شيوخ وكهول، ونفوس الشيوخ والكهول تأبى النزول على حكم الشبان[1].

ونقول:

إننا نضيف إلى ما تقدم ما يلي:

أولاً: إنه «صلى الله عليه وآله» لم يكتف في أمره لهم بالمسير مع أسامة على ما قبل اشتداد مرضه، بل هو قد استمر يأمرهم بذلك مرة بعد أخرى

---

(١) المراجعات للسيد شرف الدين ص٣٧٠ والنص والإجتهاد ص٣٧ ـ ٣٩ وراجع المصادر المتقدمة في الهوامش السابقة.

حتى بعد اشتداد المرض أيضاً، وقد أكد هذا الإلتزام بلعنه لمن يتخلف. فليس لأحد أن يعتذر عن معصية الأمر الوجوبي من أجل أمر مستحب فهو كمن يترك الحج الواجب، والصلاة الواجبة، لأنه أراد أن يزور أحد المؤمنين، أو لانشغاله بالتسبيح والتهليل.

ثانياً: لقد كان النبي «صلى الله عليه وآله» أعرف بالمصالح والمفاسد منهم. فمواصلة حثه لهم على الإسراع بالمسير حتى بعد اشتداد مرضه، مع علمه بأن صحابته قلقون عليه يدل على أن ما يتوخاه من هذا الإسراع أعظم من مصلحة طمأنتهم على مصيره، أو مشاركتهم في مراسم دفنه، أو في توطيد الأمر لمن يتولى الأمر بعده.. فإن هذه الأمور لا تخفى على رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فكان يجب أن يمتثلوا أمره، على قاعدة: **{وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً}**(1). ولا يحق لهم أن يعتبروا رأيهم مقدماً على أوامره، فإن رأيهم ينتهي إلى الحدس والظن، أما هو فلا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى..

ثالثاً: إن حديث الإشفاق، لا يمكن القبول به، لأن المعيار هو ما يحكم به العقل، وتقتضيه الحكمة، لا ما تدعو إليه العاطفة، ويسوق إليه الهوى. ألا ترى أنْ لو كان لإحدى النساء طفل مريض، وقد وصف له الطبيب دواءً مراً، أن عقلها يحتم عليها أن تسقيه الدواء، وإن كانت عاطفتها تصدها عن ذلك، لأنها لا تريد أن تؤذي طفلها بمرارة الدواء..

رابعاً: بالنسبة لنفرة نفوس الشيوخ من الإنقياد إلى الشباب، نقول:

---

(١) الآية ٦٥ من سورة النساء.

إن هذا لو كان عذراً لوجب أن يكون جميع الذين كانوا أكبر سناً من رسول الله «صلى الله عليه وآله» معذروين في اختيارهم الكفر والشرك على الإسلام، لأن نفوسهم تأبى الإنقياد لرسول الله «صلى الله عليه وآله» لأنه كان شاباً بالنسبة إليهم..

ولكان يجب أن لا ينقاد كثير من أهل الممالك لرؤسائهم وملوكهم، حين يكونون أكبر منهم سناً، أو حين يكونـون شيوخـاً، وملوكهم ورؤساؤهم شباناً.

خامساً: حتى لو سلمنا أن الأمر كذلك، فإن ثمة فرقاً ظاهراً بين أوامر الأنبياء وأوصيائهم، وأوامر الرؤساء والملوك، وسائر الناس لبعضهم بعضاً، فإن أوامر الأنبياء والأوصياء تنتهي إلى الله سبحانه، وهي تعبر عن إرادته، وتنتهي بمرضاته، وليست أوامر الرؤساء والملوك والناس مع بعضهم البعض كذلك.

وقد قال تعالى: **{فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً}**[1].

وقال: **{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبِيناً}**[2].

إرتداد العرب متى كان؟! ولماذا؟!:

وقد ذكر النص المتقدم: أن العرب ارتدت قبل أن يتحرك أسامة من

(١) الآية ٦٥ من سورة النساء.

(٢) الآية ٣٦ من سورة الأحزاب.

المدينة، وهو كلام غير دقيق، ولا صحيح، فإنهم يصرحون: أنه بمجرد أن تمت البيعة لأبي بكر سيّر أبو بكر جيش أسامة.

ويبدو لنا أن العرب لم يرتدوا، وإنما هم قد امتنعوا من البيعة لأبي بكر، لأنهم كانوا قد حضروا يوم الغدير، وبايعوا علياً «عليه السلام»، فلا معنى لقبولهم بنكث بيعتهم التي أمرهم بها الرسول «صلى الله عليه وآله»، وأشرف عليها بنفسه، ليبايعوا أبا بكر الذي أخذ هذا المقام بالقهر والغلبة وبالتهديد، بالإستناد إلى ألوف المقاتلين من بني أسلم وغيرهم كما سيأتي.

والذين ارتدوا حقيقة إنما ارتدوا في زمن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، مثل: مسيلمة، وطليحة، وسجاح، والأسود العنسي..

وأما مالك بن نويرة، وأضرابه، فهؤلاء إنما امتنعوا عن بيعة أبي بكر، ولم يؤدوا الزكاة إليه، وقالوا: إنهم لا يؤدونها إلا إلى أهل بيت نبيهم، أو يقسمونها على فقرائهم، فاستحل أبو بكر دماءهم وقتلهم..

ولهذا البحث مجال آخر..

إشكال مشترك الورود:

وقد يقال: إن إشكال التخلف عن جيش أسامة مشترك الورود، وبيان ذلك كما يلي:

أولاً: إن أبا بكر وعمر، وغيرهما، وإن كانوا قد تخلفوا عن جيش أسامة(١)، وقد شملهم قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»:

---

(١) الإستغاثة (ط دار الجيل) ج١ ص٢١ ومنهاج الكرامة للعلامة الحلي ص١٠٠ ونهج الحق للعلامة الحلي ص٢٦٣ عن: الملل والنحل للشهرستاني ج١ =

«لعن الله من تخلف عن جيش أسامة». ولكن علياً «عليه السلام» قد تخلف أيضاً؛ فلماذا لا يشمله؟!.

ثانياً: لم يرد لعن المتخلف عن جيش أسامة في حديث أصلاً(١).

ثالثاً: إن أبا بكر قد تخلف لما أمره النبي «صلى الله عليه وآله» بالصلاة بالناس، فليس في تخلفه غضاضة..

ونجيب بما يلي:

إنه لا ريب في أن علياً «عليه السلام» لم يتخلف عن جيش أسامة، فلا يشمله لعن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لمن تخلف، وما ذكروه لا اعتبار به، وذلك للأمور التالية:

أولاً: قولهم لم يرد لعن المتخلف عن جيش أسامة في حديث أصلاً، غير صحيح، فقد أرسل ذلك الشهرستاني في الملل والنحل إرسال المسلمات(٢)، وذكر ذلك غيره أيضاً(٣).

= ص٢٣، والسيرة الحلبية ج٣ ص٢٠٧، وشرح النهج للمعتزلي ج١ ص٥٣ والكامل في التاريخ ج٢ ص٢١٥ إضافة على مصادر أخرى تقدمت.

(١) السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٢٢٨.

(٢) راجع: الملل والنحل (ط دار المعرفة) ج١ ص٢٣ و (بهامش الفصل لابن حزم) ج١ ص٢٠.

(٣) شرح النهج للمعتزلي ج٦ ص٥٢ عن كتاب السقيفة لأحمد بن عبد العزيز الجوهري وراجع: المسترشد للطبري ص١١٢ والبحار ج٣٠ ص٤٣١ و ٤٣٢ ونفحات اللاهوت ص١١٣ وتشييد المطاعن ج١ ص٤٧ ومعالم المدرستين ج٢ ص٧٧ ووصول الأخيار إلى أصول الأخبار لوالد البهائي العاملي ص٦٨ =

ثانياً: إنه حتى لو لم يرد لعن صريح لمن تخلف، فإن نفس مخالفة أمر النبي «صلى الله عليه وآله» أمر قبيح، يستحق فاعله العقوبة، فكيف إذا كان «صلى الله عليه وآله» قد أصر على الناس في تنفيذ هذا البعث، وأصروا هم على عصيان أمره، وهو يرى ذلك منهم، ويحاول معالجته مرة بعد أخرى، فلا يستجيبون له، فإن ذلك سيكون من موجبات تأذِّيه منهم، وغضبه عليهم، وهذا من موجبات طردهم من ساحة رحمة الله تبارك وتعالى..

ثالثاً: إن الحديث عن تخلف أبي بكر بأمر من رسول الله «صلى الله عليه وآله» نفسه، حين أمره بالصلاة بالناس، لا يصح، فقد ذكرنا: أنه «صلى الله عليه وآله» قد بادر إلى عزله عن نفس تلك الصلاة..

كما أن علياً «عليه السلام» كان يقول: إن عائشة هي التي أمرت أباها بأن يصلي بالناس وليس النبي «عليه السلام»[1].

= وكتاب الأربعين للشيرازي ص١٤١ و ٥٢٧ وقاموس الرجال ج١٢ ص٢١ والسقيفة وفدك للجوهري ص٧٧ ونهج السعادة للمحمودي ج٥ ص٢٥٩ ومستدرك سفينة البحار ج٥ ص٢٠٩ والنص والإجتهاد ص٤٢ والمراجعات للسيد شرف الدين ص٣٧٤ وإحقاق الحق (الأصل) ص٢١٨.

(١) شرح نهج للمعتزلي ج٩ ص١٩٧ والبحار ج٢٨ ص١٥٩ والهداية الكبرى للخصيبي ص٤١١ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٦٢٠ والإستغاثة للكوفي ج٢ ص١٩ ومناقب أهل البيت «عليه السلام» للشيرواني ص٣٩٩ وتثبيت الإمامة للهادي يحيى بن الحسين ص٢٣ ونهج السعادة ج٥ ص٢٦٨ وراجع: الإرشاد ج١ ص١٨٢ والإفصاح للمفيد ص٢٠٦ والمسترشد للطبري (الشيعي) ص١٣٢ والإيضاح لابن شاذان ص٣٤٦ وشرح الأخبار ج٢ =

وقد ناقشنا هذه القضية في موضع آخر من هذا الجزء فلا نعيد..

ويدل على ذلك: أن أسامة حين وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد ترك المدينة وسكن وادي القرى[1]، فكتب أبو بكر إليه يستقدمه إلى المدينة، فأجابه أسامة بكتاب جاء فيه:

«انظر مركزك، ولا تخالف فتعصي الله ورسوله، وتعصي من استخلفه رسول الله «صلى الله عليه وآله» عليك وعلى صاحبك، ولم يعزلني حتى قبض رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإنك وصاحبك رجعتما، وعصيتما، وأقمتما في المدينة بغير إذن»[2].

وفي نص آخر: «فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» استخلفني عليكم، ولم يعزلني.

وقد علمت كراهة رسول الله «صلى الله عليه وآله» لرجوعكم عني إلى المدينة.

= ص٢٤١ والفصول المختارة للشريف المرتضى ص١٢٤ والجمل لضامن بن شدقم المدني ص٤٠ وكتاب الأربعين ص٢٧٨ والصراط المستقيم ج٣ ص١٣٥ و ١٣٣ عن الغزالي في الإحياء، وراجع: كتاب الأربعين للشيرازي ص٢٧٩ وخصائص الأئمة للشريف الرضي ص٧٣ وفيه: أنها أمرت عمر.

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٤ ص٧٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٨ ص٤٨ وج١٠ ص١٤٠ وج١٣ ص٢٦ وج٧٠ ص٨ و الإصابة (ط دار الكتب العلمية) ج١ ص٢٠٢ وراجع: الأعلام للزركلي ج١ ص٢٩١ والمنتخب من ذيل المذيل للطبري ص٣٣ و ٥٠.

(٢) الإحتجاج للطبرسي ج١ ص١١٤ والبحار ج٢٩ ص٩٢.

وقال «صلى الله عليه وآله»: «لا يتخلفن أحد عن جيش أسامة إلا كان عاصياً لله ولرسول الله»[١].

رابعاً: لا ريب عند أحد من المسلمين في أنه «صلى الله عليه وآله» لم يجعل علياً «عليه السلام» في ذلك الجيش، فضلاً عن أن يتوهم أنه قد تخلف عنه، ويكفي أن نشير هنا إلى ما يلي:

ألف: قال ابن حمزة: «وهل نقل عن أحد من أهل العلم أن علياً «عليه السلام» كان في جيش إلا وهو أميره»[٢].

وروى الواقدي، قال: سئل الحسن (البصري) عن علي «عليه السلام» ـ وكان يظن به الإنحراف عنه، ولم يكن كما يظن ـ فقال: ما أقول فيمن جمع الخصال الأربع: ائتمانه على براءة، وما قال له الرسول في غزاة تبوك، فلو كان غير النبوة شيء يفوته لاستثناه، وقول النبي «صلى الله عليه وآله»: «الثقلان كتاب الله وعترتي»، وإنه لم يؤمَّر عليه أمير قط، وقد أُمِّرت الأمراء على غيره[٣].

والعبارة الشائعة عن هذا الأمر هي قولهم: لم يؤمِّر عليه أحداً قط، ولم يكن في سرية قط إلا كان أميرها[٤].

---

(١) كتاب الأربعين للماحوزي ص٢٥٦ وتثبيت الإمامة للهادي يحيى بن الحسين ص٢٠.

(٢) الشافي لابن حمزة ج٤ ص١٦٤.

(٣) شرح النهج للمعتزلي ج٤ ص٩٥ ـ ٩٦ عن الواقدي، والملل والنحل للشهرستاني ج١ ص١٤٤ و أبو هريرة للسيد شرف الدين ص١٢٣ و ١٣٥.

(٤) راجع: الثقات ج ١ ص ٢٤٢ والطبقات الكبرى ج ٢ ص ٥٨ والوفاء ص ٦٨٩ =

وهذا يدل على أنه «عليه السلام» لم يكن في جيش أسامة، لأنه لو كان فيه لكانت الإمارة له لا لسواه.

ب: إن جعل النبي «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» وصياً بأمر من الله تعالى، والبيعة له في يوم الغدير يمنع من جعله إياه في جيش أسامة، لا سيما وهو «صلى الله عليه وآله» يتوقع أن ينزل به القضاء لحظة بعد أخرى، فقد أخبرهم «صلى الله عليه وآله» بدنو أجله، وأنه يوشك أن يدعى فيجيب.

فلم يكن «صلى الله عليه وآله» ليجعله مولى للناس، وأولى بهم من أنفسهم، ثم يجعل أسامة أميراً عليه، والمتصرف فيه، والآمر والناهي له.

ج: ورد في رسالة كتبها أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى شيعته قوله: «وقد كان نبي الله أمّر أسامة بن زيد على جيش، وجعلهما (يعني أبا

= وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٦١ وكتاب سليم بن قيس (بتحقيق الأنصاري) ص٤١٨ ودلائل الامامة للطبري (الشيعي) ص٢٦١ وشرح الأخبار ج١ ص٣٢٠ ونوادر المعجزات للطبري (الشيعي) ص١٤٤ والمناقب لابن شهرآشوب ج٣ ص٣٥١ والطرائف ص٢٧٧ والبحار ج ٢٠ ص ١٦٥ عن الكازروني وغيره وج٣٧ ص٣٣٥ وج٤٧ ص١٢٧ وج٤٩ ص٢٠٩ وخلاصة عبقات الأنوار ج٧ ص١٢١ والنص والإجتهاد للسيد شرف الدين ص٢٣٧ و ٣٣٨ والغدير ج١ ص٢١٢ وأبو هريرة للسيد شرف الدين ص١٢٣ و ١٣٥ وقاموس الرجال ج١٢ ص١٥١ ونهج الإيمان لابن جبر ص٤٦٧ وراجع: الكامل في التاريخ ج٢ ص٧٤ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٥٥٥ وزاد المعاد ج١ ص٧١ وحبيب السير ج١ ص٣٥٥ والسيرة الحلبية ج٢ ص٢٦٤ ـ ٢٦٥ والسيرة النبوية لدحلان ج١ ص٢٦١.

بكر وعمر) في جيشه.

وما زال النبي «صلى الله عليه وآله» إلى أن فاضت نفسه يقول: «انفذوا جيش أسامة».

فمضى جيشه إلى الشام، حتى انتهوا إلى أذرعات الخ..»[1].

فلو كانت حاله «عليه السلام» في التخلف عن جيش أسامة حال غيره لم تصح منه الإشارة إلى تخلفهما، وعصيانهما أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله».

هذا.. ولم يزل الشيعة يستدلون على غيرهم بتخلف أبي بكر وعمر عن جيش أسامة، وقد اقتصرت إجابات أتباع أبي بكر وعمر على إنكار تخلف أبي بكر، ولو بالاستناد إلى ما زعموه من أن النبي «صلى الله عليه وآله» أمره بالصلاة.. ولم نجد أحداً منهم نقض على الشيعة بتخلف علي «عليه السلام»..

وذلك يدل على أن من المتسالم عليه أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن قد جعل علياً «عليه السلام» في ذلك الجيش.

وحسبنا ما ذكرناه آنفاً عن علي «عليه السلام»، وعن الحسن البصري، وغير ذلك، مما يدل على هذا الأمر دلالة قاطعة، فليلاحظ ذلك..

---

(١) الخطبة في البحار ج٣٠ ص٧ ـ ١٢ وكشف المحجة ص١٧٦، ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) للميرجهاني ج٤ ص٧٤، ونهج السعادة ج٥ ص٢٠٥، والإمامة وأهل البيت لمحمد بيومي مهران ج١ ص٧٩.

مغزى تأمير أسامة:

وغني عن البيان: أن تأمير أسامة وهو شاب في مقتبل العمر لم يخض حرباً، ولم يتسلم قبل ذلك قيادة على جيش يضم كبار الصحابة، والزعماء، والقادة، والطامحين لأعظم مقام وأسماه، وهو مقام خلافة النبوة.. سيكون صعباً وثقيلاً على قلوب هؤلاء الناس، ولا سيما قادة طالما تباهوا بأنفسهم، وافتخروا على غيرهم من أمثال خالد، وابن العاص، وغيرهما.. وقد كان هذا الجيش يريد غزو بلاد بعيدة، ترتبط بأعظم أمبراطورية في ذلك الزمان، وهي أمبراطورية الروم.

فإن ذلك يدل على: أنه «صلى الله عليه وآله» يرمي إلى تحقيق أهداف عظيمة، لا بد أن يعيها المسلمون، وأن يتأمل بها المتأملون، وأن يوصلها إلى بر الأمان، ويحقق لها النصر، المؤمنون المخلصون.

ويمكن أن نشير إلى جملة من هذه الأهداف فيما يلي:

أولاً: قال الشيخ محمد رضا المظفر «رحمه الله»:

إنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يهيئ المسلمين لقبول قاعدة «الكفاية» في ولاية أمورهم، من ناحية عملية، فليست الشهرة ولا تقدم العمر هما الأساس لاستحقاق الإمارة والولاية، فلذا قال عن أسامة، مؤكداً جدارته بالقسم ولام التأكيد: «وأيم الله، إن كان لخليقاً للأمارة ـ يعني زيداً ـ وإن ابنه لخليق للأمارة»(١).

ويأتي هذا بمثابة الرد لمقولة عمر، التي أشرنا إليها حين الكلام حول

---

(١) السقيفة للشيخ المظفر «رحمه الله» (ط مكتبة الزهراء، قم، إيران) ص٧٧.

حديث الغدير: أن السبب في إبعاد علي «عليه السلام» عن الخلافة هو: أن قومه استصغروه..

ثانياً: إن تأمير أسامة كما يقوله العلامة المظفر «يقيم الحجة لهم وللناس بأن من يكون مأموراً طائعاً لشاب يافع، ولا يصلح لأمارة غزوة مؤقتة، كيف يصلح لذلك الأمر العظيم، وهو ولاية أمور جميع المسلمين العامة، وهي في مقام النبوة؟! وصاحبها **{أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ}**[(١)]»[(٢)].

وقال «**رحمه الله**»: «فهذا البعث الذي كان تدبيراً لإخلاء المدينة لعلي «عليه السلام» وحزبه، كان حجة على المستصغرين لسنه، ودليلاً على عدم صلاح غيره لهذا المنصب العظيم..

فإذا كان الإخلاء، لم يتم لتمانع القوم وعرقلتهم للبعث، فإن الحجة ثابتة مع الدهر..

ولا يصح للباحث أن يدّعي: أن السبب الحقيقي لتخلف القوم هو ما تظاهروا به من عدم الرضى بإمارة قائدهم الصغير، وإن تذرعوا به عذراً لاحقاً، تلك الشنشنة التي عرفها النبي «صلى الله عليه وآله» من أخزم.

لأنّا نرى: أن لو كان هذا السبب الحقيقي لما تنفذ البعث، بعد أن تم أمر الخلافة الذي به زال المانع الحقيقي. والمسلمون إلى النبي «صلى الله عليه وآله» أطوع منهم إلى أبي بكر، لو كان يمنعهم صغر القائد. ولم يتأبّ عمر

---

(١) الآية ٦ من سورة الأحزاب.

(٢) السقيفة للشيخ المظفر «رحمه الله» (ط مكتبة الزهراء، قم، إيران) ص٧٨.

نفسه بعد ذلك أن يخاطب أسامة بالأمير طيلة حياته، اعترافاً بأمارته»[١] بل عرفاناً منه بالجميل له.

وقال «**رحمه الله**»: «أما الشفقة على النبي «صلى الله عليه وآله» إن لم تكن عذراً آخر تذرعوا به ـ فلا يصح أن تكون سبباً حقيقياً، إذ ينبغي أن يكونوا عليه أشفق بالتحاقهم بالبعث، وقد غضب أشد الغضب من تأخرهم، على ما فيه من حال ومرض.

ولئن ذهبوا يسألون عنه الركبان، كان أكثر براً بنبيهم «صلى الله عليه وآله» من أن يعصوا أمره، ويغضبوه ذلك الغضب المؤلم له»[٢].

ثالثاً: إنه لا ريب في أنه لو تم غزو تلك البلاد في هذا الظرف بالذات، وانتظام أمر الخلافة وفق ما رسمه النبي «صلى الله عليه وآله»، فإنه سيكون تأكيداً لهيبة الإسلام، وتحصيناً للدولة الإسلامية من مطامع أهل الزيغ والنفاق في الداخل، والأعداء المتربصين بها شراً في الخارج..

وسيعطي الإنطباع بأن مفاهيم وقيماً جديدة قد وجدت لها مكاناً في ذهنية المجتمع الإسلامي، وفرضت نفسها في مجال العمل والممارسة، وأن نفوس الناس قد روضت لتقبل ما كان يكاد يدخل في عداد المستحيلات في السابق، وهو أن ينقاد شيوخ وزعماء القبائل لشاب هو بمثابة ولد وحفيد، وليس هو من القبائل التي تمسك بأسباب القوة والنفوذ، والتي يُعْتَرَفُ لها بالزعامة والرياسة على نطاق واسع في ذلك المحيط الذي كانت مفاهيم

---

(١) نفس المصدر ص٧٨ و ٨٠.

(٢) المصدر السابق.

الزعامة بهذا المعنى هي المهيمنة عليه بجميع فئاته وطبقاته..

وهذا سوف يجعل الكثيرين يفكرون ملياً بما أحدثه هذا الدين من انقلاب عميق، في كل الواقع الإنساني القائم آنذاك..

بعث أسامة مدهش:

ولا شك في أن بعث أسامة يبقى أهم إجراء مثير للدهشة لدى أي باحث منصف، ولا سيما بملاحظة ما يلي:

١ ـ أن هذا النبي الذي جاء بدين ولقي كل هذه التحديات، وتعرض لمختلف أنواع التآمر والكيد، يواجه حالة نفاق مستشرية في داخل مجتمعه الناشئ. وهي حالة تحدث عنها القرآن بإسهاب، وبأسلوب حازم وقوي، ينبئ عن عظيم خطرها، وبالغ أثرها.. حتى لقد قال سبحانه لنبيه: **{وَمِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ}**(١). وأكد له على أنهم يتربصون الدوائر بالإسلام وبالمسلمين.

٢ ـ إن هذا النبي «صلى الله عليه وآله» يعلم أن هذا أوان فراقه لهذه الدنيا. وقد أخبر الناس بذلك في حجة الوداع..

٣ ـ إنه يعلم أيضاً: أن الفتن قد أقبلت على قومه كقطع الليل المظلم..

٤ ـ إنه يعلم أن هناك من لا يهتم بالإسلام، بل هو يريد أن يتخذ منه وسيلة لأغراضه، وذريعة لتحقيق مآربه في الحكم والحاكمية، والحصول على المناصب، والأموال، والنفوذ، والجاه العريض.

---

(١) الآية ١٠١ من سورة التوبة.

٥ ـ إنه يعلم كذلك: أن الرؤساء والزعماء هم الذين يهيمنون على الواقع العام، لو حدث بالنبي «صلى الله عليه وآله» حدث، وهم من يفترض فيهم أن يتدبروا الأمور بحكمة وروية، وأناة، فالإحتفاظ بهم في مواقع الخطر، وحين يحدث الفراغ الكبير، باستشهاد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، يصبح ضرورة لا بد منها، ولا غنى عنها.

٦ ـ إنه يعلم: أن وجود قوة الردع من شأنه أن يحمي الواقع الداخلي من أطماع الأعداء، ويجعلهم غير ميالين إلى المغامرة، ولا راغبين بالمخاطرة، التي تكلفهم أثماناً ليسوا على استعداد لبذلها.

٧ ـ إننا مع ذلك كله نرى: أن النبي «صلى الله عليه وآله» يرسل جيشاً للإغارة على موقع تحميه أعظم وأقوى أمبرطورية في الدنيا. وقد استثنى علياً «عليه السلام» من هذا الجيش، ليكون معه، كما أننا لم نسمع أنه ذكر اسم أي من مناصري علي «عليه السلام» في جملة جيش أسامة..

علماً بأن هؤلاء لم يكونوا نكرات، ولا مجاهيل في محيطهم ومجتمعهم، بل كانوا من البارزين والمرموقين، فهم لم يذكروا سلمان الفارسي، ولا المقداد، ولا أبا ذر، ولا أحداً من بني هاشم، ولا أبا الهيثم بن التيهان، ولا..ولا.. في جملة من فرض عليهم النبي «صلى الله عليه وآله» الخروج في ذلك الجيش، فهل اكتفى «صلى الله عليه وآله» بأوامره العامة الشاملة لهم ولغيرهم؟!

أم أنه استثناهم كما استثنى علياً «عليه السلام»؟!

إن ذلك لم نتمكن من استيضاحه من النصوص المتوفرة لدينا..

٨ ـ ونحن نعلم أن النبي «صلى الله عليه وآله» أعقل الخلق، وأحكمهم

حكمة، وأفضلهم رأياً، وأحسنهم تدبيراً، وهو مسدد بالوحي، مرعي بالألطاف الإلهية. وهذا يجعلنا ندرك أن هناك أهدافاً كبيرة وخطيرة كان يريد «صلى الله عليه وآله» تحقيقها..

وأنها كانت أهدافاً تستحق اقتحام الأخطار، ومواجهة الصعوبات..

ولا نتعقل هذه الأهمية لأي شيء، إلا إذا كان أمراً يتوقف عليه حفظ هذا الدين، وبقاؤه، وصيانته في حقائقه وشرائعه..

٩ ـ إننا نتوقع أن يكون الباحث الأريب، والمراقب اللبيب قد حدد من خلال كل هذا الذي أشرنا إليه آفاق المرامي والأهداف، وأصبحت معالم الصورة لديه أكثر وضوحاً، وأوفر استجماعاً لملامح الواقع، حيث سيصبح على قناعة تامة: بأن علياً «عليه السلام» ومناصريه، ومحبيه، والميّالين إليه كانوا في توجهاتهم وممارساتهم، ومواقفهم، وطبيعة تفكيرهم وغير ذلك في جانب.. وأن الذين يسعون لاستلاب ما جعله الله تعالى لعلي «عليه السلام» في يوم الغدير وفي غيره من المواقف، ومحبيهم ومناصريهم، والميالين إليهم في الجانب الآخر المقابل..

وأن سياسة رسول الله «صلى الله عليه وآله» كانت تقضي بإظهار هذا التمايز، فقد آن الآوان لوضع النقاط على الحروف، ليتحمل كل إنسان مسؤولية أعماله، فلا مجال بعد لغض النظر، ولا يجوز إفساح المجال لهم للتستر تحت أي شعار، ولا التخفي وراء أي دثار..

١٠ ـ وقد اضطرتهم سياسة النبي «صلى الله عليه وآله» هذه لفضح أنفسهم، وإسقاط أقنعتهم بأيديهم، ومن خلال ما ظهر من أفعالهم وتصرفاتهم..

فكان من مظاهر هذا التعري، تباطؤهم عن الخروج في ذلك البعث،

وكان إصرار النبي «صلى الله عليه وآله» على شخوص أسامة بجيشه، وتتابع أمره له بالمسير، واضطرارهم إلى رفض ذلك، والتثاقل فيه، والنزول بالجيش في الجرف، والتعلل بالمعاذير الباطلة، مثل صغر سن قائدهم. ومثل إظهار الحرص على الإطمئنان على صحة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وغير ذلك كان يزيد في وضوح أمرهم، وكشف ما كانوا يبيتونه من نوايا وأهداف..

١١ ـ ولا شك في أن فضيحة هؤلاء الناس، قد فتحت نافذة كبيرة أمام الأجيال الآتية لتعرف الحقيقة، ولا تأخذ بالمظاهر الخادعة، والشعارات اللامعة.. وشكل ذلك امتداداً لما جرى في حجة الوداع، وتأكيداً على أنهم لا يزالون يسيرون في نفس الإتجاه، وأن لديهم نفس النوايا.

١٢ ـ لقد أوضح ما جرى في حجة الوداع، في منى وعرفات، وما جرى في تجهيز جيش أسامة، حيث لم ينفع مع هؤلاء القوم كل هذا التدبير الحازم والقوي والصارم، وكل هذا الإصرار النبوي، الذي بلغ حد المبادرة إلى لعن من يتخلف ـ قد أوضح ـ: أن هؤلاء يصرون على نيل مراداتهم، وأن سكوتهم في يوم الغدير ما كان إلا انحناء أمام العاصفة..

وأن أقوال الرسول «صلى الله عليه وآله»، وحتى أفعاله التي بلغت حد أخذ البيعة منهم ومن غيرهم لعلي «عليه السلام» بالخلافة من بعده، ثم تجهيزه جيشاً يرغمهم على الكون فيه، هم وأشياعهم، مع استثنائه علياً «عليه السلام» وربما بعض محبيه ومناصريه منه.. قد أوضح: أن ذلك كله لم يفد في إقناعهم بالتراجع عما عقدوا العزم عليه، بل هو قد دفعهم للتمرد والعصيان، وانتهى الأمر بهم إلى اتهام النبي «صلى الله عليه وآله» في عقله،

ثم مواجهة علي والزهراء «عليهما السلام» بالعدوان، بما يصل إلى حد ارتكاب جريمة القتل، بإحراق بيت الزهراء «عليها السلام» بالنيران..

١٣ ـ إن ذلك كله يشير إلى أن مبادرة النبي «صلى الله عليه وآله» إلى فضح نواياهم، ونزع كل قناع عن وجوههم كان ضرورياً إلى أقصى حد، لأن ذلك أمانة في عنقه، لا بد أن يؤديها للأمة على أتم وجه، مع يقيننا بأنه «صلى الله عليه وآله» كان عارفاً بأصحابه، مقتنعاً بأنهم لن يطيعوا أمره، ولن يخرجوا في جيش أسامة ولن.. ولن..

وقد أخبر علياً «عليه السلام» بحقيقة ما يضمره هؤلاء لعلي «عليه السلام» بعد وفاته كما ألمحت إليه النصوص التي ذكرنا شطراً وافراً منها حين الكلام عما جرى في حجة الوداع، ثم ما جرى يوم الغدير..

وأخبر أيضاً عن أن أصحابه لا يزالون مرتدين على أعقابهم القهقرى منذ فارقهم[1].

---

(١) صحيح البخاري ج٨ ص١٥٠ و ١٥١ (ط دار المعرفة) ج٥ ص١٩٢ و ٢٤٠ وج٧ ص١٩٥ و ٢٠٦ و ٢٠٧ و ٢٠٨ وج٨ ص٨٧ و صحيح مسلم (ط دار المعرفة) ج١ ص١٥٠ وج٧ ص٦٧ و ٦٨ و ٧١ وج٨ ص١٥٧ وسنن ابن ماجة ج٢ ص١٠١٦ وسنن الترمذي ج٤ ص٣٨ وج٥ ص٤ وسنن النسائي ج٤ ص١١٧ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٥٠١ ومجمع الزوائد ج٣ ص٨٥ وج٩ ص٣٦٧ وج١٠ ص٣٦٥ والمصنف لعبد الرزاق ج١١ ص٤٠٦ وعن الجمع بين الصحيحين الحديث (٢٦٧) والسنن الكبرى للنسائي ج٦ ص٤٠٩ ومسند أحمد ج١ ص٢٣٥ وج٣ ص٢٨١ وج٥ ص٤٨ و ٥٠ و ٣٣٩ و ٣٣٨ و ٣٩٣ و ٤٠٠ و ٤١٢ وراجع: الإيضاح لابن شاذان ص٢٣٣ والأمالي للمفيد ص٣٨ =

= والبحار ج٢٨ ص٢٢ و ٢٧ وتفسير مجمع البيان ج٢ ص٣٦٠ وتفسير العياشي ج٢ ص٢٩٨ والنص والإجتهاد للسيد شرف الدين ص٥٢٥ والأحاديث المصرحة بذلك صحيحة ومتواترة. ومصادر كثيرة أخرى، فراجع شطراً منها من كتابنا: «دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام» البحث الذي بعنوان «عدالة الصحابة في الكتاب والسنة» ج٢ ص٢٥٣ و ٢٧٣.

الفصل الثالث:

الكتاب الذي لم يكتب

عمر يمنع النبي ' من كتابة الكتاب:

كان ابن عباس يذكر رزية يوم الخميس، ويبكي حتى يخضب دمعه الحصباء، ويقول: «يوم الخميس، وما يوم الخميس!! الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله «صلى الله عليه وآله» وبين كتابه».

أو «إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب، من اختلافهم ولغطهم».

أو «الرزية كل الرزية ما حال بيننا وبين كتاب نبينا»[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٢٤٧ وراجع: نفحات اللاهوت ص١١٧ ومكاتيب الرسول ج١ ص٦٠٨ وج٣ ص٦٩٣ و ٦٩٥ و ٦٩٩ ومسند أحمد ج١ ص٣٢٥ و ٣٣٦ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٥ ص١٣٨ وج٧ ص٩ وج٨ ص١٦١ و (ط دار ابن كثير) ج١ ص٥٤ وج٤ ص١٦١٢ وج٥ ص٢١٤٦ وج٦ ص٢٦٨٠ وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج٥ ص٧٦ و (ط دار إحياء التراث) ج٣ ص٢٢٥٩ وشرح مسلم للنووي ج١١ ص٨٩ وعمدة القاري ج٢ ص١٧٠ وج١٨ ص٦٢ و ٦٣ وج٢١ ص٢٢٥ وج٢٥ ص٧٦ وفتح الباري ج٨ ص١٣٢ والملل والنحل للشهرستاني (ط دار المعرفة) ج١ ص٢٢ والمصنف للصنعاني ج٥ ص٤٣٩ والسنن الكبرى للنسائي ج٣ ص٤٣٣ وج٤ ص٣٦٠ وصحيح ابن حبان ج١٤ ص٥٦٢ والجمع بين =

= الصحيحين ج٢ ص٩ ومسند أبي عوانة ج٣ ص٤٧٦ والدرر لابن عبد البر ص٢٧٠ وشرح النهج للمعتزلي ج٢ ص٥٥ وج٦ ص٥١ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٢٤٤ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٤٨ و ٢٧١ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٣ ص١٧١ والمنتقى من منهاج الإعتدال للذهبي ج١ ص٣٤٧ و ٣٤٩ ومنهاج السنة النبوية لابن تيمية ج٦ ص١٩ و ٢٥ و ٣١٦ و ٥٧٢ ودلائل النبوة للبيهقي ج٧ ص١٨٤ وسلوة الكئيب بوفاة الحبيب لابن ناصر الدين الدمشقي ج١ ص١٠٧ والبدء والتاريخ للمطهر بن طاهر المقدسي ج٥ ص٥٩ وسمط النجوم العوالي لعبد الملك بن حسين بن عبد الملك الشافعي العاصمي المكي ج٣ ص٣٥٦ والأنس الجليل لمجير الدين الحنبلي العليمي ج١ ص٢١٦ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٤٤٦ و ٤٤٧ و ٤٤٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤٥١ و ٤٩٨ ومجمع النورين ص٢٠٣ وموسوعة الإمام علي «عليها السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٢ ص٣٨٧ و ٣٨٨ و ٤٠٧ ومنهاج الكرامة ص١٠٣ ونهج الحق ص٣٣٣ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٩٤ و ٤٢٤ و ٤٢٦ والدرجات الرفيعة ص١٠٣ ومعجم رجال الحديث للسيد الخوئي ج١٤ ص٣٧ ومعجم الرجال والحديث لمحمد حياة الأنصاري ج١ ص١٢٧ وج٢ ص٣ و ٩٧ و ١١١ و ٢٢٩ والمسترشد للطبري (الشيعي) ص٦٨١ وتشييد المطاعن ج١ ص٣٥٥ ـ ٤٣١ ومناقب آل أبي طالب ج١ ٢ص٢٠٣ وأمالي المفيد ص٣٧ والطرائف ص٤٣٣ واليقين ص٥٢١ وسعد السعود ص٢٩٧ وكشف المحجة لثمرة المهجة ص٦٥ والصراط المستقيم ج٣ ص٦ و ١٠٠ ووصول الأخيار إلى كتاب الأخبار ص٧٣ والصوارم المهرقة ص١٩٢ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٥٣٤ والبحار ج٢٢ ص٤٧٣ و ٤٧٤ وج٣٠ ص٥٣١ و ٥٣٢ و ٥٣٤ و ٥٣٦ و ٥٥٢ ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص٣٨٤ و ٣٨٨ والمراجعات ص٣٥٣ والنص والإجتهاد ص١٤٩ والغدير ج٣ =

وذلك أنه لما اشتد برسول الله «صلى الله عليه وآله» وجعه قال: «إيتوني بكتاب (أو بكتف ودواة) أكتب لكم كتاباً لا (أو لن) تضلوا بعده» أو «لا يَظلمون ولا يُظلمون»، وكان في البيت لغط، فنكل عمر، فرفضها رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فقال عمر: إن النبي غلبه الوجع. (أو مدّ عليه الوجع)، (أو إن النبي يهجر[1]) وعندنا كتاب الله، (أو وعندكم القرآن، حسبنا) كتاب الله.

فاختلف أهل البيت واختصموا، واختلفوا، أو كثر اللغط، بين من يقول: قربوا يكتب لكم، وبين من يقول: القول ما قال عمر..

فقال «صلى الله عليه وآله»: قوموا عني، ولا ينبغي عندي. (أو عند نبي تنازع)[2].

= ص٢١٥ ومستدرك سفينة البحار ج٧ ص٤٢٥ وإحقاق الحق (الأصل) ص٢٨٠ وغاية المرام ج٦ ص٩٥ والفصول المهمة في تأليف الأمة ص١٠٥.

(١) صرح بأن عمر قال: «إن النبي يهجر» في شرح الشفاء للخفاجي ج٤ ص٢٧٨ والبحار ج٢٢ ص٤٦٨ ولا بأس بمراجع جميع الهوامش في مكاتيب الرسول ج٣ ص٦٩٣ ـ ٧٠٢.

(٢) راجع فيما تقدم: سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٢٤٨ عن أبي يعلى بسند صحيح عن جابر وعن ابن عباس كذلك، وراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد (ط ليدن) ج٢ ق٢ ص٣٧ ومسند أحمد ص٣٢٤ و ٣٢٦ وراجع: مكاتيب الرسول ج٣ ص٦٩٣ و ٦٩٤ و ٦٩٦ في هامشه عن: البخاري ج١ ص٣٩ وج٦ ص١١ وج٧ ص١٥٦ وج٩ ص١٣٧ وفتح الباري ج١ ص١٨٥ وج٨ ص١٠٠ و ١٠١ وج١٣ ص٢٨٩ وعمدة القاري ج٢ ص١٧٠ وج٢٥ ص٧٦ والطبقات=

= الكبرى ج٢ ق٢ ص٣٧ وابن سبأ ص٧٩ ومسلم ج٣ ص١٢٥٩ والمناقب لابن شهرآشوب (ط قم) ج١ ص٢٣٥ عن ابن بطة، والطبري، ومسلم، والبخاري، قال: واللفظ للبخاري ولم يسم الراوي عن ابن عباس. والبحار ج٢٢ ص٤٦٨ عن إعلام الورى، والإرشاد للمفيد، وص٤٧٢ عن المناقب لابن شهرآشوب، وج٣٦ ص٢٧٧ عن الغيبة للنعماني ص٣٨ و ٣٩ عن عبد الرزاق، عن معمر، عن أبان بن أبي عياش، عن سليم، عن علي «عليه السلام» والبحار (ط حجري) ج٨ ص٢٦١ وما بعدها و (ط جديد) ج٣٠ ص٥٣١ و ٥٣٣ و ٥٣٥ وعبد الرزاق ج٥ ص٤٣٨ وتأريخ ابن خلدون ج٢ ص٨٤٩ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٨٢ والإرشاد للمفيد ص٨٧ ومسند أحمد ج١ ص٣٢٤ و ٣٣٦ والشفاء للقاضي عياض ج٢ ص٤٣١ والدرر لابن عبد البر ص١٢٥ و ٢٠٤ وكشف المحجة ص٦٤ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٢٧ و ٢٥١ والفائق للزمخشري ج٤ ص٩٣ والتراتيب الإدارية ج٢ ص٢٤١ و ٢٤٣ والأدب المفرد ص٤٧ وشرح الخفاجي للشفاء ج٤ ص٢٧٧ وشرح القاري بهامشه ص٢٧٧ والطرائف ص٤٣٢ عن الجمع بين الصحيحين وغيره، وغاية المرام ص٥٩٦ وشرح النهج لابن أبي الحديد ج٢ ص٥٤ عن الشيخين، وكذا ص٥٥ وج٦ ص٥١ عن الجوهري.

«لن تضلوا» كما في البخاري ج٩ ص١٣٧ والطبقات ج٢ ق٢ ص٣٧ ومسند أحمد ج١ ص٣٢٤ و ٣٣٦ والطرائف.

في البخاري ج٧ ص١٥٦ فقال عمر: «إن النبي «صلى الله عليه وآله»..» وكذا ج٩ ص١٣٧.

والطبقات، ومسلم، وابن شهرآشوب، وعبد الرزاق ج٥ ص٤٣٨ ومسند أحمد ج١ ص٣٢٤ والشفاء ج٢ ص٤٣١: «إن النبي قد اشتد به الوجع».

والطرائف ص٤٣١ و ٤٣٢ وفي شرح الخفاجي ج٤ ص٢٧٨: «وفي بعض طرقه، =

زاد في نص آخر: منهم من يقول: القول ما قاله عمر، فتنازعوا، ولا ينبغي عند النبي التنازع، فقالوا: ما شأنه أهجر؟! استفهموه.

فذهبوا يعيدون عليه، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: قوموا ـ لما أكثروا اللغو والإختلاف عنده ـ دعوني، فالذي أنا فيه خير مما تدعونني إليه الخ..[1].

= فقال عمر: إن النبي «صلى الله عليه وآله» يهجر».

وفي البحار ج٢٢ ص٤٦٨: فقام بعض من حضر يلتمس دواة وكتفاً، فقال عمر: «ارجع، فإنه يهجر» و ص٤٩٨ عن سليم: «فقال رجل منهم: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يهجر» كما في الإرشاد أيضاً.

وفي شرح ابن أبي الحديد ج٦ ص٥١: «فقال عمر كلمة معناها: إن الوجع قد غلب على رسول الله «صلى الله عليه وآله»..»

وفي تأريخ ابن خلدون: «وقال بعضهم: إنه يهجر، وقال بعضهم: «أهجر»؟ مستفهماً.

وقال الحلبي: فقال بعضهم أي: وهو سيدنا عمر: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد غلبه الوجع».

وفي البحار ج٣٦ ص٢٧٧ عن علي «عليه السلام»: أنه قال لطلحة: «أليس قد شهدت رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين دعا بالكنف ليكتب فيها ما لا تضل الأمة بعده ولا تختلف، فقال صاحبك ما قال: «إن رسول الله يهجر»، فغضب رسول الله «صلى الله عليه وآله» وتركها؟

وفي الطرائف: وفي رواية ابن عمر من غير كتاب الحميدي قال عمر: «إن الرجل ليهجر».

وفي كتاب الحميدي قالوا: «ما شأنه هجر»؟

(١) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٢٤٧ عن البخاري ومسلم، والبداية والنهاية =

وعن ابن عباس قال: دعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» بكتف، فقال: ائتوني بكتف أكتب لكم كتاباً لا تختلفون بعدي.

فأخذ من عنده من الناس في لغط، فقالت امرأة ممن حضر: ويحكم، عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» إليكم.

فقال بعض القوم: اسكتي، فإنه لا عقل لك.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: أنتم لا أحلام لكم[1].

فخرج ابن عباس وهو يقول: «الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين كتابه»[2] لاختلافهم ولغطهم.

= ج٥ ص٢٧١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤٩٩ الإيضاح لابن شاذان الأزدي ص٣٥٩ واليقين لابن طاووس ص٥٢١ والبحار ج٣٠ ص٥٣١ و ٥٣٤ وفتح الباري ج٨ ص١٠٢ وشرح النهج للمعتزلي ج١٣ ص٣١ والإكمال في أسماء الرجال ص٢٠٢ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٤٣٦ والكامل في التاريخ لابن الأثير ج٢ ص٣٢٠ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص٦٢ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٤٤٧ وسبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٢٤٧ ومجمع النورين للمرندي ص٢٠٢ وسفينة النجاة للسرابي التنكابني ص٢٠٥.

(١) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٢٤٨ عن الطبراني، ومكاتيب الرسول ج٣ ص٦٩٨ عن غاية المرام ص٥٩٨ ومجمع الزوائد ج٤ ص٢١٥ والمعجم الكبير ج١١ ص٣٠.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٢٤٧ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٦٩٥ وفي هامشه عن: تشييد المطاعن (ط الهند) ج١ ص٣٦٦ عن البخاري في باب العلم و ص٣٦٧ عن عبيد الله عنه في كتاب الجهاد، وكتاب الخمس عن سعيد، وباب مرض النبي «صلى الله عليه وآله» كتاب المرضى باب قول المريض: قوموا عني =

غلبه الوجع، أم هجر؟!:

وقد وردت كلمة غلبه الوجع، أو نحوها في العديد من النصوص، وورد أنه قال: «إن النبي يهجر»، أو نحوها، كما في نصوص أخرى.

وقد فسروا كلمة: أهجر؟!

فقالوا: قولهم: «أهجر»؟ بإثبات همز الإستفهام وفتح الهاء والجيم، قالوا: ولبعضهم هُجْراً بضم الهاء وسكون الجيم والتنوين. أي قال هُجراً، والهُجْر بضم الهاء وسكون الجيم، وهو الهذيان الذي يقع من كلام المريض، الذي لا ينتظم ولا يعتد به لعدم فائدته، ووقوع ذلك من النبي «صلى الله عليه وآله» في حقه مستحيل.

وإنما هذا على طريق الإستفهام، الذي معناه: الإنكار والإبطال، أي أنه «صلى الله عليه وآله» لا يهجر. أي: لم يختلفوا في الأخذ عنه، ولم ينكروا عليه الكتاب، وهو لا يهجر أصلاً[1].

ولكن في نص آخر يحاول أيضاً التخفيف من وقع الكلمة فيقول: «فقال عمر كلمة معناها: أن الوجع قد غلب على رسول الله..».

وثمة نص ثالث حاول التنصل من هذا الموضوع من أصله، فكانت

= عن عبيد الله و ص٣٦٨ عن كتاب الإعتصام، وعن مسلم بطرق كثيرة عن سعيد وص٣٦٩ عن سعيد أيضاً، وعن المشكاة عن عبيد الله عن ابن عباس وص٣٨٠ عن الملل والنحل، والبحار ج٣٠ ص٥٣٢ بالإضافة إلى نصوص أخرى تقدمت.

(١) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٢٤٩.

محاولة فاشلة، يقول ذلك النص: «ما له؟ أهجر؟ استفهموه». أو نحو ذلك.

وإنما قلنا: إنها محاولات فاشلة، لأن معنى: غلبه الوجع لا يختلف عن معنى: إنه يهجر، إلا أن العبارة الأولى أخف وقعاً على السمع..

والسبب الذي ألجأهم إلى تبديل هذه بتلك، هو التخفيف من حدة النقد الموجه لقائل هذه الكلمة.. باعتبار أن الهجر ينافي العصمة(١).

ويلاحظ هنا: أنهم حين يصرحون بأن عمر هو قائل هذه الكلمة يبدلون الصيغة، من صيغة خبرية إلى صيغة إنشاء واستفهام، أو يقولون: غلبه الوجع. أو نحو ذلك.

وإذا صرحوا بكلمة الهجر، فإنهم يبهمون اسم القائل.

لكن عدداً من أهل السنة ومنهم الخفاجي(٢) قد صرحوا: بأن عمر هو الذي قال: إن الرجل ليهجر.

ثم إن تحريف هذه الكلمة لتصبح بمثابة سؤال عن الحال، إن كان الأمر قد بلغ بالنبي «صلى الله عليه وآله» إلى حد الهجر.. لا ينفعهم شيئاً، فإن السؤال عن ذلك يساوق احتمال حصوله له. ولا يصح احتمال ذلك في حق الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، لأنه من موجبات الطعن في عصمتهم، وفي نبوتهم، وهو من مظاهر تكذيب النص القرآني الذي يقول عن النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله»:

---

(١) مكاتيب الرسول ج٣ ص٧٢٣ عن فتح الباري ج٨ ص١٠١ وعمدة القاري ج١٨ ص٦٢ وفلك النجاة في الإمامة والصلاة لعلي محمد فتح الدين الحنفي ص١٤٧.

(٢) شرح الشفاء ج٤ ص٢٧٨.

{وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}(١).

ويقول: {إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ}(٢).

وقد حاول المعتزلي أن يلطف الأجواء بنحو آخر، اعتمد فيه أسلوب إظهار حسن الظن بقائل تلك الكلمة الخطيرة.

فقال: «وكان في أخلاق عمر وألفاظه جفاء وعنجهية ظاهرة، يحسبه السامع لها أنه أراد بها ما لم يكن قد أراد، ويتوهم من تحكى له أنه قصد بها ظاهراً ما لم يقصده، فمنها الكلمة التي قالها في مرض رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ومعاذ الله أن يقصد بها ظاهرها! ولكنه أرسلها على مقتضى خشونة غريزته، ولم يتحفظ منها. وكان الأحسن أن يقول: «مغمور» أو «مغلوب بالمرض»، وحاشاه أن يعني بها غير ذلك»!(٣).

ونقول:

إن هذا كلام خطابي، لا قيمة له، لأن الأحسن عند ابن أبي الحديد لا يختلف عن ذلك الأسوأ الذي أراد أن يهرب منه، ويبرئ عمر من تبعاته..

وهو أيضاً ينافي عصمة النبي «صلى الله عليه وآله».

ويمثل أذى وجرأة عليه «صلى الله عليه وآله»، واتهاماً له بما صرح القرآن بنفيه عنه.

---

(١) الآيتان ٣ و ٤ من سورة النجم.

(٢) الآية ٥٠ من سورة الأنعام.

(٣) شرح النهج للمعتزلي ج١ ص١٨٣ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٥٥٠ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٧٢٣.

وأما حسن ظن ابن أبي الحديد بعمر، والحكم بعدم قصد مضمونه، واعتباره ذلك من الخشونة الغريزية، فتبقى عهدته على مدَّعيه، وهو رجم بالغيب، ولا يصح الإحتجاج به على أحد، ولا ترتيب الأثر عليه.

والخشونة الغريزية، لا تبرر عصيان النبي «صلى الله عليه وآله»، ولا إغضابه، ولا الجرأة عليه، ولا سيما بعد أن تبناها قسم من الصحابة، وقالوا: القول ما قاله عمر. وتنازعوا، ورفعوا أصواتهم، ولغطوا إلى آخر ما تقدم.. فهل كان الجميع يعانون من الخشونة الغريزية؟! أم أن الأمر يتعدى ذلك إلى ما هو أسوأ وأخطر؟!

إساءات لمقام النبوة:

ومع غض النظر عن نسبة الهجر والهذيان إلى النبي المعصوم، فإننا نلاحظ: أن الأمر لم يقتصر على ذلك، لأنهم قد ارتكبوا العديد من الإساءات الأخرى أيضاً، مثل:

١ ـ مخالفتهم لأمر الرسول «صلى الله عليه وآله»، وامتناعهم عن تلبية طلبه، ومنعهم سائر من حضر من ذلك أيضاً..

٢ ـ إنهم قد رفعوا أصواتهم، وضجوا، ولغطوا في محضر رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وقد امرهم الله بأن لا يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبي «صلى الله عليه وآله»، وأن يغضوا أصواتهم عنده.

٣ ـ إنهم قد تنازعوا في محضره «صلى الله عليه وآله»، ولم يردوا الأمر إلى النبي، حتى طردهم «صلى الله عليه وآله» من محضره. وقد نهاهم الله تعالى عن التنازع، وأمرهم برد ما يتنازعون فيه إلى الله وإلى الرسول.

٤ ـ إنهم أغضبوا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وفعلوا في حضرته ما لا ينبغي كما صرحت به بعض النصوص أيضاً، ومن ذلك قولهم لتلك المرأة: إنها لا عقل لها، وغير ذلك.

٥ ـ إنهم قالوا: حسبنا كتاب الله، وهذا قرار منهم باستبعاد السنة النبوية الشريفة عن التداول. مع أن الله تعالى يقول لهم: **{وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}**[1]. وثبت عندهم: حديث الثقلين بصيغة «كتاب الله وسنتي»[2].

حسبنا كتاب الله في الميزان:

واللافت هنا:

أولاً: أنهم قد تخلوا حتى عن العمل بالقرآن الكريم في نفس هذا المورد فضلاً عن غيره، فإن القرآن هو الذي يأمرهم بطاعة الرسول «صلى الله عليه

---

(١) الآية ٧ من سورة الحشر.

(٢) راجع: المستدرك للحاكم ج١ ص٩٣ والعلل لأحمد بن حنبل ج١ ص٩ وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج٢ ص١٨٠ والجامع الصغير ج١ ص٥٠٥ و ٦٠٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج١٠ ص١١٤ وسنن الدارقطني ج٤ ص١٦٠ وكنز العمال ج١ ص١٧٣ و ١٨٧ ومسند زيد بن علي ص٤٠٤ والإستذكار لابن عبد البر ج٨ ص٢٦٥ والتمهيد لابن عبد البر ج ٢٤ ص ٣٣١ وتفسير الرازي ج٢ ص٤ وأضواء البيان للشنقيطي ج٧ ص٢٥٩ وج٨ ص٢٤٧ والاحكام لابن حزم ج٦ ص٨١٠ والأحكام للآمدي ج١ ص٢٤٨ وضعفاء العقيلي ج٢ ص٢٥١ والكامل لابن عدي ج٤ ص٦٩ وميزان الاعتدال للذهبي ج٢ ص٣٠٢ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج١ ص٥٤٣.

وآله»، فيقول: {أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ}(١) ويأمرهم بأخذ ما آتاهم إياه فيقول أيضاً: {مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا}(٢).. ونهاهم عن أذى النبي «صلى الله عليه وآله»، وعن إغضابه، وعن رفع الصوت في محضره، وعدم التنازع. وألزمهم بالرجوع إليه فيما يتنازعون فيه..

وقد صرحت الآيات بذلك كله، ولم تُبق عذراً لمعتذر، أو حيلة لمتطلب حيلة، وهم لم يعملوا بالقرآن حتى في هذا المورد!!.

ثانياً: إن القرآن فيه بيان كل شيء بلا ريب، لكن إنما يعرف القرآن من خوطب به، وكل شيء اصله في الكتاب، ولكن لا تدركه عقول الرجال من سائر الناس، بل لا بد من أن يرجعوا إلى من يفسره لهم، وهم خصوص النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» ثم الأئمة الطاهرون «عليهم السلام» من بعده، العارفون بتنزيله وبتأويله، ومحكمه ومتشابهه، وناسخه ومنسوخه، فلا أحد يستطيع استخراج حقائقه سواهم «عليهم السلام».

وكيف يمكن لعمر، أو لغير عمر أن يعرف عدد ركعات الصلاة اليومية، وشرائط الإعتكاف في المساجد، وسائر الأحكام الفرعية من القرآن الكريم إلا بدلالة من عنده علم الكتاب «عليه الصلاة السلام» وعلى آله الطاهرين؟!..

على أن الوقائع قد بينت عدم معرفتهم لمعنى الأبّ، وعدم معرفتهم

---

(١) الآية ٥٩ من سورة النساء.

(٢) الآية ٧ من سورة الحشر.

بالكلالة، وبأمور كثيرة أخرى نطق بها القرآن..

ثم إنهم قد منعوا الناس من السؤال عن معاني آيات القرآن، وضربوهم، واضطهدوهم كما تقدم في الجزء الأول من هذا الكتاب..

فهل معنى قولهم: حسبنا كتاب الله، هو أن يكون القرآن للقراءة على القبور، وفي المحافل الرسمية، وأن يكون من جملة التمائم التي تعلق على المرضى.

لماذا يريد النبي ' الكتابة؟!:

وقد يسأل سائل عن السبب في لجوء النبي «صلى الله عليه وآله» إلى كتابة الكتاب؟! ألم يكن يكفيه ما جرى في يوم الغدير من البيعة والتهنئة لعلي «عليه السلام» بمقام الولاية؟!

ونجيب:

أولاً: إن نفس ما جرى في مرض موته «صلى الله عليه وآله» من جرأة وإباء وإصرار على عدم تمكينه من كتابة الكتاب يدل على ضرورة كتابة هذا الكتاب..

ثانياً: لعل هؤلاء الناس كانوا يخططون إلى إنكار دلالة ما جرى، والإعتماد على إرهاق الحدث بالتأويلات والتمحلات الباطلة لتعمية الأمور على العوام.

أو لعلهم يزعمون للناس أن أموراً قد استجدت، وتقلبات حدثت، دعت النبي «صلى الله عليه وآله» إلى العدول عن ذلك الأمر، حيث رأى أن صرف النظر عنه أصلح.

لماذا لا يصر النبي ' على الكتابة ؟!:

ونجيب عن سؤال: إذا كانت كتابة الكتاب ضرورية، وإذا كان هو الذي يحفظ الأمة من الضلال، فلماذا صرف النظر عن كتابته؟!

ولماذا يستسلم «صلى الله عليه وآله» لما أراده عمر وغيره، ألم يكن الإصرار على كتابته هو المتعين؟!

ما دام أن نفع الكتاب الذي سوف يكتبه لا يقتصر على أهل ذلك الزمان، بل سيكون شاملاً للأمة بأسرها إلى يوم القيامة؟!..

ونجيب: بما قاله العلامة السيد عبد الحسين شرف الدين «قدس سره»:

«وإنما عدل عن ذلك، لأن كلمتهم تلك التي فاجؤوه بها إضطرته إلى العدول، إذ لم يبق بعدها أثر لكتابة الكتاب سوى الفتنة، والإختلاف من بعده في أنه هل هجر فيما كتبه ـ والعياذ بالله ـ، أو لم يهجر؟

كما اختلفوا في ذلك، وأكثروا اللغو واللغط نصب عينيه، فلم يَتَسَنَّ له يومئذٍ أكثر من قوله لهم: «قوموا عني» كما سمعت.

ولو أصر فكتب الكتاب للجوا في قولهم: هجر، ولأوغل أشياعهم في إثبات هجره ـ والعياذ بالله ـ فسطروا به أساطيرهم، وملأوا طواميرهم، رداً على ذلك الكتاب، وعلى من يحتج به.

لهذا اقتضت حكمته البالغة أن يضرب «صلى الله عليه وآله»، عن ذلك الكتاب صفحاً، لئلا يفتح هؤلاء المعارضون وأولياؤهم باباً إلى الطعن في النبوة ـ نعوذ بالله، وبه نستجير.

وقد رأى «صلى الله عليه وآله»، أن علياً وأولياءه خاضعون لمضمون

ذلك الكتاب، سواء عليهم أكتب أم لم يكتب، وغيرهم لا يعمل به ولا يعتبره لو كتب.

فالحكمة ـ والحال هذه ـ توجب تركه، إذ لا أثر له بعد تلك المعارضة سوى الفتنة كما لا يخفى»(١).

فائدة ما جرى:

وكان هذا الإجراء النبوي في غاية الدقة، وكان جليل الأثر عظيم الفائدة في أكثر من اتجاه، فهو قد فضح مرة أخرى أولئك الذين يتظاهرون بالخضوع والطاعة لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعرّف الناس أن باطنهم لا يلائم ظاهرهم..

كما أنهم لم يعد بإمكانهم أن يدّعوا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد بدل رأيه، أو أنه أسرّ لهم بشيء كتمه عن الناس، يضاف إلى ذلك: أنه اضطرهم إلى الإعلان بأن في نيتهم تجاهل سنة النبي «صلى الله عليه وآله»، وإبطالها، وأفقدهم القدرة على ادّعاء أن هذا اجتهاد منهم يعذرون فيه.. فقد ظهر أنه اجتهاد جاء على خلاف النص الصريح، وقد كان ثمنه إغضاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والجرأة عليه، وانتهاك حرمته، والطعن في عصمته، ومخالفة النصوص القرآنية الواضحة، والصريحة..

وأظهر أيضاً: أنهم لا يصدقون رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيما يخبرهم به من أن الكتاب الذي يريد أن يكتبه سوف يحصن الأمة من

---

(١) المراجعات ص٢٨٤ و ٢٨٥ والنص والإجتهاد ص١٧٠ و ١٧١ والفصول المهمة ص٩١ فما بعدها.

الضلال إلى يوم القيامة.

كما أنه قد دل على أنهم لا يهتمون بمصلحة الأمة، ولا يفكرون في هدايتها وصيانتها من الضلال والغواية..

وسيأتي: أنهم قد أتوا ما أتوه في الوقت الذي قدم لهم النبي «صلى الله عليه وآله» المعجزة الظاهرة من خلال انطباق إخباره الغيبي على ما جرى وصدر منهم، وذلك حين أخبرهم بالذي سيقول: حسبنا كتاب الله.. إلى غير ذلك من أمور يمكن استخلاصها مما حدث..

لو لبس المسلمون السواد، وأقاموا المآتم:

وتأتي كلمة السيد ابن طاووس «رحمه الله» لتصدق ابن عباس في تعبيره عما جرى برزية يوم الخميس، ولتكون أصدق وأوفى تعبير عن حجم الكارثة التي حلت بالمسلمين نتيجة لما فعله هؤلاء القوم، فهو يقول:

«والله، لو لبس المسلمون السواد، وأقاموا المآتم، وبلغوا غاية الأحزان، كان ذلك يسيراً لما أدخل عمر عليهم من المصيبات، وأوقعهم فيه من الهلاك والضلال والشبهات»[١].

وذلك لما ترتب على هذا الأمر من اختلاف في الأمة، وسفك للدماء، واختلال في أمور الدين، وهلاك اثنتين وسبعين فرقة بسبب الشبهات والضلالات التي ظهرت، والتي هي السبب في خلود من يخلد في النار منهم[٢].

---

(١) الطرائف ص٤٣٣.

(٢) راجع: الطرائف ص٤٣١.

النبي ' يخبر عما يجري:

وقد ورد عن النبي «صلى الله عليه وآله» أنه قال: «يوشك رجل منكم متكئاً على أريكة يحدث بحديث عني، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا وإن ما حرم رسول الله «صلى الله عليه وآله» مثل الذي حرم الله»[(١)].

وفي نص آخر قال: «لا ألفين أحدكم على أريكته يأتيه الأمر من أمري، مما أمرت به أو نهيت عنه، فيقول: لا ندري، ما وجدنا في كتاب الله

(١) راجع: مكاتيب الرسول ج١ ص٥٠٩ وفي هامشه عن: جامع بيان العلم ج٢ ص٢٣٢ واللفظ له، وراجع: أدب الإملاء والإستملاء ص٣ و ٤ وابن ماجة ج١ ص٦ و ٧ ومسند أحمد ج٤ ص١٣١ و ١٣٢ وسنن أبي داود ج٤ ص٢٠٠ وسنن الدارمي ج١ ص١٤٤ والترمذي ج٥ ص٣٨ وراجع: الكفاية ص٨ ـ ١٠ وكنز العمال ج١ ص١٥٥ (عن أحمد، وأبي داود) وص١٥٦ (عن أحمد، وابن ماجة) وأضواء على السنة المحمدية ص٥٢ والمعجم الكبير ج٤ ص١٣٠ (عن المقدام، عن خالد بن الوليد) والسنن الكبرى للبيهقي ج١ ص١٠٩ وموارد الظمآن ص٥٥ ودلائل النبوة للبيهقي ج١ ص٢٤ والتمهيد لابن عبد البر ج١ ص١٥٠ بسندين، وتدوين السنة ص٣٥٢ عن جمع ممن تقدم، وعن دلائل النبوة ج٦ ص٥٤٩ والفقيه والمتفقه ج١ ص٨٨ والإعتبار للحازمي ص٧ والصحيح لابن حبان ج١ ص١٤٧ وراجع: الحديث والمحدثون لأبي زهرة ص١١ و ٢٤ وراجع: تفسير القرطبي ج١ ص٣٧ والسنة قبل التدوين ص٧٨ و ٧٩ وسؤالات حمزة للدارقطني ص٥ وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج٢ ص١٩٠ و تاريخ ابن معين ج١ ص٦ عن أبي داود.

اتبعناه»[١].

أو ما هو قريب من هذا، مصرحاً بأن هذا القائل يأكل من بيت المال أيضاً[٢].

---

(١) راجع: مكاتيب ج١ ص٥٠٩ وفي هامشه عن: أدب الإملاء والإستملاء ص٣ وجامع بيان العلم ج٢ ص٢٣٢ و (ط دار الكتب العلمية) ج٢ ص١٨٩ والكفاية للخطيب ص١١ و ١٢ ومسند أحمد ج٦ ص٨ وسنن أبي داود ج٤ ص٢٠٠ و (ط دار الفكر) ج٢ ص٣٩٢ والترمذي ج٥ ص٣٧ وابن ماجة ج١ ص٦ والمعجم الكبير ج١ ص٢٩٥ بسندين وص٣٠٧ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج١ ص٣١٦ والشفاء للقاضي عياض ج٢ ص٣٨ وموارد الظمآن لزوائد ابن حبان ص٥٥ والتمهيد لابن عبد البر ج١ ص١٥١ وراجع: لسان العرب والنهاية في «أرك» و «لفى» وكنز العمال ج١ ص١٥٥ عن أحمد، وأبى داود، والترمذي، وابن ماجة، والمستدرك، وراجع: المستدرك ج١ ص١٠٨ و ١٠٩ بأسانيد متعددة. ولا يخفى أن ألفاظ الحديث حيث نقل بالمعنى مختلفة والمعنى واحد، ورواه في الكفاية هكذا: «لا أعرفن الرجل يأتيه الأمر من أمري مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: ما أدري ما هذا، عندنا كتاب الله، ليس هذا فيه» ـ واللفظ لأبي الفضل ـ ورواه في معاني الأخبار ص٣٩٠ عن أبي إبراهيم «عليه السلام»، وراجع: الرسالة للشافعي ص٨٩ و ٢٦٦ و ٤٠٣ والكفاية في علم الرواية ص٢٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج٧ ص٧٦ وكتاب الأم الشافعي ج٧ ص١٦ وج٧ ص٣٠٣ وشرح معاني الآثار ج٤ ص٢٠٩ ومسند الحميدي ج١ ص٢٥٢ و كتاب المسند للشافعي ص١٥١ و ٢٣٤.

(٢) راجع: كنز العمال ج١ ص١٥٥ و ١٧٤ عن أحمد، وعن الإبانة لأبي نصر وأبي داود، والبيهقي، وسنن أبي داود ج٤ ص٢٠٠ وج٣ ص١٧٠ وسنن ابن ماجة =

ربما ليشير إلى أن الأحرى والأجدر بمن يأكل من بيت المال، أن يحفظ شريعة سيد المرسلين، وأن يصون دين المسلمين من أي خطر يمكن أن يتعرض له.

وقوع ما أخبر به النبي ':

وعلى كل حال، فإن هذا من الإخبارات الغيبية لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، التي ظهر مصداقها قبل وفاته «صلى الله عليه وآله»، وذلك حين طلب كتفاً ودواة ليكتب لهم كتاباً لن يضلوا بعده، فقال عمر: إن النبي ليهجر، حسبنا كتاب الله، أو نحو ذلك..

وعلى كل حال.. فإن مصداق كلام رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حال حياته، في قول عمر: حسبنا كتاب الله[1]. ظهر أيضاً في وفاته في قول أبي

= ج١ ص٩ و ١٠ وكشف الأستارج١ ص٨٠ ومسند احمد ج٤ ص١٣١ وج٢ ص٣٦٧ والكفاية للخطيب ص١٢ و ١٠ و ١١ و ١٣ وجامع بيان العلم ج٢ ص٢٣١ و ٢٣٢ والتمهيد لابن عبد البر ج١ ص١٥٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج٩ ص٢٠٤ والسنة قبل التدوين، عن ابن ماجة، والبيهقي، والدارمي، والجامع لأحكام القرآن ج١ ص٣٧.

(١) راجع: مكاتيب الرسول ج١ ص٥٠٩ و ٥١٣ عن منهج النقد ص٢٤ وعن البخاري ج٢ ص٧٧ و (ط دار الفكر) ج١ ص١٣٨ وج٧ ص٩ وتدوين السنة ص٣٦١ وراجع: صحيح مسلم ج٥ ص٧٦ والسقيفة وفدك للجوهري ص٧٦ وسنن الدارمي ج١ ص١٤٤ والكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ص٢٤ وسنن ابن ماجة ج١ ص٦ ومسند أحمد ج٤ ص١٣٢ و (ط دار صادر) ج١ ص٣٢٥ و ٣٢٦ وجامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ج٢ ص١٩٠ =

بكر: فلا تحدثوا عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» شيئاً، فمن سألكم فقولوا: «بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه». أو نحو ذلك[1].

وقالت عائشة بنت أبي بكر أيضاً: حسبكم القرآن[2].

= وأدب الإملاء والإستملاء للسمعاني ص١٠ وشرح النهج للمعتزلي ج٢ ص٥٥ وج٦ ص٥١ وج١١ ص٤٩ وج١٢ ص٨٧ والمواقف للإيجي ج٣ ص٦٥٠ وشرح مسلم للنووي ج١١ ص٩٠ و ٩٣ وفتح الباري ج١ ص١٨٦ وج٨ ص١٠٢ وعمدة القاري ج٢ ص١٧٢ وج١٨ ص٦٣ وج٢١ ص٢٢٤ والسنن الكبرى للنسائي ج٣ ص٤٣٣ وج٤ ص٣٦٠ وصحيح ابن حبان ج١٤ ص٥٦٢ والمصنف للصنعاني ج٥ ص٤٣٨ والديباج على مسلم ج٤ ص٢٣٢ وكنز العمال ج١ ص١٧٥ والتعديل والتجريح للباجي ج١ ص٢٠ إضافة إلى مصادر كصيرة أخرى.

(١) راجع: تذكرة الحفاظ للذهبي ج١ ص٢ و ٣ وراجع: تدوين السنة ص٢٦٥ و ٣٥٧ و ٤٢٣ عن التذكرة، والأنوار الكاشفة ص٥٣ والسنة قبل التدوين ص١١٣ إضافة إلى مصادر أخرى تقدمت في الهوامش السابقة.

(٢) راجع: وكتاب المسند ص١٨٢ ومعرفة السنن والآثار ج٣ ص٢٠١ والقول الصراح في البخاري وصحيحه الجامع ص١٧٣ ووضوء النبي ج١ ص٨ وعمدة القاري ج٨ ص٧٧ وتحفة الأحوذي ج٤ ص٧٤ وأضواء على السنة المحمدية ص٧٤ وراجع: صحيح البخاري (ط سنة ١٠٣٩ هـ) ج١ ص١٤٦ و (ط دار الفكر) ج٢ ص٨١ وصحيح مسلم ج٣ ص٤٣ ومستدرك الحاكم ج٣ ص٣٨١ وإختلاف الحديث للشافعي (بهامش الأم) ج ٧ ص ٢٦٦ و (ط أخرى) ص٥٣٧ وجامع بيان العلم ج٢ ص١٠٥ ومنحة المعبود ج١ ص١٥٨=

ثم إنهم تابعوا سياساتهم هذه، فمنعوا من رواية الحديث ومن كتابته بعده «صلى الله عليه وآله»، وجمعوا ما كتبه الصحابة من ذلك وأحرقوه.. وجرت سيرتهم على ذلك برهة من الزمن، تطبيقاً لمقولة عمر الآنفة الذكر.

شكليات وظواهر:

وحتى هذا المقدار من الرجوع إلى القرآن، فإنهم لم يلتزموا به أيضاً إلا على مستوى الشكل، والظاهر، ولكنهم خالفوه ونبذوه وراء ظهورهم، فيما عدا ذلك. ولا سيما فيما يرتبط بالآيات التي تتحدث عن الموقف من الظالمين، والآيات التي ذكرت مقامات وفضائل وكرامات أهل البيت «عليهم السلام» وأكدت على إمامتهم، ومسائل كثيرة فيما يرتبط بصفات الله، وبغيرها من الأمور الإعتقادية والسلوكية، وحتى آية الوضوء فإنهم لم يعملوا بها، فضلاً عن غيرها.. ولهذا البحث مجال آخر.

= وكشاف القناع للبهوتي ج٢ ص١٩٠ والشرح الكبير لابن قدامه ج٢ ص٤٣١ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص٣٤٦ ومختصر المزني (بهامش الأم) ج١ ص١٨٧ و (ط دار المعرفة) ص٣٩ والغدير ج ٦ ص ١٦٣ عمن تقدم، وعن صحيح مسلم ج١ ص٣٤٢ و ٣٤٤ و ٣٤٣ ومسند أحمد ج١ ص٤١ وسنن النسائي ج٤ ص١٧ و ١٨ والسنن الكبرى البيهقي ج٤ ص٧٣ و ٧٢ وسنن أبي داود ج٢ ص٥٩ وكتاب المسند للشافعي ص١٨٢ وموطأ مالك ج١ ص٩٦ والمغني لابن قدامه ج٢ ص٤١٢ والمجموع للنووي ج٥ ص٣٠٨.

حتى سيرة النبي ' يحرم تعلمها:

والحقيقة هي: أن سياسة المنع من الحديث إنما كانت تستهدف بالدرجة الأولى سيرة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فإنها كانت تتضمن السياسات، والإعتقادات والأحكام، والأخلاق، وتتضمن أيضاً فضائل وكرامات، ومثالب ومخزيات لأناس من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ويلاحظ: أنه قد كان هناك اتجاهان يرتبطان بالسيرة النبوية وروايتها، أحدهما يوجب تعلمها، والآخر يحرم ذلك، فالإتجاه الذي يمنع ويحرم هو ما عبر عنه أبو هريرة حين قال:

لما ولي عمر قال: أقلوا الرواية عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلا فيما يعمل به[1].

قال ابن عبد البر: إن عمر نهى عن الحديث عما لا يكون حكماً، ولا يكون سنّة.

وقد فسر الدارمي قوله هذا، فقال: «معناه عندي: الحديث عن أيام رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ليس السنن والفرائض»[2].

---

(١) المصنف للصنعاني ج١١ ص٢٦٢ والبداية والنهاية ج٨ ص١٠٧ و (ط دار إحياء التراث العربي) ج٨ ص١١٥ وجامع بيان العلم ج٢ ص١٤٨ والغدير ج٦ ص٢٩٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٦٧ ص٣٤٤ وشيخ المضيرة أبو هريرة لأبي رية ص١٠٥.

(٢) سنن الدارمي ج١ ص٨٥ وتدوين السنة ص٤١٤ و ٤٧٧ والجامع لأخلاق الراوي للخطيب ج٢ ص١٦٤٩/٢٨٨ والبداية والنهاية ج٣ ص٢٤٢ عن الدارمي، وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص٢٠.

أي أن الخليفة كان ينهى عن الحديث عن سيرة الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» بما فيها من كرامات باهرة، ومعجزات ظاهرة لأناس بأعيانهم، كما أنهم لا يريدون أن يظهر ما جرى في الغزوات والسرايا، ولا ذكر من فرَّ في المواطن الكثيرة، ومن ظهر نفاقه أو تجلت بعد قتل عمرو بن عبد ود فضائله وكراماته، مثل قلع باب خيبر، وهزيمة جيش الأحزاب، ورد جيوش الشرك، بالخيبة والخسران، في بدر، وأحد، وحنين، وقريظة، والنضير، وذات السلاسل. وسائر ما تضمن فضائل لأشخاص، ومثالب لآخرين.

وكذلك المواقف التي أكدت على ولاية أهل البيت «عليهم السلام»، ونصب علي «عليه السلام» إماماً وخليفة من بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، كما جرى في يوم الدار، وفي عرفات، والغدير، والمباهلة، ونزول سورة هل أتى، وما إلى ذلك.

وقد أوضح هذا الأمر أحد علماء السنة المعاصرين، حيث علق على ما رواه ابن أبي مليكة، من أن أبا بكر منع الناس من الحديث بعد وفاة النبي «صلى الله عليه وآله» بما يلي:

«إن كان لمرسل ابن أبي مليكة أصل، فكونه عقب الوفاة النبوية يشعر بأنه يتعلق بأمر الخلافة، كأن الناس عقب البيعة بقوا يختلفون، يقول أحدهم: أبو بكر أهلها، لأن النبي «صلى الله عليه وآله» قال كيت وكيت، فيقول آخر: وفلان قد قال له النبي «صلى الله عليه وآله» كيت وكيت،

فأحب أبو بكر صرفهم عن الخوض في ذلك وتوجيههم إلى القرآن»[١].

وأما الإتجاه الذي يحتم تعلم السيرة وروايتها، فهو اتجاه أهل البيت «عليهم السلام»، فقد روي عن الإمام السجاد «عليه السلام» أنه قال: «كنا نعلّم مغازي النبي «صلى الله عليه وآله» وسرايا كما نعلّم السورة من القرآن»[٢].

قال الأحمدي: «لما في ذلك من معرفة الله ورسوله، وآياته، ومعرفة أوليائه وأعدائه، وأعداء أهل البيت «عليهم السلام»، الذين حاربوا رسول الله وقاتلوه، والذين لا يريدون ذلك، ولما يرون فيه من فضيحة قريش، وسوء حالهم، ومعرفة من جاهد وقاتل، ممن تجنب القتال وفر»[٣].

هل أراد ' كتابة ولاية علي × :

لعل هناك من يريد أن يدَّعي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يصرح بما يريد أن يكتبه في مرض موته. فمن يستطيع أن يجزم بأنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يكتب ولاية علي «عليه السلام»؟!»[٤] فلعله أراد أن يكتب شيئاً

---

(١) الأنوار الكاشفة ص٥٤ وعنه في تدوين السنة ص٤١٨.

(٢) راجع: البداية والنهاية ج٣ ص٢٩٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص٣٥٥ وسبل الهدى والرشاد ج٤ ص١٠.

(٣) مكاتيب الرسول ج١ هامش ص٦٤٤.

(٤) راجع: مكاتيب الرسول ج١ ص٦٠٩ عن عن الدهلوي، والخفاجي، والكرماني، وقال في هامشه: وراجع تشييد المطاعن (ط هند) ج١ ص٤٢٦ وشرح الشفاء للخفاجي ج٤ ص٣٢٥ وفتح الباري ج١ ص١٨٦ وج٨ ص١٠١ و ١٠٢ وعمدة القاري ج٢ ص١٧١ وهامش صحيح مسلم ج٣ ص١٢٥٧.

من الأحكام أو الوصايا الأخرى، مثل: أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب، أو نحو ذلك**!!**

والجواب: أن علينا أن نطرح سؤالين:

أحدهما: إنه لا شك في أن ما اراد أن يكتبه «صلى الله عليه وآله» يرتبط بالضلال والهدى للأمة كما صرح به هو نفسه «صلى الله عليه وآله»..

ومما لا شك فيه أيضاً: أن عمر بن الخطاب كان مصراً على منع النبي «صلى الله عليه وآله» من كتابة الكتاب. وأن إصراره على هذا المنع كان بالغاً إلى حد أنه بادر إلى اتهام النبي «صلى الله عليه وآله» بأنه يتكلم بالهجر..

فلماذا يغضب عمر إلى هذا الحد، من أمر يقول النبي «صلى الله عليه وآله» عنه: إنه يؤدي إلى حفظ الأمة من الضلال إلى يوم القيامة**؟!**

السؤال الثاني: ما هي طبيعة ذلك الشيء الذي يستطيع أن يحقق هذا الإنجاز العظيم الهائل، وهو صيانة الأمة من الضلال إلى الأبد**؟!**

لا شك في أن هذا الشيء ليس من الأحكام الفرعية، «بل هو قطب رحى الإسلام، ومفتاح كل خير، ومغلاق كل شر» على حد تعبير العلامة الأحمدي «رحمه الله»[1].

ولكي نجيب على هذين السؤالين بدقة وأمانة، علينا أن نرجع إلى النصوص، وإلى ما يقوله حتى محبو عمر بن الخطاب، الراغبون في الدفاع عنه، أو في التخفيف من حدة النقد الموجه إليه، لجرأته البالغة على مقام النبوة الأقدس، فلاحظ الأمور التالية:

---

(١) مكاتيب الرسول ج٣ ص٧٠٣.

١ ـ قال الخفاجي والكرماني والدهلوي: إنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يكتب ولاية علي «عليه السلام»[١].

٢ ـ وقال عمر لابن عباس عن علي «عليه السلام»: «أراد أن يَذْكُرَهُ للأمر في مرضه، فصددته عنه، خوفاً من الفتنة، وانتشار أمر الإسلام. فعلم رسول الله ما في نفسي، وأمسك، وأبى الله إلا إمضاء ما حتم»[٢].

٣ ـ عن ابن عباس: أن عمر سأله عن علي «عليه السلام»: «هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟

قلت: نعم.

قال: أيزعم أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» نص عليه؟

قلت: نعم.

وأزيدك: سألت أبي عما يدَّعيه، فقال: صدق.

فقال عمر: لقد كان من رسول الله «صلى الله عليه وآله» في أمره ذرو من قول لا يثبت حجة، ولا يقطع عذراً. ولقد كان يربع في أمره وقتاً ما. ولقد أراد في مرضه أن يصرح باسمه فمنعت من ذلك، إشفاقاً وحيطة على

---

(١) راجع: شرح الشفاء للخفاجي ج٤ ص٣٢٥ وتشييد المطاعن ج١ ص٤٢٦ عن شرح المشكاة للدهلوي، وعن الخفاجي، والكرماني في شرح البخاري، وعن فتح الباري ج١ ص١٨٦ وج٨ ص١٠١ و ١٠٢ وعمدة القاري ج٢ ص١٧١.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج١٢ ص٧٩ وراجع: غاية المرام (المقصد الثاني) فصل الفضائل، باب ٧٣ ص٥٩٦ والبحار ج٣٠ ص٥٥٥ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٧٠٦.

الإسلام. لا ورب هذه البنية لا تجتمع عليه قريش أبداً»[1].

٤ ـ وحين قال له ابن عباس: إن النبي «صلى الله عليه وآله» أراد الأمر لعلي «عليه السلام». أجابه عمر: يا ابن عباس، وأراد رسول الله «صلى الله عليه وآله» الأمر له، فكان ماذا إذا لم يرد الله تعالى ذلك؟!

إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أراد أمراً، وأراد الله غيره، فنفذ مراد الله تعالى، ولم ينفذ مراد رسوله، أوكلما أراد رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان؟![2].

٥ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» قد أشار في بياناته الأخرى إلى ذلك الشيء

(١) شرح النهج ج١٢ ص٢٠ و ٢١ عن كتاب تاريخ بغداد لأحمد بن أبي طاهر، وراجع ج١٢ ص٧٩ و ٨٥ و ٨٦ و ٨٤ و ٨٠ و ٨٢ وقاموس الرجال ج٦ ص٣٩٨ وج٧ ص١٨٨ وبهج الصباغة ج٦ ص٢٤٤ وج٤ ص٣٨١ وعن ناسخ التواريخ (الجزء المتعلق بالخلفاء) ص٧٢ و ٨٠. وراجع: البحار ج٣٠ ص٢٤٤ و ٥٥٦ وج٣١ ص٧٥ وج٣٨ ص١٥٧ ونفحات اللاهوت ص٨١ و ١١٨ و ١٢١ والصراط المستقيم ج٣ ص٥ وغاية المرام (ط حجرية) ص٥٩٥ ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص٤٥٠ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٧٠٧ والدرجات الرفيعة ص١٠٦ وكشف الغمة ج٢ ص٤٧ وكشف اليقين ص٤٧٢ وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» في الكتاب والسنة والتاريخ ج٢ ص٩١ و ٣٩١ والتحفة العسجدية ليحيى بن الحسين بن القاسم ص١٤٤ وسفينة النجاة للسرابي التنكابني ص٢٢٦

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج١٢ ص٧٨ و ٧٩ وغاية المرام (المقصد الثاني) ص٥٩٦ والبحار ج٣٠ ص٥٥٤. وراجع: مكاتيب الرسول ج١ ص٦١٠ وج٣ ص٧٠٧ والتحفة العسجدية لحيى بن الحسين بن القاسم ص١٤٧.

الذي تحفظ به الأمة من الضلال، فقد قال: «يا أيها الناس، إني تركت فيكم ما إن أخذتم لن تضلوا: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي»(١).

لعله أراد إستخلاف أبي بكر:

وقد ادَّعت عائشة: أن غرض النبي «صلى الله عليه وآله» من كتب الكتاب هو: الوصية لأبي بكر، لا لعلي «عليه السلام»، وأنه «صلى الله عليه وآله» قال لعائشة: ادعي لي أباك وأخاك، حتى أكتب لأبي بكر كتاباً، فإني أخاف أن يقول قائل، ويتمنى متمن، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر(٢).

---

(١) راجع: حديث الثقلين للوشنوي تجد شطراً وافياً من مصادر حديث الثقلين، وراجع: المراجعات ص٤٩ و ٥٠.

(٢) راجع: تاريخ الإسلام للذهبي ج١ ص٣٨٠ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٤٣٣ والسنن الكبرى للنسائي ج٤ ص٢٥٣ وكتاب الوفاة للنسائي ص٢٦ والمعجم الأوسط ج٦ ص٣٤٠. ومكاتيب الرسول ج٣ ص٧١٠ وفي هامشه عن: الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ق٢ ص٢٤ وج٣ ق١ ص١٢٧ و ١٢٨ و (ط دار صادر) ج٣ ص١٨٠والبخاري ج٩ ص١٠٠ باب الإستخلاف، وفتح الباري ج١ ص١٨٦ وج١٣ ص١٧٧ وعمدة القاري ج٢ ص١٧١ وج٢٤ ص٢٧٨ وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص٥٤١ والدرر لابن عبد البر ص١٢٥ و ٢٠٤ والمنتظم لابن الجوزي ج٤ ص٣٢ ومسلم ج٤ ص١٨٥٧ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٨١ وكنز العمال ج١١ ص١٦٢ وج١٢ ص١٦٢ وج١٤ ص١٥٢ ومسند أحمد ج٦ ص٤٧ و ١٠٦ و ١٤٤ و ١٤٦ والكامل لابن عدي ج٦ ص٢١٤٠ و ج٢ ص٧٠٥ ومنحة المعبود ج٢ ص١٦٩ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٢٨ وج٦ ص١٩٨ ومجمع الزوائد ج٣ ص٦٣ وج٥ ص١٨١ =

ورواه البخاري بلفظ: لقد هممت أو أردت أن أرسل إلى أبي بكر وابنه، فأعهد، أن يقول قائلون، أو يتمني المتمنون، ثم قلت: يأبى الله ويدفع المؤمنون، أو يدفع الله ويأبى المؤمنون.

ورواه مسلم بلفظ: قال لي رسول الله «صلى الله عليه وآله» في مرضه: ادع لي أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً، فإني أخاف أن يتمنى متمن، أو يقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر.

وقد ورد: أنه أراد أن يكتب كتاباً، ولم يذكر أبا بكر[1].

وعن عائشة: لما ثقل رسول الله «صلى الله عليه وآله» **دعا عبد الرحمن** بن أبي بكر فقال: ائتني بكتف حتى أكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه.

فذهب عبد الرحمن ليقوم. فقال: اجلس، أبى الله والمؤمنون أن يختلف على أبي بكر[2].

= وبلوغ الأماني ج١ ص٢٣٥ والصراط المستقيم ج٣ ص٤. وراجع البحار ج٢٨ ص٣٥١ وتشييد المطاعن (ط هند) ج١ ص٤١١ و ٤٣١ والوثائق السياسية المقدمة الثالثة ص١٨ وابن أبي الحديد ج٦ ص١٣ عن البخاري، ومسلم، وأنكره وج١١ ص٤٩ وقال: فإنهم وضعوه في مقابلة الحديث المروي عنه في مرضه «ائتوني بدواة وبياض اكتب لكم ما لا تضلوا بعده أبدا فاختلفوا عنده وقال قوم منهم قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله» وفي تشييد المطاعن ج١ ص٤٣١ نقل الإنكار عنه وعن جامع الأصول.

(١) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٢٤٧.

(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٢٤٧ والأربعين البلدانية ص١٢٤ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٠ ص٢٦٩ و ٢٧٠ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٧١١ وفي =

ونقول:

أولاً: إنه لا معنى للحديث عن الكتابة لأبي بكر، بعد أن صرح عمر بأنه عرف أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يريد أن يصرح باسم علي «عليه السلام» فمنعه..

ثانياً: إن عمر كان من أشد المتحمسين لولاية أبي بكر، والواضعين لأركانها، والمشيدين لبنيانها، ولو أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يريد

= هامشه عن المصادر التالية: الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ق٢ ص٢٤ وج٣ ق١ ص١٢٧ و ١٢٨ و (ط دار صادر) ج٣ ص١٨٠ والبخاري ج٩ ص١٠٠ باب الإستخلاف، وفتح الباري ج١ ص١٨٦ وج١٣ ص١٧٧ وعمدة القاري ج٢ ص١٧١ وج٢٤ ص٢٧٨ وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص٥٤١ والدرر لابن عبد البر ص١٢٥ و ٢٠٤ والمنتظم لابن الجوزي ج٤ ص٣٢ ومسلم ج٤ ص٨٥٧ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٨١ وكنز العمال ج١١ ص١٦٢ وج١٢ ص١٦٢ وج١٤ ص١٥٢ ومسند أحمد ج٦ ص٤٧ و ١٠٦ و ١٤٤ و ١٤٦ والكامل لابن عدي ج٦ ص٢١٤٠ وج٢ ص٧٠٥ ومنحة المعبود ج٢ ص١٦٩ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٢٨ وج٦ ص١٩٨ ومجمع الزوائد ج٣ ص٦٣ وج٥ ص١٨١ وبلوغ الأماني ج١ ص٢٣٥ والصراط المستقيم ج٣ ص٤. وراجع البحار ج٢٨ ص٣٥١ وتشييد المطاعن (ط هند) ج١ ص٤١١ و ٤٣١ والوثائق السياسية المقدمة الثالثة ص١٨ وابن أبي الحديد ج٦ ص١٣ عن البخاري، ومسلم وأنكره وج١١ ص٤٩ وقال: فإنهم وضعوه في مقابلة الحديث المروي عنه في مرضه «ائتوني بدواة وبياض أكتب لكم ما لا تضلوا بعده أبداً، فاختلفوا عنده، وقال قوم منهم قد غلبه الوجع حسبنا كتاب الله» وفي تشييد المطاعن ج١ ص٤٣١ نقل الأنكار عنه وعن جامع الأصول.

ذلك لَجَهِدَ عمر بن الخطاب في تلبية طلبه، وإنفاذ أمره، ولم يرمه بما رماه به من أنه قد غلب عليه الوجع، يدلنا على ذلك قول علي «عليه السلام» له: إحلب حلباً لك شطره[1].

قال شارح المقاصد تعليقاً على كون بيعة أبي بكر فلتة: «كيف يتصور من عمر القدح في إمامة أبي بكر، مع ما علم من مبالغته في تعظيمه، وانعقاد البيعة له؟ ومن صيرورته خليفة باستخلافه؟!»[2].

وروي: أنه لما كتب أبو بكر وصيته في عمر، وأرسلها بيد رجلين ليقرآها على الناس، قالا للناس: هذا ما كتبه أبو بكر، فإن قبلتموه نقرؤه، وإلا نرده، فقال طلحة: اقرأه وإن كان فيه عمر.

---

(١) الإحتجاج ج١ ص٩٦ والصراط المستقيم ج٢ ص٢٢٥ و ٣٠٢ وج٣ ص١١ و ١١١ وكتاب الأربعين للشيرازي ص١٥٣ و ١٧٣ والبحار ج٢٨ ص١٨٥ و ٣٤٨ و ٣٨٨ وج٢٩ ص٥٢٢ و ٦٢٦ ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص٤٠٠ والسقيفة للمظفر ص٨٩ والغدير ج٥ ص٣٧١ وج٧ ص٨٠ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٧٠٨ ونهج السعادة ج١ ص٤٥ وشرح النهج للمعتزلي ج٦ ص١١ والوضاعون وأحاديثهم ص٤٩٣ والإمامة والسياسة (بتحقيق الزيني) ج١ ص١٨ و (بتحقيق الشيري) ج١ ص٢٩ والشافي للمرتضى ج٣ ص٢٤٠ وسفينة النجاة للسرابي التنكابني ص٣٤٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢ ص٣٥١.

(٢) البحار ج٣٠ ص٥٥٨ وشرح المقاصد في علم الكلام للتفتازاني ج٥ ص٢٨١ و (ط دار المعارف النعمانية) ج٢ ص٢٩٣ وإحقاق الحق (الأصل) ص٢٣٨ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٧١١.

فقال له عمر: من أين عرفت ذكري فيه؟

فقال طلحة: وليته بالأمس وولاك اليوم[١].

قال المعتزلي: «وعمر هو الذي شيّد بيعة أبي بكر، ورغَّم المخالفين فيها، فكسر سيف الزبير لما جرده، ودفع في صدر المقداد، ووطأ في السقيفة سعد بن عبادة، وقال: اقتلوا سعداً قتل الله سعداً، وحطم أنف الحباب بن المنذر الذي قال يوم السقيفة: انا جديلها المحلك، وتوعد من لجأ إلى دار فاطمة من الهاشميين، وأخرجهم منها. ولولاه لم يثبت لأبي بكر أمر، ولا قامت له قائمة»[٢].

ثالثاً: لو كان المقصود هو كتابة اسم أبي بكر، فلماذا يبكي ابن عباس حتى يبل الحصى لرزية يوم الخميس؟! فإن المفروض أن تكون الأمور قد جرت وفق ما يريده رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بتولِّي أبي بكر!!

رابعاً: إن ألفاظ هذا الحديث مختلفة، فهل قال «صلى الله عليه وآله» لعائشة: ادعي لي أباك؟!

أو قال: لقد هممت أو أردت أن أرسل إلى أبيك، أو أنه دعا عبد الرحمن بن أبي بكر.

فقال: ائتني بكتفٍ ودواة؟!

وهل قال: أبى الله إلا أبا بكر، أم قال: أبى الله والمؤمنون أن يختلف على

---

(١) البحار ج٣٠ ص٥٥٨ ومكاتيب الرسول ج٣ ص٧١٢ وإحقاق الحق (الأصل) ص٢٣٧.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١ ص١٧٤ وج ٢ ص٢٧.

أبي بكر.

أو قال: يأبى الله ويدفع المؤمنون.. أو العكس.

خامساً: لماذا أرسل أولاً إلى عبد الرحمن وأمره أن يأتيه بكتف ودواة.. ثم عدل عن ذلك، وأمره بالجلوس، وقال: أبى الله والمؤمنون أن يختلف على أبي بكر، فما هذا التقلب بالرأي، والتردد في التصرفات؟!.

وهل يصح ذلك من نبي لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى؟!.

سادساً: ما معنى قوله «صلى الله عليه وآله»: إجلس، أبى الله والمؤمنون أن يختلف على أبي بكر، فهل كان يريد أن يكتب في كتابه ما يخالف هذا الأمر، فأبى الله ذلك، ومنعه منه؟!.

سابعاً: لا معنى لأن يقال: يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر، فإن علياً والزهراء «عليهما السلام» كانا من المؤمنين، وكذلك بنو هاشم، وكثير من صحابة النبي «صلى الله عليه وآله».. وقد أبوا خلافة أبي بكر، وامتنعوا من البيعة له حتى استشهد بعضهم، كالزهراء «عليها السلام»، وبايع آخرون قهراً.. وجميعهم كانوا من المؤمنين.

كما أنهم يعتبرون سعد بن عبادة من أهل الإيمان أيضاً، وقد قتل ولم يبايع أبا بكر..

ثامناً: بالنسبة للنص الذي يقول: أبى الله والمؤمنون أن يختلف على أبي بكر.. لم يطابق الواقع، فإن الإختلاف على أبي بكر ما زال قائماً منذ اللحظة الأولى، وإلى يومنا هذا..

تاسعاً: قال المعتزلي عن هذا الحديث: إنه مصنوع مع ما فيه من

المخالفة والمباينة[١].

عاشراً: قال العلامة المجلسي «قدس الله نفسه الزكية»: إنه حتى لو كان يريد أن يكتب اسم أبي بكر، فإن «ظن الصواب في خلاف ما قضى به في معنى الشرك بالله، ولو كان في استخلاف أبي بكر أو عمر»[٢].

والإيراد الحادي عشر والأخير: أنه لم يترتب على ولاية أبي بكر صيانة للأمة من الضلال إلى يوم القيامة، بل تمزقت بذلك أوصالها، وظهرت الفتن فيها، وسفكت الدماء، وفشت الضلالات، والشبهات، وتحكم فيها فجارها، وقهر بل قتل خيارها، وأبرارها، وعلى رأسهم علي والحسنان، وأبناؤهم الطاهرون «عليهم السلام»..

مفارقة.. لا مجال لتبريرها:

والشيء الذي لا يمكن تبريره، ولا الإعتذار عنه هو: أن عمر بن الخطاب، قد واجه النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» بذلك الموقف الجريء والقوي والحاسم، في أمر لم يصرح النبي «صلى الله عليه وآله» لأحد بكنهه، ولكن عمر بن الخطاب قد علم به وتيقنه، فبادر إلى منعه منه.

وقد صرح بذلك لابن عباس، فقال: «ولقد أراد أن يصرح باسمه (يعني باسم علي «عليه السلام») فمنعت من ذلك..»[٣].

---

(١) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج٦ ص١٣ وج١١ ص٤٩.

(٢) البحار ج٣٠ ص٥٥٨.

(٣) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج١٢ ص٢١ و ٧٩ ومواقف الشيعة ج١ ص١٥٠ ومكاتيب الرسول ج١ ص٦٠٩ وج٣ ص٧٠٦ و ٧٠٧ والمراجعات ص٣٩٥=

ولكنه منعه بصورة مؤذية، ومهينة، وغير متوقعة. حيث وصفه بأنه غلبه الوجع، أو إنه ليهجر.. رغم أن هذا الكتاب كان سيحفظ الأمة من الضلال إلى يوم القيامة، كما صرح به رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالذات.

يقابل ذلك: أن أبا بكر حين مرض مرض الوفاة استدعى عثمان بن عفان، وكتب كتاباً يعين فيه الخليفة من بعده، فلما بلغ إلى ذكر اسم الخليفة أغمي عليه، فكتب عثمان اسم عمر في حال إغماء أبي بكر، فلما أفاق سأل عثمان، فأخبره أنه كتب اسم عمر، فأمضاه، وقال له أيضاً: لو كتبت نفسك لكنت لذلك أهلاً(١).

فلماذا لم يحكم عمر على أبي بكر بأنه قد كتب ذلك الكتاب وهو يهجر، أو غلبه الوجع؟! والحال أنه لا شك في أن الوجع قد غلب أبا بكر حتى أغمي عليه فعلاً!! ومع أن أبا بكر لم يكن مسدداً بالوحي ولا بغيره، ولم يخبرهم بأن كتابه سوف يعصم الأمة من الضلال إلى يوم القيامة.

وحتى لو أخبرهم بذلك، فإن أبا بكر يخطئ ويصيب، ولم يكن معصوماً، ولا حجية لقوله، ولا كان من الأنبياء ولا الأوصياء!!..

= والبحار ج٣٠ ص٢٤٤ و ٥٥٥ و ٥٥٦ وج٣١ ص٧٥ وج٣٨ ص١٥٧ وج١٠٩ ص٢٣ وحلية الأبرار ج٢ ص٣٢١. وراجع: غاية المرام (المقصد الثاني) فصل الفضائل، باب ٧٣ ص٥٩٦.

(١) راجع: تاريخ المدينة لابن شبة ج٢ ص٦٦٧ وتمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل للباقلاني ص٤٩٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٩ ص١٨٥ و ١٨٦ و ١٨٧ وج٤٤ ص٢٤٨ و ٢٥٢ وكنز العمال ج٥ ص٦٧٨ و ٦٨٠ وإفحام الأعداء والخصوم ص١٠١.

حسبنا كتاب الله دليل آخر:

ومما يشير إلى أن عمر قد فهم أن المراد هو كتابة أمر الإمامة والعترة، والإلزام بها قولاً وعملاً: أن عمر قال: حسبنا كتاب الله، أي أنه يريد أن يدفع الثقل الآخر المعادل لكتاب الله، حسبما قرره حديث الثقلين، اللذين لن يضل من تمسك بهما، وقد صرح رسول الله «صلى الله عليه وآله» هنا أيضاً بما يشير إلى ذلك بقوله: لن تضلوا بعده..

ولنفترض أن عمر قد فهم أن أمر النبي «صلى الله عليه وآله» لهم بالإتيان بالدواة، والكتف كان استحبابياً، فلماذا يبادر إلى اتهام النبي «صلى الله عليه وآله» في عقله، ويوجه إليه الكلمات القارصة ككونه يهجر، أو غلب عليه الوجع، أو نحو ذلك..

لا دليل على إرادة الوصية لعلي × ؟!:

وقد يقال: يدّعي الشيعة: أن النبي «صلى الله عليه وآله»، أراد في مرض موته أن يصرح بالوصية للإمام علي «عليه السلام»، وأن يكتب ذلك في كتاب، لكن عمر منعه من ذلك، وقال: إن النبي ليهجر، أو غلبه الوجع، أو ما يقرب من ذلك..

مع أنه ليس في الحديث أن النبي «صلى الله عليه وآله»، قد أراد أن يكتب خلافة أحد، ولا يعدو كونه مجرد تخرص ورجم بالغيب منهم، رغبة في التنويه بأمر الإمامة، من غير دليل..

أضف إلى ذلك: أن النبي «صلى الله عليه وآله»، قد ترك سنة غير مكتوبة، فلا حاجة إلى كتابة هذا الكتاب؟!..

والجواب:

أولاً: إن هناك تصريحات من قبل الخليفة الثاني، بأنه كان يعلم بأن النبي «صلى الله عليه وآله»، أراد في مرض موته أن يصرح باسم الإمام علي «عليه السلام» فمنعه..

وقد روى ذلك أهل السنة أنفسهم[1].. وقد تقدمت طائفة من هذه النصوص، فلا حاجة للإعادة..

ثانياً: لنفترض أن النبي «صلى الله عليه وآله»، لم يرد أن يكتب في الكتاب إمامة الإمام علي «عليه السلام»، ولكن لا شك في أن قول عمر: إن النبي «صلى الله عليه وآله» ليهجر، أو غلبه الوجع.. أو أنه قال كلمة معناها غلبه الوجع، يعتبر جرأة عظيمة وخطرة جداً على مقام النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله».. وهو يظهر بصورة لا تقبل الترديد والشك، عدم صلاحية عمر بن الخطاب لمقام الخلافة، وهذا كاف فيما يرمي إليه الشيعة من إثبات بطلان خلافة عمر بن الخطاب..

وليس ثمة ما يثبت أنه قد أصبح أهلاً لهذا المقام، لا سيما وأنه لم ينقل عنه توبة عما صدر منه في حق رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

بل الثابت أنه قد واصل جرأته على الرسول «صلى الله عليه وآله»، حين هاجم بيت السيدة الزهراء «عليها السلام»، التي قال فيها الرسول الكريم، «صلى الله عليه وآله»: من أغضبها أغضبني، أو نحو ذلك..

---

(١) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج١٢ ص٢١ وقاموس الرجال ج٦ ترجمة عبد الله بن عباس..

ثالثاً: إن النبي «صلى الله عليه وآله»، قد ترك سنة مكتوبة، وأمر عبد الله بن عمرو بن العاص، بأن يكتب كل ما يخرج من بين شفتيه، قائلاً:

أكتب فوالله، لا يخرج من بين هاتين إلا حق. أو نحو ذلك..

وقال: أكتبوا لأبي شاه.

وقال للناس: قيدوا العلم بالكتاب..

وكتب عنه أمير المؤمنين «عليه السلام»، الجفر والجامعة، وكتب أيضاً الكتاب الذي كان في ذؤابة سيفه، وفيه أمور من السنة.. وغير ذلك كثير.. ذكرنا شطراً وافياً منه، في الجزء الأول هذا الكتاب.

فما معنى قولهم: إن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يترك سنة مكتوبة؟!..

رابعاً: لنفترض أن النبي «صلى الله عليه وآله»، قد أمضى حياته دون أن يكتب أي شيء، وأراد في آخر لحظة أن يكتب أمراً بعينه، فما هو المانع من ذلك؟

وهل يصح قياس هذه الفترة على الفترات السابقة، بحيث لا بد أن تأخذ حكمها؟!..

خامساً: لنفترض جدلاً أنه كان يحق لعمر بن الخطاب، أن يمنع النبي «صلى الله عليه وآله»، من كتابة الكتاب، فهل يحق له أن يعلل ذلك بأنه «صلى الله عليه وآله» يهجر، أو غلبه الوجع.. أو أن يقول كلمة هذا معناها؟!..

سادساً: إن النبي «صلى الله عليه وآله»، يقول للناس: إنه إذا كتب الكتاب، فلن يضلوا بعده..

فكيف يقول له عمر: حسبنا كتاب الله؟!..

فهل هو أعرف من النبي «صلى الله عليه وآله» فيما يكون به الهداية والضلال؟!..

ألا يدل قول النبي «صلى الله عليه وآله»: لن تضلوا بعدي.. على أن القرآن لا يغني عن كتابة الكتاب، باعتبار أن الكتاب هو تدبير نبوي، تنفيذي وإجرائي، من شأنه أن يمنع من ادعاء الناس أموراً تخالف الواقع.. أما القرآن فإنما يتحدث عن الأصول، والمباني، والقواعد والضوابط!!

سابعاً: وأخيراً، نقول لأجل التذكير فقط: إن من يتجرأ على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ألا يتجرأ على السيدة الزهراء «عليها السلام»، وعلى الإمام علي «عليه السلام»، فضلاً عمن سواهما؟!

وهل يمكن جعل دماء الناس وأعراضهم، وأموالهم تحت سلطته؟!

إستدلال عمر بالجبر الإلهي:

وعن قول عمر المتقدم لابن عباس: إن الله تعالى أراد أمراً، وأراد الله غيره، فنفذ مراد الله، ولم ينفذ مراد رسوله الخ..

وعن قوله عن هذا الموضوع أيضاً: «وأبى الله إلا إمضاء ما حتم» نقول:

١ ـ إن الذي أراده الله ورسوله هو الخير والهدى، وصيانة الأمة من الضلال، إلى يوم القيامة، وأراد أن يكون ذلك بواسطة الولاية لعلي «عليه السلام» وأن يكف المناوؤون لعلي «عليه السلام» والأئمة الاثني عشر الهداة المهديين الطاهرين عن مناوءته من بعده.. ولكن الذين أرادوا الأمر لأنفسهم، لم يمتثلوا أمر الله ورسوله فيه وعدوا عليه وعلى زوجته، وأوردوا

عليهما من الظلم والحيف ما هو معروف..

٢ ـ يضاف إلى ذلك: أن في النص المشار إليه عن عمر بن الخطاب نوعاً من الإستهتار والإستخفاف برسول الله «صلى الله عليه وآله»، خصوصاً قوله: «فكان ماذا»؟!

وقوله: «أوكلما أراد رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان»؟!

٣ ـ لو صح ما قاله عمر، لكان معناه: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد خالف إرادة الله تعالى، وأن عمر هو الذي وافقها، ومعه قريش أيضاً.

وقد ادَّعى أيضاً: أنه إنما منع النبي «صلى الله عليه وآله» من الكتابة، إشفاقاً منه على الأمة من الفتنة، وحياطة على الإسلام، فهل كان عمر أشفق على الأمة، وأكثر حياطة على الإسلام من رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

أم أنه كان أعرف من رسول الله «صلى الله عليه وآله» بموجبات الفتنة، وبما يحفظ الدين، مع أن الله تعالى يقول في حق نبيه العظيم: **{وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}**[1].

أبو جعفر النقيب يقول:

قال أبو جعفر النقيب عن اختلاف المسلمين في محضر رسول الله «صلى الله عليه وآله»:

«فرجَّح قومٌ هذا، وقومٌ هذا، أفليس ذلك دالاً على أن القوم سووا بينه وبين عمر؟! وجعلوا القولين مسألة خلاف، ذهب كل فريق إلى نصرة

---

(١) الآيتان ٣ و ٤ من سورة النجم.

واحد منهما، كما يختلف اثنان من عُرض المسلمين في بعض الأحكام، فينصر قوم هذا وينصر ذاك آخرون؟! فمن بلغت قوته وهمته إلى هذا كيف ينكر منه أنه يبايع أبا بكر لمصلحة رآها، ويعدل عن النص»؟!(١). انتهى.

وأبو جعفر النقيب هو: يحيى بن محمد بن أبي زيد. قال عنه ابن أبي الحديد: «ولم يكن إمامي المذهب، ولا كان يبرأ من السلف، ولا يرتضي قول المسرفين من الشيعة. ولكنه كلام أجراه على لسانه البحث والجدل بيني وبينه»(٢).

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ج١٢ ص٨٧ وغاية المرام ج٦ ص٩٤ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٢٥٣ ومكاتيب الرسول ج١ ص٦١١ وج٣ ص٧٢٥.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج١٢ ص٩٠.

الفصل الرابع:

تمحلات بالية وأعذار واهية

تصويب عمر وتخطئة النبي ' !!:

قال البيهقي والذهبي: وإنما أراد عمر التخفيف عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين رآه شديد الوجع، لعلمه أن الله تبارك وتعالى قد أكمل ديننا، ولو كان ذلك الكتاب وحياً لكتبه النبي «صلى الله عليه وآله»، ولما أخل به لاختلافهم ولغطهم، لقول الله تعالى: **{بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ}**(1).

كما لم يترك تبليغ غيره لمخالفة من خالفه، ومعاداة من عاداه، وإنما أراد ما حكى سفيان بن عيينة عن أهل العلم قبله، أن يكتب استخلاف أبي بكر، ثم ترك كتابته اعتماداً على ما علم من تقدير الله تعالى، كما هَمَّ به في ابتداء مرضه حين قال: «وا رأساه».

ثم بدا له أن لا يكتب، ثم قال: «يأبي الله والمؤمنون إلا أبا بكر».

ثم نبه أمته على خلافته باستخلافه إياه في الصلاة حين عجز عن حضورها.

ويتابع البيهقي، فيقول:

«وإن كان المراد به رفع الخلاف في الدين، فإن عمر بن الخطاب علم أن

---

(١) الآية ٦٧ سورة المائدة.

الله تعالى قد أكمل دينه بقوله: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ}[1]، وعلم أنه لا تحدث واقعة إلى يوم القيامة، إلا في كتاب الله تعالى وسنة رسوله «صلى الله عليه وآله» بيانها، نصاً أو دلالة.

وفي نص رسول الله «صلى الله عليه وآله» على جميع ذلك في مرض موته، مع شدة وعكه، ما يشق عليه، فرأى عمر بن الخطاب الإقتصار على ما سبق بيانه نصاً، أو دلالة، تخفيفاً على رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ولكي لا تزول فضيلة أهل العلم بالإجتهاد في الإستنباط، وإلحاق الفروع بالأصول، بما دل الكتاب والسنة عليه.

وفيما سبق من قوله «صلى الله عليه وآله»: «إذا اجتهد الحاكم فأصاب، فله أجران. وإذا اجتهد فأخطأ، فله أجر واحد» دليل على أنه وكل بيان بعض الأحكام إلى اجتهاد العلماء، وأنه أحرز من أصاب منهم الأجرين الموعودين، أحدهما: بالإجتهاد، والآخر: بإصابة العين المطلوبة بما عليها من الدلالة في الكتاب أو السنة.

وأنه أحرز من اجتهد فأخطأ أجراً واحداً باجتهاده، ورفع إثم الخطأ عنه، وذلك في أحكام الشريعة التي لم يأت بيانها نصاً، وإنما ورد خفياً.

فأما مسائل الأصول، فقد ورد بيانها جلياً، فلا عذر لمن خالف بيانه لما فيه من فضيلة العلماء بالإجتهاد، وإلحاق الفروع بالأصول، بالدلالة، مع طلب التخفيف على صاحب الشريعة، وفي ترك رسول الله «صلى الله عليه وآله» الإنكار عليه فيما قال واضح على استصوابه رأيه، وبالله التوفيق».

---

(١) الآية ٣ من سورة المائدة.

وقال المازري: إنما جاز للصحابة الإختلاف في هذا الكتاب مع صريح أمره بذلك، لأن الأوامر قد يقارنها ما ينقلها من الوجوب، فكأنه ظهرت منه قرينة دلت على أن الأمر ليس على التحتم بل على الإختيار، فاختلف اجتهادهم، وصمم عمر على الإمتناع لما قام عنده من القرائن بأنه «صلى الله عليه وآله» قال ذلك عن غير قصد جازم.

[وعزمه «صلى الله عليه وآله» كان إما بالوحي وإما بالاجتهاد، وكذلك تركه إن كان بالوحي فبالوحي، وإلا فبالاجتهاد أيضاً].

وقال النووي: اتفق العلماء على أن قول عمر «حسبنا كتاب الله» من قوة فقهه، ودقيق نظره، لأنه خشي أن يكتب أموراً ربما عجزوا عنها، فيستحقوا العقوبة لكونها منصوصة.

وأراد أن لا يسد باب الإجتهاد من العلماء.

وفي تركه «صلى الله عليه وآله» الإنكار على عمر الإشارة إلى تصويبه. وأشار بقوله: «حسبنا كتاب الله» إلى قوله تعالى: **{مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ}**(١).

ولا يعارض ذلك قول ابن عباس: إن الرزية الخ.. لأن عمر كان أفقه منه قطعاً.

ولا يقال: إن ابن عباس لم يكتف بالقرآن مع أنه حبر القرآن، وأعلم الناس بتفسيره، ولكنه أسف على ما فاته من البيان، وبالتنصيص عليه

---

(١) الآية ٣٨ من سورة الأنعام.

لكونه أولى من الإستنباط[1].

و نقول:

إن ما ذكر آنفاً لا يحتاج إلى بذل أي جهد لإظهار بطلانه وفساده، حيث إن سقوطه وخطله ظاهر للعيان، ولا يحتاج إلى بيان، ولا إلى إقامة برهان..

ولكننا نكرر على مسامع القارئ الكريم بعض اللمحات والإشارات إلى بعض الشبهات والمغالطات والأباطيل من دون تطويل لثقتنا بحسن تقديره، وبسلامة وصحة تفكيره، فنقول:

ألف: عمر أراد التخفيف عن رسول الله ' :

إن ما زعموه: من أن عمر أراد التخفيف عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين رآه شديد الوجع.. يضحك الثكلى، فهل التخفيف على النبي «صلى الله عليه وآله» يستدعي اتهامه بالهذيان؟!

وهل التخفيف يكون بإيذائه بقوارع القول، وقواذع الكلم؟!

وهل التخفيف عنه بعصيان أوامره، أم بطاعته «صلى الله عليه وآله»، والمبادرة إلى فعل ما يرضيه، ويطمئنه؟!

ألا يدل قوله «صلى الله عليه وآله»: «أكتب كتاباً لكم لن تضلوا بعده»، أو نحو ذلك على أنه «صلى الله عليه وآله» كان يخشى عليهم من الضلال عن الصراط المستقيم، والوقوع في الفتن والمهالك، والإبتلاء بالضلالات؟!

وهل مجرد كمال الدين يمنع من الضلال؟! ويحصن من الإختلاف؟!

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٢٤٨ و ٢٤٩ وفتح الباري ج٨ ص١٠٢.

ومن الذي قال: إنه «صلى الله عليه وآله» يريد أن يأتي بتشريع جديد يضيفه إلى الدين، فلعله أراد إلزامهم بالعمل ببعض ما بلغهم إياه، وهو الوفاء ببيعتهم يوم الغدير، وتوثيق ذلك بالكتاب حتى لا يدّعي مدعٍ: أن ولاية علي لم تكن بوحي من الله، بل هي اجتهاد من الرسول، وقد غيَّر النبي «صلى الله عليه وآله» رأيه واجتهاده؟!

ب: آية بلغ.. وآية إكمال الدين:

ومما يضحك الثكلى أيضاً الإستدلال بآية: **{بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ}** وآية إكمال الدين، على صحة فعل عمر.. فقد تقدم حين البحث في قضية الغدير، أنهم يقولون: إن هناك أحكاماً قد بلغها النبي «صلى الله عليه وآله» بعد نزول هذه الآية، مثل آية الكلالة، وآيات الربا، وأمره بإخراج المشركين من جزيرة العرب.. بالإضافة إلى أمور أخرى ذكروها..

ج: لو كان وحياً لأصر على تبليغه:

وبالنسبة لقولهم: لو كان الكتاب وحياً من الله لكتبه النبي «صلى الله عليه وآله»، ولم يحفل بلغطهم.. نقول:

إن عدم كتابته للكتاب بعد اتهامه بالجنون والهذيان لا يدل على أن الله لم يأمره بكتابته..

أولاً: لأن الله تعالى يقول: **{وَأَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ}**، وهو أمر مطلق، ولم يقل: أطيعوه في بعض أوامره، واعصوه في بعضها الآخر..

ثانياً: إن كل ما يأمرهم به رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو بوحي

من الله، لقوله تعالى: **{وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}**(١).

ثالثاً: إنه قد يكون الأمر بالكتابة مشروطاً بعدم صدور اتهام من أحد للنبي «صلى الله عليه وآله» بالهذيان، أو ما بمعناه، لأن ذلك يبطل مفعول الكتاب، ويقلب الأمور رأساً على عقب.. إذ لو كتب الكتاب مع وجود هذه التهمة، لأوجبت كتابته الخلاف والفتنة، بدل أن يكون سبباً للمصونية من الضلال..

وقد ظهرت هذه الأحوال في نفس ذلك المجلس، حيث اختلف الحاضرون وتنازعوا، فمنهم يقول: قدموا لرسول الله «صلى الله عليه وآله» ما طلب ليكتب لكم.. ومنهم من يقول: القول ما قال عمر..

فهل إذا ارتحل النبي «صلى الله عليه وآله» إلى الرفيق الأعلى، سوف يتفق المسلمون، أم سوف يبقى هناك من يقول: القول ما قال عمر؟!

بل من الذي يضمن لنا تسليم عمر نفسه بمضمون ذلك الكتاب؟!

وإذا كانوا يعصون رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويخالفون أمر الله له بأن لا يرفعوا أصواتهم فوق صوته «صلى الله عليه وآله»، وبأن لا يتنازعوا عنده، بل يردون الأمر الذي يتنازعون فيه إليه «صلى الله عليه وآله» لكي يبينه لهم إذا كانوا يفعلون ذلك كله تحت سمع رسول الله «صلى الله عليه وآله» وبصره، فهل سيكون موته سبباً لاتفاقهم، وحل نزاعاتهم؟! في حين أن الله تعالى يقول: **{أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللهُ الشَّاكِرِينَ}**(٢).

---

(١) الآيتان ٣ و ٤ من سورة النجم.

(٢) الآية ١٤٤ من سورة آل عمران.

إن وجود النبي «صلى الله عليه وآله» بينهم كان رحمة لهم، فهل أصبح وجوده نقمة، وموته رحمة لهم، ومن موجبات دفع تنازعهم وانتظام أمورهم؟!

إن من يذهب إلى هذه المقالة، لا يمكن أن يكون من أهل الإيمان، ولا من الموصوفين بالإسلام..

رابعاً: لنفترض جدلاً: أن كتابة الكتاب كانت اجتهاداً من رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فلماذا يصر هؤلاء على تخطئة النبي «صلى الله عليه وآله» في اجتهاده، وتصويب اجتهاد عمر بن الخطاب؟! مع أنهم يصرحون في سائر الموارد: بأن اجتهاد النبي «صلى الله عليه وآله» صواب، وكل اجتهاد يخالفه فهو خطأ..

ولو كان الأمر كما يحلو لهم، فلماذا لم يرسل الله عمر نبياً لهذه الأمة؟!

وهل يمكن أن يكون الله قد آثر الأخذ بمقالة المعتزلة، فقدم المفضول وهو رسول الله «صلى الله عليه وآله» على عمر الذي كان هو الأفضل؟!

ألا يعد ذلك من سفه القول، ومن سوء التفكير، ومن الوسوسات الشيطانية الخبيثة؟!

د: أراد أن يكتب خلافة أبي بكر:

ولا يكاد ينقضي تعجب من يملك أدنى ذرة من العقل والإنصاف، من القول المنسوب إلى أهل العلم (!!) عند هؤلاء: أنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يكتب استخلاف أبي بكر. اعتماداً على ما علم من تقدير الله الخ..

فقد تقدم: أنه كلام باطل من أساسه.. إذ لم يكن ما فعله «صلى الله عليه وآله» في يوم الغدير ـ والعياذ بالله ـ سفهاً، ولا كانت أقواله التي تؤكد على

إمامة علي «عليه السلام» بلا معنى، ولم يكن قول عمر: إن النبي ليهجر صحيحاً، ولا كان «صلى الله عليه وآله» يهذي منذ بعثه الله رسولاً، ومن يوم إنذاره لعشيرته الأقربين، حيث جعل علياً «عليه السلام» أخاه، ووصيه، وخليفته من بعده منذ ئذٍ..

كما أن الله سبحانه لم يكن قد غلبه الوجع حين أنزل: **{إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ}**(١).

ولا كان كذلك حين أنزل آية: **{بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ}**(٢). وآية: **{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ}**(٣).

وأي نبي هذا الذي يتردد في أعماله؟! ويتراجع عن أقواله.. فيريد أن يكتب كتاباً يوقع به التنازع بين أصحابه، ثم يظهر له أن الأصوب هو أن يترك ذلك، لأن الله والمؤمنين يأبون إلا أبا بكر؟! ألم يكن يعرف ذلك من أول الأمر؟!

إن نسبة ذلك إلى الله وإلى رسوله خروج عن الدين، بلا ريب.. ولا نريد أن نقول أكثر من ذلك.

هـ: لا سنة عند عمر:

وأما ما زعمه البيهقي: من أن الله تعالى قد أكمل دينه، وأنه لا تحدث واقعة إلى يوم القيامة، إلا وفي كتاب الله تعالى وسنة رسوله بيانها نصاً أو

---

(١) الآية ٥٥ من سورة المائدة.

(٢) الآية ٦٧ سورة المائدة.

(٣) الآية ٣ من سورة المائدة.

دلالة.. فيكذبه قول عمر نفسه: «حسبنا كتاب الله»، حيث إنه استبعد بنفس هذه الكلمة سنة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأسقطها عن أي اعتبار.

و: لا يريد ’ كتابة الفقه:

إن قول عمر: «حسبنا كتاب الله» يدل على أنه قد عرف: أن ما يريد أن يقوله النبي «صلى الله عليه وآله» يهدف إلى الحفظ من الضلال في تعاليم شريعة أكملها الله تعالى.. ولا يريد أن يضيف حكماً جديداً إليها لكي يقال: إن الأحكام موجودة في الكتاب والسنة، أو في الكتاب فقط ويمكن استفادتها نصاً أو دلالة.. فإن الحافظ للشيء لا يجب أن يكون جزءاً منه، بل قد يكون خارجاً عنه حافظاً له..

ولم يكن النبي «صلى الله عليه وآله» بصدد كتابة السنة نفسها ولا شيئاً يوجب الإرهاق والمشقة على النبي «صلى الله عليه وآله»، لكي يقول هؤلاء: «وفي نص رسول الله «صلى الله عليه وآله» على جميع ذلك في مرض موته، مع شدة وعكه، مما يشق عليه، فرأى عمر بن الخطاب الإقتصار على ما سبق بيانه، نصاً، أو دلالة تخفيفاً على رسول الله».

فإن قولهم هذا يدل على أنهم يريدون الإيحاء لنا: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» أراد أن يكتب الفقه كله أو جله في ذلك الكتاب. وهو على تلك الحال من المرض الشديد..

مع أن الأمر ليس كذلك، بل هو يريد أن ينص على الحافظ للكتاب والسنة، والمانع من الضلال، ولعل ذلك لا يتجاوز الثلاث كلمات، فيكتب مثلاً: «علي إمامكم (أو وليكم) بعدي»..

وبذلك يظهر عدم صحة قولهم: إن عمر أراد حفظ فضيلة العلم، والإجتهاد في الإستنباط، وإلحاق الفروع بالأصول.

يضاف إلى ذلك: أن اجتهاد المجتهدين، الذين قد يخطئون، وقد يصيبون، ليس من غايات الشريعة المقدسة، ولا هو مما يهتم له النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله»، غاية النبي «صلى الله عليه وآله» وكل همه هو إيصال الأحكام الشرعية، وحقائق الدين بعيداً عن الإجمال والإبهام. وأن تكون في منتهى الوضوح، بلا حاجة إلى اجتهاد، ولا إلى مجتهدين.

وإنما احتاج الناس إلى هذا الأمر، حين تمردوا على الله ورسوله، ومنعوا الإمام الحافظ للدين، والمبين لأحكامه من أداء المهمات التي أوكلها الله إليه، بعد أن نكثوا بيعتهم له، ومنعوا النبي «صلى الله عليه وآله» من معاودة التأكيد عليهم في شأنه.. ثم إنهم أقصوه، ونابذوه وحاربوه، واضطهدوه، هو وكل من يتشيع له، أو يدين بإمامته التي جعلها الله ورسوله له..

ز: قرينة الترخيص عند المازري:

أما ما ادَّعاه المازري: من أن أمر النبي «صلى الله عليه وآله» للصحابة بإحضار الكتف قد قارنه ما نقله عن الوجوب إلى غيره.

فنقول فيه:

أولاً: لنفترض صحة ما ذكره المازري، لكن القرينة على عدم الوجوب، لا تنفي ثبوت رجحان تنفيذ مراد رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ثانياً: إن القرينة على عدم الوجوب لا تعني أن يُغْضِبُوا رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولا أن يتهموه بالهذيان، ولو على مستوى التعريض والإشارة.

ثالثاً: لو كانت هناك قرينة على الترخيص، لكان المفروض أن لا يحصل تنازع بين الحاضرين، فيقول فريق: قربوا للنبي ما طلب، ويقول فريق آخر: القول ما قال عمر، ولكان ينبغي أن يفهم الجميع هذه القرينة، أو أن يحتج بها عمر ومناصروه لإسكات الآخرين..

رابعاً: لو كانت هناك قرينة، فلا معنى لغضب النبي «صلى الله عليه وآله» منهم، حتى قال لهم: «أنتم لا أحلام لكم». ولا معنى لأن يقول لهم: «قوموا عني»، ولا أن يغضب منهم كما صرح به عدد من النصوص..

خامساً: إنه لا مجال للترديد في عزم النبي «صلى الله عليه وآله» بأنه إما أن يكون بالوحي أو بالإجتهاد، وكذلك تركه.. فإن النبي «صلى الله عليه وآله» **{مَا يَنْطِقُ عَنِ الهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى}**[1]..

ولو سلم فإن الله قد أمر بطاعته **{أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ}**[2] ولم يستثن من وجوب الطاعة ما إذا كان أمره عن اجتهاد.

ح: قد يكتب ’ ما يعجزون عنه:

وأما ما ادِّعاء النووي: من أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد يكتب ما يعجزون عنه، فيستحقون العقوبة فمنع عمر له من ذلك كان من قوة فقهه، ودقيق نظره.. فهو أوضح فساداً، وأقبح استناداً، وذلك لما يلي:

أولاً: إن هذا الكلام يدل على أن عمر بن الخطاب كان أصوب رأياً، وأصح نظراً للأمور من رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وأن عمر قد

---

(١) الآيتان ٣ و ٤ من سورة النجم.

(٢) الآية ٥٩ من سورة النساء.

أدرك بثاقب فكره، ودقيق نظره ما لم يدركه رسول الله «صلى الله عليه وآله».. فكيف جاز صرف النبوة عن صائب الرأي، قوي الفقه، دقيق النظر، إلى من يفقد هذه الصفات، أو يضعف عنه فيها؟!

ثانياً: هل يظن برسول الله الذي وصفه الله بأنه **{عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}**(1) بأنه يمكن أن يكتب أموراً يعجز المسلمون والمؤمنون عنها؟!

بل هل يظن بعاقل أن يكلف أحداً بما يعجز عنه؟!

وهل تقبل العقول بالتكليف بغير المقدور؟!

ثالثاً: لو سلمنا بأنه «صلى الله عليه وآله» قد كلفهم بما يعجزون عنه، فهل يجوز على الله أن يعاقبهم على أمر منعهم العجز عن القيام به؟! وهل العاجز يستحق العقاب؟!

ط: النبي ' يصوب عمر فيما قال:

والأكثر مرارة هنا قولهم: إن ترك النبي «صلى الله عليه وآله» الإنكار على عمر يتضمن الإشارة إلى تصويبه.. فهل يريد هؤلاء من النبي «صلى الله عليه وآله» أن يقابل الشتيمة بالشتيمة؟!

وماذا يمكن أن يقول النبي «صلى الله عليه وآله» لمن يقول له: إنك مجنون؟!

وقد قالت قريش عنه: إنه كاهن، وساحر، ومجنون، و.. و.. ولم يجبهم

---

(١) الآية ١٢٨ من سورة التوبة.

«صلى الله عليه وآله»، فهل كان سكوته عنهم تصويباً لهم؟! أو إشارة إلى ذلك؟!

ألم يقل النبي «صلى الله عليه وآله» لهم: أنتم لا أحلام لكم؟!

ألم يطردهم من محضره؟!

ألم يغضب من قولهم؟!

أليس هذا كله من تخطئة النبي «صلى الله عليه وآله» لهم؟!

محاولات البشري باءت بالفشل:

وبعد أن كتبت ما تقدم وجدت العلامة آية الله السيد عبد الحسين شرف الدين «رحمه الله» قد أورد نصاً عن الشيخ سليم البشري، شيخ الأزهر في زمانه، يحاول فيه أن يجد مخرجاً لما صدر من عمر بن الخطاب في حق رسول الله «صلى الله عليه وآله».. مستفيداً من تلك التمحلات نفسها، التي ذكرناها عنهم، وناقشناها فيما سبق، فلما وجد نفسه في مأزق لا يستطيع الخروج منه بادر إلى الإعتراف بالعجز تبرئة ساحة المتجرئين.

ثم إن السيد شرف الدين قد علق على هذه التمحلات بما لاح له من وجوه الضعف فيها.

فرأيت من المناسب نقل كلام هذين العلمين بعينه، وفقاً لما جاء في كتاب النص والإجتهاد، فأقول:

قال الشيخ البشري حسبما أورده عنه السيد شرف الدين في النص والإجتهاد ما يلي:

لعل النبي «عليه السلام» حين أمرهم بإحضار الدواة والبياض لم يكن

قاصداً لكتابة شيء من الأشياء، وإنما أراد بكلامه مجرد اختبارهم لا غير، فهدى الله عمر الفاروق لذلك دون غيره من الصحابة، فمنعهم من إحضارهما، فيجب ـ على هذا ـ عد تلك الممانعة في جملة موافقاته لربه تعالى، وتكون من كراماته رضي الله عنه.

قال «رحمه الله»: هكذا أجاب بعض الأعلام (ثم قال): لكن الإنصاف أن قوله «عليه السلام»: لا تضلوا بعده يأبى ذلك، لأنه جواب ثان للأمر، فمعناه: أنكم إن أتيتم بالدواة والبياض، وكتبت لكم ذلك الكتاب لا تضلوا بعده، ولا يخفى أن الإخبار بمثل هذا الخبر لمجرد الإختبار إنما هو من نوع الكذب الواضح، الذي يجب تنزيه كلام الأنبياء عنه، ولا سيما في موضع يكون ترك إحضار الدواة والبياض أولى من إحضارهما.

(قال): على أن في هذا الجواب نظراً من جهات أخر، فلا بد هنا من اعتذار آخر.

قال: وحاصل ما يمكن أن يقال: أن الأمر لم يكن أمر عزيمة وإيجاب، حتى لا تجوز مراجعته، ويصير المراجع عاصياً، بل كان أمر مشورة، وكانوا يراجعونه «عليه السلام» في بعض تلك الأوامر، ولا سيما عمر، فإنه كان يعلم من نفسه أنه موفق للصواب في إدراك المصالح، وكان صاحب إلهام من الله تعالى.

وقد أراد التخفيف عن النبي «صلى الله عليه وآله» إشفاقاً عليه من التعب الذي يلحقه بسبب إملاء الكتاب في حال المرض والوجع، وقد رأى رضي الله عنه أن ترك إحضار الدواة والبياض أولى.

وربما خشي أن يكتب النبي «عليه السلام» أموراً يعجز عنها الناس،

فيستحقون العقوبة بسبب ذلك، لأنها تكون منصوصة لا سبيل إلى الإجتهاد فيها. ولعله خاف من المنافقين أن يقدحوا في صحة ذلك الكتاب. لكونه في حال المرض، فيصير سبباً للفتنة، فقال: حسبنا كتاب الله لقوله تعالى: **{مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ}**(١). وقوله: **{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ}**(٢)، وكأنه رضي الله عنه أمن من ضلال الأمة، حيث أكمل الله لها الدين، وأتم عليها النعمة.

قال «رحمه الله»: هذا جوابهم وهو كما ترى، لأن قوله «عليه السلام»: لا تضلوا، يفيد: أن الأمر أمر عزيمة وإيجاب، لأن السعي فيما يوجب الأمن من الضلال واجب مع القدرة بلا ارتياب، واستياؤه «صلى الله عليه وآله» منهم.

وقوله لهم: قوموا حين لم يمتثلوا أمره، دليل آخر على أن الأمر إنما كان للإيجاب لا للمشورة.

قال: [فإن قلت:] لو كان واجباً ما تركه النبي «عليه السلام» بمجرد مخالفتهم، كما أنه لم يترك التبليغ بسبب مخالفة الكافرين.

فالجواب: أن هذا الكلام لو تم فإنما يفيد كون كتابة ذلك الكتاب لم تكن واجبة على النبي بعد معارضتهم له «عليه السلام»، وهذا لا ينافي وجوب الإتيان بالدواة والبياض عليهم حين أمرهم النبي به، وبين لهم أن فائدته الأمن من الضلال، إذ الأصل في الأمر إنما هو الوجوب على المأمور

---

(١) الآية ٣٨ من سورة الأنعام.

(٢) الآية ٣ من سورة المائدة.

لا على الأمر، ولا سيما إذا كانت فائدته عائدة إلى المأمور خاصة، والوجوب عليهم هو محل الكلام، لا الوجوب عليه.

قال: على أنه يمكن أن يكون واجباً عليه أيضاً، ثم سقط الوجوب عنه بعدم امتثالهم، وبقولهم: «هجر»، حيث لم يبق لذلك الكتاب أثر سوى الفتنة كما قلت حرسك الله.

قال «رحمه الله»: وربما اعتذر بعضهم: بأن عمر رضي الله عنه ومن قالوا يومئذ بقوله لم يفهموا من الحديث أن ذلك الكتاب سيكون سبباً لحفظ كل فرد من أفراد الأمة من الضلال على سبيل الإستقصاء، بحيث لا يضل بعده منهم أحد أصلاً، وإنما فهموا من قوله: لا تضلوا، أنكم لا تجتمعون على الضلال بقضكم وقضيضكم، ولا تتسرى الضلالة بعد كتابة الكتاب إلى كل فرد من أفرادكم.

وكانوا رضي الله عنهم يعلمون أن اجتماعهم بأسرهم على الضلال مما لا يكون أبداً وبسبب ذلك لم يجدوا أثراً لكتابته، وظنوا أن مراد النبي ليس إلا زيادة الإحتياط في الأمر لما جبل عليه من وفور الرحمة، فعارضوه تلك المعارضة، بناء منهم أن الأمر ليس للإيجاب، وأنه إنما هو أمر عطف ومرحمة ليس إلا، فأرادوا التخفيف عن النبي بتركه. إشفاقاً منهم عليه «صلى الله عليه وآله».

قال: هذا كل ما قيل في الإعتذار عن هذه البادرة، لكن من أمعن النظر فيه جزم ببعده عن الصواب، لأن قوله «عليه السلام»: لا تضلوا، يفيد: أن الأمر للإيجاب كما ذكرنا، واستياؤه منهم دليل على أنهم تركوا أمراً من الواجبات عليهم، وأمره إياهم بالقيام مع سعة ذرعه وعظيم تحمله، دليل

على أنهم إنما تركوا من الواجبات ما هو أوجبها وأشدها نفعاً، كما هو معلوم من خلقه العظيم.

قال: فالأولى أن يقال في الجواب: هذه قضية في واقعة كانت منهم على خلاف سيرتهم كفرطة سبقت، وفلتة ندرت، لا نعرف وجه الصحة فيها على سبيل التفصيل، والله الهادي إلى سواء السبيل.

ثم عقب آية الله السيد شرف الدين «رحمه الله» عليه بما يلي:

«**قالوا في الجواب الأول:** لعله «صلى الله عليه وآله» حين أمرهم بإحضار الدواة لم يكن قاصداً لكتابة شيء من الأشياء، وإنما أراد مجرد اختبارهم لا غير.

فنقول ـ مضافا إلى ما أفدتم ـ: إن هذه الواقعة إنما كانت حال احتضاره ـ بأبي وأمي ـ كما هو صريح الحديث، فالوقت لم يكن وقت اختبار، وإنما كان وقت إعذار وإنذار، ونصح تام للأمة، والمحتضر بعيد عن الهزل والمفاكهة، مشغول بنفسه ومهماته ومهمات ذويه، ولا سيما إذا كان نبياً.

وإذا كانت صحته مدة حياته كلها لم تسع اختبارهم، فكيف يسعها وقت احتضاره؟

على أن قوله «صلى الله عليه وآله» ـ حين أكثروا اللغو واللغط والاختلاف عنده ـ: «قوموا» ظاهر في استيائه منهم، ولو كان الممانعون مصيبين لاستحسن ممانعتهم، وأظهر الإرتياح إليها.

ومن ألمّ بأطراف هذا الحديث، ولا سيما قولهم: «هجر رسول الله» يقطع بأنهم كانوا عالمين أنه إنما يريد أمراً يكرهونه، ولذا فاجؤوه بتلك الكلمة، وأكثروا عنده اللغو واللغط، والإختلاف، كما لا يخفى.

وبكاء ابن عباس بعد ذلك لهذه الحادثة وعدّها رزية، دليل على بطلان هذا الجواب.

قال المعتذرون: إن عمر كان موفقاً للصواب في إدراك المصالح، وكان صاحب إلهام من الله تعالى. وهذا مما لا يصغى إليه في مقامنا هذا، لأنه يرمي إلى أن الصواب في هذه الواقعة إنما كان في جانبه، لا في جانب النبي، وأن إلهامه يومئذٍ كان أصدق من الوحي الذي نطق عنه الصادق الأمين «صلى الله عليه وآله».

وقالوا: بأنه أراد التخفيف عنه «صلى الله عليه وآله» إشفاقاً عليه من التعب الذي يلحقه بسبب إملاء الكتاب في حال المرض، وأنت تعلم: أن في كتابة ذلك الكتاب راحة قلب النبي، وبرد فؤاده، وقرة عينه، وأمنه على أمته «صلى الله عليه وآله» من الضلال.

على أن الأمر المطاع، والإرادة المقدسة مع وجوده الشريف إنما هما له، وقد أراد ـ بأبي وأمي ـ إحضار الدواة والبياض، وأمر به، فليس لأحد أن يرد أمره، أو يخالف إرادته **{وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالاً مُبِيناً}**(1).

على أن مخالفتهم لأمره في تلك المهمة العظيمة، ولغوهم ولغطهم واختلافهم عنده كان أثقل عليه وأشق من إملاء ذلك الكتاب الذي يحفظ أمته من الضلال، وإذا كان خائفاً من المنافقين أن يقدحوا في صحة ذلك

____

(١) الآية ٣ من سورة المائدة.

الكتاب، فلماذا بذر لهم بذرة القدح، حيث عارض ومانع وقال: «هجر»؟!

وأما قولهم في تفسير قوله: «حسبنا كتاب الله»: إنه تعالى قال: **{مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ}**[1]، وقال عز من قائل: **{الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ}**[2] فغير صحيح، لأن الآيتين لا تفيدان الأمن من الضلال، ولا تضمنان الهداية للناس، فكيف يجوز ترك السعي في ذلك الكتاب اعتماداً عليهما؟ ولو كان وجود القرآن العزيز موجباً للأمن من الضلال، لما وقع في هذه الأمة من الضلال والتفرق ما لا يرجى زواله[3].

وقالوا في الجواب الأخير:

إن عمر لم يفهم من الحديث أن ذلك الكتاب سيكون سبباً لحفظ كل

---

(١) الآية ٣٨ من سورة الأنعام.

(٢) الآية ٣ من سورة المائدة.

(٣) وأنت تعلم أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يقل: أن مرادي أن أكتب الأحكام، حتى يقال في جوابه: حسبنا في فهمها كتاب الله تعالى.

ولو فرض أن مراده كان كتابة الأحكام، فلعل النص عليها منه كان سبباً للأمن من الضلال، فلا وجه لترك السعي في ذلك النص اكتفاء بالقرآن.

بل لو لم يكن لذلك الكتاب إلا الأمن من الضلال بمجرده، لما صح تركه والإعراض عنه، اعتماداً على أن كتاب الله جامع لكل شيء.

وأنت تعلم اضطرار الأمة إلى السنة المقدسة وعدم استغنائها عنها بكتاب الله، وإن كان جامعاً مانعاً، لأن الإستنباط منه غير مقدور لكل أحد، ولو كان الكتاب مغنياً عن بيان الرسول «صلى الله عليه وآله» لما أمر الله تعالى ببيانه للناس، إذ قال عز من قائل: ﴿**وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ**﴾ (منه قدس).

فرد من أمته من الضلال، وإنما فهم أنه سيكون سبباً لعدم اجتماعهم ـ بعد كتابته ـ على الضلال.

(قالوا): وقد علم رضي الله عنه أن اجتماعهم على الضلال مما لا يكون أبداً، كتب ذلك الكتاب أو لم يكتب، ولهذا عارض يومئذٍ تلك المعارضة.

وفيه مضافاً إلى ما أشرتم إليه: أن عمر لم يكن بهذا المقدار من البعد عن الفهم، وما كان ليخفى عليه من هذا الحديث ما ظهر لجميع الناس، لأن القروي والبدوي إنما فهما منه أن ذلك الكتاب لو كتب، لكان علة تامة في حفظ كل فرد من الضلال، وهذا المعنى هو المتبادر من الحديث إلى أفهام الناس.

وعمر كان يعلم أن الرسول «صلى الله عليه وآله» لم يكن خائفاً على أمته أن تجتمع على الضلال، إذ كان يسمع قوله «صلى الله عليه وآله»: لا تجتمع أمتي على الضلال، ولا تجتمع على الخطأ، وقوله: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق.

وقوله تعالى: **{وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً}**(١) إلى كثير من نصوص الكتاب والسنة الصريحة بأن الأمة لا تجتمع بأسرها على الضلال، فلا يعقل مع هذا أن يسنح في خاطر عمر أو غيره أن النبي «صلى الله عليه وآله» حين طلب الدواة والبياض كان خائفاً من

---

(١) الآية ٥٥ من سورة النور.

اجتماع أمته على الضلال.

والذي يليق بعمر: أن يفهم من الحديث ما يتبادر منه الأذهان، لا ما تنفيه صحاح السنة، ومحكمات القرآن.

على أن استياء النبي «صلى الله عليه وآله» منهم المستفاد من قوله: «قوموا» دليل على أن الذي تركوه كان من الواجب عليهم.

ولو كانت معارضة عمر عن اشتباه منه في فهم الحديث كما زعموا، لأزال النبي «صلى الله عليه وآله» شبهته. وأبان لهم مراده منه.

بل لو كان في وسع النبي أن يقنعهم بما أمرهم به لما آثر إخراجهم عنه.

وبكاء ابن عباس وجزعه من أكبر الأدلة على ما نقول.

والإنصاف: أن هذه الرزية لمما يضيق عنها نطاق العذر، ولو كانت ـ كما ذكرتم ـ قضية في واقعة، كفلتة سبقت، وفرطة ندرت، لهان الأمر، وإن كانت بمجردها بائقة الدهر، وفاقرة الظهر.

والحق أن المعارضين إنما كانوا ممن يرون جواز الإجتهاد في مقابل النص، فهم في هذه المعارضة وأمثالها إذاً مجتهدون، فلهم رأيهم، ولله تعالى رأيه؟»[1].

---

(١) النص والإجتهاد للسيد شرف الدين ص ١٥٦ ـ ١٦٣.

الفصل الخامس:

عزل أبي بكر عن الصلاة

صلاة أبي بكر في الروايات:

هناك روايات عديدة، متناقضة جداً تتحدث عن صلاة أبي بكر بالناس، ونحن نورد هنا عمدتها مما روي في كتب الصحاح وغيرها.. ونذكر منها ما يلي:

عن أنس: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يخرج ثلاثاً وأبو بكر يصلي بالناس، وأن الناس بينما هم في صلاة الفجر من يوم الإثنين وأبو بكر يصلي لهم، لم يفجأهم إلا رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد كشف ستر حجرة عائشة، فنظر إليهم وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف، فما رأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» أحسن هيئة منه في تلك الساعة، وكانت آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهم صفوف في الصلاة، ثم تبسم يضحك.

فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف، فظن أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يريد أن يخرج إلى الصلاة.

قال أنس: وهمّ المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم فرحاً برسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأشار إليهم أن أتموا صلاتكم، فقال:

«أيها الناس، إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة، يراها

المسلم أو ترى له، ألا وإني نهيت أن أقرأ راكعاً أو ساجداً، فأما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء، فَقَمِنٌ أن يستجاب لكم».

ثم دخل الحجرة، وأرخى الستر، فتوفي من يومه ذلك(١).

وفي نص آخر عنه: وتوفي من آخر ذلك اليوم(٢).

ونقول:

قد ذكرنا هذه الرواية في فاتحة الكلام عن صلاة أبي بكر، لأنها تضمنت صورة مخففة عن موضوع الصلاة، وأشارت إلى أمور عديدة كلها موضع

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٣٠٥ عن البخاري، ومسلم، والبيهقي، والبلاذري، وابن حجر، وابن سعد. وراجع: المحلى لابن حزم ج٤ ص٢٣٩ والبحار ج٢٨ ص١٤٤وصحيح البخاري ج٢ ص٦٠ وصحيح البخاري ج٥ ص١٤١ وفتح الباري ج٨ ص١٠٩ وعمدة القاري ج٧ ص٢٨٠ وج١٨ ص٦٩ وصحيح ابن خزيمة ج٣ ص٧٥ وصحيح ابن حبان ج١٤ ص٥٨٧ و ٥٨٨ والتمهيد لابن عبد البر ج٢٤ ص٣٩٤ وشرح مسند أبي حنيفة ص٥٨ والثقات لابن حبان ج٢ ص١٣٠.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٢٤٦ و ٣٠٥ عن البخاري، ومسلم، والبيهقي، والبلاذري، وابن حجر، وابن سعد. وراجع: صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج١ ص١٨٣ وسنن النسائي ج٤ ص٧ والبحار ج٢٨ ص١٤٤ وفتح الباري ج٨ ص١١٠ وعمدة القاري ج٦ ص٣ والسنن الكبرى ج١ ص٦٠٢ وج٤ ص٢٦١ وكتاب الوفاة للنسائي ص٥٦ ومسند أبي يعلى ج٦ ص٢٨٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٢١٦ وسير أعلام النبلاء ج١٠ ص٦٢٠ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٧٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٥٠٦.

شك وريب، مثل: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان صباح يوم الإثنين في حجرة عائشة.

كما أنها لم تشر إلى عزل النبي «صلى الله عليه وآله» لأبي بكر عن هذه الصلاة بالذات، كما سيأتي في الروايات الصحيحة إن شاء الله تعالى.

وتضمنت أيضاً: أن النبي «صلى الله عليه وآله» نظر إلى المصلين وهو قائم، مع أنه سيأتي أن رجلين قد حملاه إلى المصلى، ورجلاه تخطان في الأرض.

كما أن هذه الرواية لم تذكر إن كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو الذي أمر أبا بكر بالصلاة، أم أن الذي أمره بها شخص آخر، ولكنها تدل على رضا رسول الله «صلى الله عليه وآله» بصلاة أبي بكر.. وأن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يشارك في الصلاة، وأن هذا الذي جرى قد كان يوم الإثنين، وهو يوم وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

وزعمت: أن أبا بكر قد صلى بالناس ثلاثة أيام.

وقد يستشعر من هذه الرواية أيضاً أن ابا بكر قد صلى ثلاثة أيام من دون علم رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ولكن سيأتي أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد عزل أبا بكر عن هذه الصلاة بالذات، فإن كان أبو بكر قد صلى بالناس ثلاثة أيام، فلعله لعدم علم النبي «صلى الله عليه وآله» بالأمر.

وسيأتي المزيد من المناقشات لمضامين هذه الرواية وأمثالها، فانتظر..

نصوص نذكرها ثم نناقشها:

١ ـ عن عائشة: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أمر أبا بكر أن يصلي بالناس قائماً، والناس خلفه[1].

٢ ـ وعن ابن عباس قال: ابعثوا إلى علي، فادعوه.

فقالت عائشة: لو بعثت إلى أبى بكر.

وقالت حفصة: لو بعثت إلى عمر.

فاجتمعوا عنده جميعاً، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: انصرفوا فإن تك لي حاجة أبعث إليكم، فانصرفوا.

وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: آن الصلاة؟!

قيل: نعم.

قال: فأمروا أبا بكر ليصلي بالناس.

فقالت عائشة: إنه رجل رقيق فمر عمر.

فقال: مروا عمر.

فقال عمر: ما كنت لأتقدم وأبو بكر شاهد.

فتقدم أبو بكر، ووجد رسول الله «صلى الله عليه وآله» خفة، فخرج

---

(١) مسند أحمد ج٦ ص٢٤٩ وآفة أصحاب الحديث ص٨٥. والرسالة الشافعي ص٢٥٣ وفتح العزيز للرافعي ج٤ ص٣٢٠ والإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع للشربيني ج١ ص١٥٣ وكشاف القناع للبهوتي ج١ ص٥٨٠ وكنز العمال ج١٥ ص٧٤٧ وشرح مسلم للنووي ج٤ ص١٣٣ وعون المعبود ج٢ ص٢١٩ والإستذكار لابن عبد البر ج٢ ص١٧٣ والتمهيد لابن عبد البر ج٦ ص١٤٠ ونصب الراية للزيلعي ج٢ ص٥٨ والجامع لأحكام القرآن ج٣ ص٢١٨.

فلما سمع أبو بكر حركته تأخر الخ..[1].

٣ ـ عن إبراهيم بن الأسود عن عائشة قالت: لما ثقل رسول الله «صلى الله عليه وآله» جاء بلال يؤذنه بالصلاة، فقال: مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس.

قالت: فقلت: يا رسول الله، إن أبا بكر رجل أسيف، وإنه متى يقوم مقامك لا يسمع الناس (من البكاء)، فلو أمرت عمر.

فقال: مروا أبا بكر فليصل بالناس.

قالت: فقلت لحفصة: قولي له.

فقالت له حفصة: يا رسول الله، إن أبا بكر رجل أسيف، وإنه متى يقوم مقامك لا يسمع الناس (من البكاء) فلو أمرت عمر.

فقال: إنكن لأنتن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس.

قالت: فأمروا أبا بكر يصلي بالناس، فلما دخل في الصلاة وجد رسول الله «صلى الله عليه وآله» من نفسه خفة، فقام يهادي بين رجلين، ورجلاه تخطان في الأرض حتى دخل المسجد.

فلما سمع أبو بكر حسه ذهب ليتأخر، فأومأ إليه رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن قم كما أنت.

فجاء رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى جلس عن يسار أبى بكر، وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يصلي بالناس قاعداً، وأبو بكر قائماً،

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٤٣٩ وشرح النهج للمعتزلي ج١٣ ص٣٣ و ٣٥ ومناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص٣٩٧ وسفينة النجاة للسرابي التنكابني ص١٤٩.

يقتدي أبو بكر بصلاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والناس يقتدون بصلاة أبى بكر.. وقريب منه عن عائشة[1].

زاد في نص آخر مروي عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة، عن عائشة قوله: فدخلت على ابن عباس، فعرضت حديثها عليه، فما أنكر منه شيئاً، غير أنه قال: أسمَّت لك الرجل الذي كان مع العباس؟!

قال: لا.

قال: هو علي بن أبي طالب[2].

---

(١) مسند أحمد ج٦ ص٢٢٤ وعن صحيح البخاري ج١ ص١٨٢ و ١٨٣ و (ط دار الفكر) ج١ ص١٦٢ و ١٧٥ وصحيح مسلم ج٢ ص٢٣ كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر، وآفة أصحاب الحديث ص٥٧ و ٥٨ و ٥٩ وسبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٢٤٤ و ٢٤٥ والمجموع للنووي ج٤ ص٢٤١ والمبسوط للسرخسي ج١ ص٢١٤ وبدائع الصنائع ج١ ص١٤٢ والبحار ج٢٨ ص١٣٧ عن جامع الأصول، وص١٣٨ عن البخاري، ومسند أحمد ج٦ ص٢١٠ و ٢٢٤ وسنن ابن ماجة ج١ ص٣٨٩ وسنن النسائي ج٢ ص١٠٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج٢ ص٣٠٤ وج٣ ص٨١ و ٩٤ وعمدة القاري ج٥ ص١٨٦ و ٢٤٨ و ٢٥٠ ومسند ابن راهويه ج٣ ص٨٣١ والسنن الكبرى للنسائي ج١ ص٢٩٣ وصحيح ابن خزيمة ج٣ ص٥٣ وشرح معاني الآثار ج١ ص٤٠٦ وصحيح ابن حبان ج٥ ص٤٨٥ و ٤٨٩ و ٤٩٥ وج١٥ ص٢٩٢ وكنز العمال ج٥ ص٦٣٤.

(٢) آفة أصحاب الحديث ص٥٨ و ٥٩ و ٨٥ والبخاري ج١ ص١٧٥ و (ط دار الفكر) ج١ ص١٦٩ وصحيح مسلم ج٢ ص٢١ وسنن النسائي ج٢ ص١٠٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص٨١ وج٨ ص١٥١ ومعرفة السنن والآثار =

٤ ـ وفي لفظ عن عائشة: علمت أنه لن يقوم مقامه أحد إلا تشاءم الناس به، فأحببت أن يعدل ذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن أبي بكر إلى غيره، فأرسل رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى أبي بكر بأن يصلي بالناس.

وكان أبو بكر رجلاً رقيقاً، إذا قرأ القرآن لا يملك دمعه من البكاء.

فقال: يا عمر صلِّ بالناس.

قال: أنت أحق بذلك.

فصلى بهم تلك الأيام.

ثم إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» وجد خفة، فخرج يهادي بين رجلين، أحدهما العباس لصلاة الظهر، كأني أنظر إلى رجليه يخطان الأرض من الوجع.

فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر، فأومأ إليه أن لا يتأخر، وأمرهما فأجلساه إلى جنب أبي بكر عن يساره، فأخذ النبي «صلى الله عليه وآله» من حيث الآية التي انتهى أبو بكر إليها فقرأ، فجعل أبو بكر يصلي قائماً ورسول الله «صلى الله عليه وآله» يصلي قاعداً[1].

= ج٢ ص٣٥٩ ونصب الراية للزيلعي ج٢ ص٥٢ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٤٥٥ ومسند ابن راهويه ج٢ ص٥٠٥ والبحار ج٢٨ ص١٤٢ عن جامع الأصول ج١١ ص٣٨٢ ـ ٣٨٣ وسنن الدارمي ج١ ص٢٨٨ وسفينة النجاة للسرابي التنكابني ص١٤٨ و ١٤٩.

(١) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٢٤٥ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٥٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤٦٢ ونيل الأوطار ج١ ص٣٠٦ والطرائف في =

وفي رواية: فكان أبو بكر يصلي بصلاة رسول الله، والناس يصلون بصلاة أبي بكر[1].

= معرفة مذاهب الطوائف للسيد ابن طاووس ص٢٢٨ والبحار ج٢٨ ص١٤١ ومسند أحمد ج٢ ص٥٢ وج٦ ص٢٥١ وسنن الدارمي ج١ ص٢٨٧ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج١ ص١٦٨ وصحيح مسلم ج٢ ص٢١ وسنن النسائي ج٢ ص١٠١ والسنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص٨٠ وج٨ ص١٥١ وعمدة القاري ج٥ ص٢١٥ والمصنف لابن أبي شيبة ج٢ ص٢٢٩ وج٨ ص٥٦٩ ومسند ابن راهويه ج٢ ص٥٠٤ والسنن الكبرى للنسائي ج١ ص٢٩٣ وج٤ ص٢٥٥ وكتاب الوفاة للنسائي ص٢٩ وصحيح ابن حبان ج٥ ص٤٨١ ومعرفة السنن والآثار ج٢ ص٣٥٨ ونصب الراية ج٢ ص٥٢ وكنز العمال ج٧ ص٢٦٧ وشرح مسند أبي حنيفة ص١٠١ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٢١٨ والثقات لابن حبان ج٢ ص١٣٢ والبداية والنهاية لابن كثير ج٥ ص٢٥٤ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٤٥٤ و ٤٦٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤٦٢.

(١) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٢٤٥ والمجموع للنووي ج٤ ص٢٦٦ والشرح الكبير لابن قدامة ج٢ ص٤٦ وبدائع الصنائع لأبي بكر الكاشاني ج١ ص١٤٢ والمغني لابن قدامة ج٢ ص٤٨ ونيل الأوطار ج١ ص٣٠٦ وج٣ ص١٨٤ والإفصاح للشيخ المفيد ص٢٠٥ و الطرائف لابن طاووس ص٢٢٨ والبحار ج٢٨ ص١٣٦ و ١٣٧ و ١٤١ و ١٦٥ و ٣٦٢ و مسند أحمد ج٦ ص٢٥١ وسنن الدارمي ج١ ص٢٨٨ وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج١ ص١٦٢و ١٦٧ وصحيح مسلم ج٢ ص٢١ و ٢٤ وسنن ابن ماجة ج١ ص٣٩٠ وسنن النسائي ج٢ ص١٠٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص٨٠ و ٨٢ وفتح الباري ج٢ ص١٣٠ و ١٧١ وعمدة القاري ج٥ ص١٨٧ و ٢٠٧ وتحفة الأحوذي =

٥ ـ وعن عبيد بن عمير: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لما فرغ من الصلاة يوم صلى قاعداً عن يمين أبي بكر قال: وأقبل عليهم فكلمهم رافعاً صوته حتى خرج صوته من باب المسجد: يا أيها الناس سعرت النار الخ..

إلى أن قال: قال أبو بكر: يا رسول الله، إني أراك قد أصبحت بنعمة من الله وفضل كما تحب، واليوم يوم بنت خارجة فآتها؟!

قال: نعم.

ثم دخل رسول الله «صلى الله عليه وآله» وخرج أبو بكر إلى أهله بالسنح(١).

= ج٢ ص٢٩٦ والمصنف لابن أبي شيبة ج٢ ص٢٢٩ وج٨ ص٥٦٩ و مسند ابن راهويه ج٢ ص١١٠ و ٥٠٤ و السنن الكبرى للنسائي ج١ ص٢٩٣ ومسند أبي يعلى ج٣ ص٤٣٨ وصحيح ابن حبان ج٥ ص٤٨١ والتمهيد لابن عبد البر ج٦ ص١٤٥ وج٢٢ ص٣١٧ و ٣٢١ والمواقف للإيجي ج٣ ص٦١٠ وصحيح ابن حبان ج٥ ص٤٨٦ وج١٤ ص٥٦٧ و ٥٦٨ ونصب الراية ج٢ ص٥٢ و ٥٣ و ٥٦ وموارد الظمآن ج٢ ص٦١ وكنز العمال ج٧ ص٢٦٨ وشرح مسند أبي حنيفة ص١٠١ والعلل ج٣ ص٣١١ والثقات ج٢ ص١٣٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٢١٨ ومعرفة السنن والآثار ج٢ ص٣٥٩ والإستذكار لابن عبد البر ج٢ ص١٧٣ وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج٣ ص٤٤٣ وج٩ ص١٨٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٠ ص١٦٦ والكامل في التاريخ ج٢ ص٣٢٢ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٥٣ و ٢٥٤ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٤٦٣ والإستغاثة لأبي القاسم الكوفي ج٢ ص١٥ وج٤ ص٤٦٠ و ٤٦٣ و السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٤٦٥.

(١) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٢٤٥ عن ابن إسحاق، وابن سعد، والبلاذري، =

٦ ـ وعن عائشة قالت: صلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» خلف أبي بكر قاعداً في مرضه الذي مات فيه[1].

٧ ـ ونص آخر عن ابن عباس:

لما مرض رسول الله «صلى الله عليه وآله» مرضه الذي مات فيه كان في بيت عائشة، فقال: ادعوا لي علياً.

قالت عائشة: ندعو لك أبا بكر.

قال: ادعوه.

قالت حفصة: يا رسول الله، ندعو لك عمر.

قال: ادعوه.

= وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٤٤٠ والسيرة الحلبية ج٣ ص٤٦٧ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٢ ق٢ ص٦٢ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص١٠٦٨ وراجع: إمتاع الأسماع ج١٤ ص٤٧٥.

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص١٩٤ وج١٢ ص٢٤٥ عن أحمد، والنسائي، والبيهقي، والترمذي وصححه، والمغني لابن قدامة ج٢ ص٤٩ وتنوير الحوالك ص٥٩ والشرح الكبير لابن قدامة ج٢ ص٤٩ ونيل الأوطار ج٣ ص٢٠٧ والبحار ج٢٨ ص١٤٢ وحاشية السندي على النسائي ج٢ ص١٠٠ وعمدة القاري ج٥ ص١٨٧ ومسند أحمد ج٣ ص٢٤٣ وج٦ ص١٥٩ وسنن الترمذي ج١ ص٢٢٦ وتحفة الأحوذي ج٢ ص٢٩٦ ونصب الراية ج٢ ص٥٦ والإحكام لابن حزم ج٤ ص٤٨٤ وتاريخ بغداد ج٢ ص٣٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤٦٤ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٥٤ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٤٦٥.

قالت أم الفضل: يا رسول الله، ندعو لك العباس.

قال: ادعوه.

فلما اجتمعوا رفع رأسه فلم ير علياً، فسكت.

فقال عمر: قوموا عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»[١].

فجاء بلال يؤذنه بالصلاة، فقال: مروا أبا بكر يصلي بالناس.

فقالت عائشة: إن أبا بكر رجل حصر، ومتى ما لا يراك الناس يبكون، فلو أمرت عمر يصلي بالناس.

فخرج أبو بكر فصلى بالناس. ووجد النبي «صلى الله عليه وآله» من نفسه خفة، فخرج يهادي بين رجلين ورجلاه تخطان في الأرض، فلما رآه الناس سبحوا أبا بكر، فذهب يتأخر، فأومأ إليه. أي مكانك.

فجاء النبي «صلى الله عليه وآله» حتى جلس.

قال: وقام أبو بكر عن يمينه. وكان أبو بكر يأتم بالنبي «صلى الله عليه وآله»، وكان الناس يأتمون بأبي بكر[٢].

قال ابن عباس: وأخذ النبي «صلى الله عليه وآله» من القراءة من حيث بلغ أبو بكر[٣].

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب ج١ ص٢٠٣ والبحار ج٢٢ ص٥٢١ عنه.

(٢) مسند أحمد ج١ ص٣٥٦ وآفة أصحاب الحديث ص٦٠ ولكنه اختصره، وسنن ابن ماجة ج١ ص٣٩١ وتاريخ مدينة دمشق ج٨ ص١٨ وراجع: شرح معاني الآثار ج١ ص٤٠٥.

(٣) مسند أحمد ج١ ص٣٥٥ و ٣٥٦ وفتح الباري ج٢ ص١٤٥ والمصنف لابن أبي شيبة ج٢ ص٩٩ ونيل الأوطار ج٢ ص٢٣٢ وسنن ابن ماجة ج١ ص٣٩١ =

ونقول:

إن لنا مع النصوص المتقدمة، وقفات عديدة، سنكتفي منها بالأمور التالية:

في بيت عائشة:

ذكرت الرواية، المتقدمة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» مرض في بيت عائشة. ونحن لا نمانع في أن يكون مرضه قد ابتدأ في حجرة عائشة، ولكن لا ريب في أنه «صلى الله عليه وآله» قد انتقل منها إلى بيت فاطمة «عليها السلام»، ووافته المنية هناك وفيه دفن، لا في بيت عائشة، وستأتي الأدلة على أن هذا هو الصحيح، وأنه لا صحة لما يزعمونه: من أنه «صلى الله عليه وآله» قد مات ودفن في بيت عائشة..

أبو بكر أسيف لا يسمع الناس:

ثم إننا لا ندري متى كان من شرط الجماعة أن يسمع الإمام الناس.. ولذلك لم نستطع أن نفهم مراد عائشة من اعتراضها على رسول الله «صلى الله عليه وآله»: بأن أبا بكر رجل أسيف، لا يسمع الناس..

إمامان لجماعة واحدة:

لقد اختلفت كلمة فقهاء العامة حول إمامة القائم بالقاعد والصحيح بالمريض اختلافاً كبيراً، وتفاوتت النقول عن كل فريق منهم بين مؤيد

= وعمدة القاري ج٤ ص١٠٧ ونصب الراية ج٢ ص٥٩ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص١٨٣.

ومفند، ولا نريد الدخول في تفاصيل ذلك، بل نكتفي ببعض منه، فقد قال ابن الجوزي كما أحمد بن حنبل، وكذلك الأحناف والمالكية: إن النبي «صلى الله عليه وآله» كان إماماً لأبي بكر، وأبو بكر كان الإمام للمسلمين، ولعله لأجل ذلك جلس النبي «صلى الله عليه وآله» على يسار أبي بكر. فحصلت الصلاة بإمامين كما جاء في رواية ابن عباس.

أما الشافعي والشافعية، فقالوا: كان الإمام واحداً، وهو رسول الله «صلى الله عليه وآله» دون سواه، أما أبو بكر فكان مأموماً، ولم يكن إماماً لأحد[1].

قال ابن عبد البر: «وهذه المسألة فيها للعلماء أقوال.

أحدها: قول أحمد بن حنبل ومن تابعه، تجوز صلاة الصحيح جالساً خلف الإمام المريض جالساً، لقوله «عليه السلام»: وإذا صلى جالساً، فصلوا جلوساً.

والثاني: قول الشافعي، وأبي حنيفة، وأبي يوسف، وزفر، والأوزاعي، وأبي ثور وداود: جائز أن يقتدي القائم بالقاعد في الفريضة وغيرها، لأن على كل واحد أن يصلي كما يقدر عليه، ولا يسقط فرض القيام عن المأموم الصحيح لعجز إمامه عنه.

وقد روى الوليد بن مسلم عن مالك مثل ذلك.

والثالث: قول مالك في المشهور عنه وعن أصحابه: أنه ليس لأحد أن يؤم جالساً وهو مريض بقوم أصحاء قيام ولا قعود، وهو مذهب محمد بن

---

(١) آفة اصحاب الحديث ص٦٢ ـ ٦٤.

الحسن، صاحب أبي حنيفة، فإن صلوا قياماً خلف إمام مريض جالس فعليهم عند مالك الإعادة.

قيل عنه: في الوقت.

وقيل: أبداً.

قال سحنون: اختلف قول مالك في ذلك، ومن أصحاب مالك من قال: يعيد الإمام المريض معهم، وأكثرهم على أنهم يعيدون دونه.

وقال مالك والحسن بن حي، والثوري، ومحمد بن الحسن في قائم اقتدى بجالس، أو جماعة صلوا قياماً خلف إمام جالس مريض إنها تجزيه ولا تجزيهم»[1].

ولو صح ما يذكرونه عن صلاة أبي بكر والنبي «صلى الله عليه وآله» لما اختلفت أقوالهم في هذه المسألة.

فإن قيل: للنبي «صلى الله عليه وآله» خصوصية في هذا الأمر.

فالجواب: أنه قد كان يجب بيان هذه الخصوصية من قبل النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه حتى لا يقع الناس في الوهم والإختلاف في مسألة فقهية يبتلى بها الناس بعده.

أيهما الإمام؟!:

وقد ذكرت بعض روايات صلاة أبي بكر بالناس: أن أبا بكر قد صلى بصلاة رسول الله «صلى الله عليه وآله» وصلى الناس بصلاة أبي بكر..

---

(١) الإستذكار لابن عبد البر ج٢ ص١٧٦.

وحيث إنه لم يظهر لنا وجه مقنع لهذا التصوير. فإننا نذكر القارئ الكريم بما يلي:

ألف: إن هذا مجرد اجتهاد من الراوي لم يرد عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» ما يؤيده، ولا بيّن وجهه لنا أحد من علماء الصحابة. ولا أقره أحد من أهل بيت النبوة «صلوات الله وسلامه عليهم» الذين هم أحد الثقلين اللذيْنِ لا يضل من تمسك بهما، ولا حجية للإجتهاد في مثل هذه الأمور، التي هي من موارد التعبد بالنص، والإنتهاء إليه.

ب: إن كان أبو بكر هو الإمام، وكان النبي «صلى الله عليه وآله» مأموماً، فمعنى ذلك أن أبا بكر لم يصلِّ بصلاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، بل كان الأمر على عكس ذلك.. وهذا يتناقض مع الروايات التي صرحت بذلك..

وإن كان الإمام هو النبي «صلى الله عليه وآله»، فمعنى ذلك أن الناس لم يكونوا قد صلوا بصلاة أبي بكر، بل صلوا بصلاة النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه.

وحاول بعضهم أن يدّعي أن الناس قد اقتدوا بأبي بكر، بمعنى أنهم تحركوا بحركته، لأنهم كانوا لا يرون حركة رسول الله «صلى الله عليه وآله» في ركوعه وسجوده، وسائر أفعاله، لأنه كان يصلي جالساً بسبب مرضه.

وهي دعوى غير مقبولة، فإن المفروض هو أن المشاركين في الجماعة كانوا قلة قليلة جداً، لأن معظم الناس القادرين على حمل السلاح كانوا في جيش أسامة، ومن الواضح: أن الصف الأمامي، وبعض من في الصف الذي بعده كان يرى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويتحرك بحركته،

فلماذا خص الرواة أبا بكر بكونه وحده كان يرى حركة رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! وجعلوه هو المحور لحركة غيره دون سواه!! مع أن الأمر لا يحتاج إلى ذلك من الأساس.. فقد كان باستطاعة كل المشاركين بالصلاة أن يتحركوا بحركة الصف الأول كله.

تناقض روايات صلاة أبي بكر:

وقد ادّعى نعيم بن أبي هند: أن الأخبار التي وردت في هذه القصة كلها صحيحة، وليس فيها تعارض[1].

ونقول:

بل الأمر على عكس ذلك تماماً، فإن روايات صلاة أبي بكر قد جاءت كثيرة التناقض، وقد ذكر العلامة المظفر طائفة من تناقضاتها، ونحن نقتصر على ما ذكره «رحمه الله» وإن كان لنا تحفظ على موارد يسيرة جداً منه، والموارد التي ذكرها هي التالية:

١ ـ (في علاقة عمر بالصلاة)، يذكر بعضها أن النبي قال: «مروا عمر» بعد مراجعة عائشة عن أبيها، فأبى عمر وتقدم أبو بكر[2].

وبعضها ذكر: أنه «صلى الله عليه وآله» ابتداءً أمر عمر، فقال عمر لبلال: قل له إن أبا بكر على الباب. وحينئذ أمر أبا بكر[3].

وبعضها ذكر: أن أول من صلى عمر بغير إذن النبي، فلما سمع «صلى

---

(١) راجع: عمدة القاري ج٥ ص١٩١.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٤٣٩ وراجع المصادر المتقدمة.

(٣) السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج ٣ ص ٤٦٢.

الله عليه وآله» صوته قال: «يأبى الله ذلك والمؤمنون»[1].

وفي بعضها: أنه أمر أبا بكر أن يصلي نفس الصلاة التي صلاها عمر بالناس[2].

وفي بعضها: صلى عمر، وكان أبو بكر غائباً[3].

وفي بعضها: أن النبي أمر أبا بكر، وأبو بكر قال لعمر: صلِّ بالناس، فامتنع[4].

٢ ـ (في من أمره النبي ليأمر أبا بكر)، فبعضها تذكر عائشة[5].

وبعضها: بلالاً[6].

وبعضها: عبد الله بن زمعة[7].

٣ ـ (فيمن راجعه في أمر أبي بكر)، فبعضها تذكر أن عائشة وحدها راجعته ثلاث مرات أو أكثر[8].

وبعضها تذكر: أن عائشة راجعته، ثم قالت لحفصة فراجعته مرة أو

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج١١ ص١٧٥.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص١٠٦٦.

(٣) مسند أحمد ج٤ ص٣٢٢.

(٤) فتح الباري ج١١ ص٥١.

(٥) كنز العمال ج٧ ص٢٦٦.

(٦) سنن أبي داود ج١ ص٢١٤.

(٧) المواقف للإيجي ج٣ ص٦٣١.

(٨) بدائع الصنائع ج١ ص١٤٢ ومسند أحمد ج٦ ص٣٤.

مرتين، فلما زجرها النبي قالت لعائشة: « ما كنت لأصيب منك خيراً»(١).

٤ ـ (في الصلاة المأمور بها)، فبعضها يخصها بصلاة العصر(٢).

وبعضها: بصلاة العشاء(٣).

والثالث: بصلاة الصبح(٤).

٥ ـ (في خروج النبي)، فبعضها تذكر: أنه «صلى الله عليه وآله» خرج وصلى(٥).

وأخرى تقول: أخرج رأسه من الستار والناس خلف أبي بكر، ثم ألقى الستار ولم يصلِّ معهم(٦).

٦ ـ (في كيفية صلاة النبي بعد الخروج)، فيذكر بعضها: أنه ائتم بأبي بكر، بعد أن دفع في ظهره، ومنعه من التأخر(٧).

وبعضها: أن أبا بكر تأخر وائتم بالنبي «صلى الله عليه وآله»(٨).

وبعضها: أن أبا بكر صلى بصلاة النبي، والناس بصلاة أبي بكر(٩).

---

(١) صحيح البخاري ج١ ص١٦٥.

(٢) سنن أبي داود ج١ ص٢١٤.

(٣) صحيح البخاري ج١ ص١٦٨.

(٤) مجمع الزوائد ج١ ص٣٣٠.

(٥) مسند أحمد ج١ ص٣٥٦.

(٦) مسند أبي يعلى ج٦ ص٢٥٠.

(٧) السيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص١٠٦٨.

(٨) مسند أحمد ج٥ ص٣٣٦.

(٩) عمدة القاري ج٥ ص٢١٥.

وبعضها: أن النبي ابتدأ بالقراءة من حيث انتهى أبو بكر[١].

٧ ـ (في جلوس النبي إلى جنب أبي بكر) فبعضها تذكر جلوسه إلى يساره[٢].

وبعضها: إلى يمينه[٣].

٨ ـ (في مدة صلاة أبي بكر)، فبعضها: تجعلها طيلة مرض النبي[٤].

وأخرى: تخصها بسبع عشرة صلاة[٥].

وثالثة: بثلاثة أيام[٦].

ورابعة: بستة (بسبعة)[٧].

ويظهر من بعضها أنه صلى صلاة واحدة[٨].

٩ ـ (في وقت خروج النبي إلى الصلاة)، فبعضها صريحة في: أنه خرج

---

(١) مسند أحمد ج١ ص٣٥٥ و ٣٥٦ وفتح الباري ج٢ ص١٤٥ والمصنف لابن أبي شيبة ج٢ ص٩٩ ونيل الأوطار ج٢ ص٢٣٢ وسنن ابن ماجة ج١ ص٣٩١ وعمدة القاري ج٤ ص١٠٧ ونصب الراية ج٢ ص٥٩ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص١٨٣.

(٢) مسند أحمد ج١ ص٢٣١.

(٣) مسند أحمد ج١ ص٣٥٦.

(٤) كتاب الأم الشافعي ج٧ ص٢١٠.

(٥) تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٤٤٠.

(٦) الكامل في التاريخ ج٢ ص٣٢٢.

(٧) أسد الغابة ج٤ ص٦٨.

(٨) عمدة القاري ج٥ ص٢١٦.

لنفس الصلاة التي كان قد أمر بها أبا بكر حسب زعمهم[١].

وفي بعضها: أنه خرج لصلاة الظهر بعد صلاة أبي بكر أياماً[٢].

وبعضها: صريح بخروجه لصلاة الصبح[٣].

وهذه الإختلافات كما رأيت في جوهر الحادثة. ولم يظهر من الأخبار تعدد أمر النبي له بالصلاة، ولا تعدد خروجه».

إلى أن قال:

«ولعل أبا بكر كان مخدوعاً في تبليغه أمر النبي، كما جاء في الحديث: أن عبد الله بن زمعة خدع عمر بن الخطاب، فبلَّغه أمر النبي له بالصلاة.

وأحسب أن أصل الواقعة أن النبي «صلى الله عليه وآله» أمر الناس بالصلاة لما تعذر عليه الخروج، من دون أن يخص أحداً بالتقديم، فتصرف متصرف، وتأول متأول.

ولما بلغ ذلك أسماع النبي التجأ أن يخرج يتهادى بين رجلين ورجلاه تخطان الأرض من الوجع، فصلى بالناس جالساً صلاة المضطرين، ليكشف للناس هذا التصرف الذي استُبِد به عليه»[٤].

أو ليكشف للناس أن من تصدى للصلاة لم يكن جامعاً لشرائطها المقررة في الشرع الشريف.

وربما يكون النبي «صلى الله عليه وآله» لم يأمر بالصلاة أصلاً، فضلاً

---

(١) صحيح البخاري ج١ ص١٦٢.

(٢) صحيح البخاري ج١ ص١٦٨.

(٣) كتاب الأم للشافعي ج١ ص٩٩.

(٤) السقيفة ص٥٢ ـ ٥٤ و (نشر مؤسسة أنصاريان) ص٥٦ ـ ٥٨ بتصرف يسير.

عن أن يكون قد سمى أحداً لها، فاغتنم البعض الفرصة ليوهم الناس: أن فلاناً بعينه هو المرضي بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فخرج النبي «صلى الله عليه وآله» بنفسه لينقض هذا التصرف منهم..

صلاة أبي بكر والخلافة:

وروى البلاذري عن علي بن أبي طالب «عليه السلام» قال: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يمت فجأة، كان بلال يأتيه في مرضه فيؤذنه بالصلاة، فيأمر أبا بكر أن يصلي بالناس، وهو يرى مكاني، فلما قبض رسول الله «صلى الله عليه وآله» رأوا أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد ولاه أمر دينهم، فولوه أمر دنياهم[1].

وروى البلاذري عنه قال: لما قبض رسول الله «صلى الله عليه وآله» نظرنا في أمرنا، فوجدنا النبي «صلى الله عليه وآله» قد قدم أبا بكر في الصلاة، فرضينا لدنيانا من رضيه رسول الله «صلى الله عليه وآله» لديننا، فقدمنا أبا بكر، ومن ذا كان يؤخره عن مقام أقامه رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيه؟![2].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٣١٦ عن البلاذري، وكنز العمال ج١١ ص٣٢٨ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٤٤١ و ٤٤٣ وراجع: السيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٤٩٠.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٣١٦ عن البلاذري، والتمهيد لابن عبد البر ج٢٢ ص١٢٩ والغدير ج٨ ص٣٦ عن الرياض النضرة ج١ ص١٥٠ والوافي بالوفيات ج١٧ ص١٦٦ وراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص١٨٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٠ ص٢٦٥.

وروى الحسن البصري عن قيس بن عباد قال: قال علي بن أبي طالب صلوات الله عليه: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» مرض ليالي وأياماً ينادى بالصلاة، فيقول: مروا أبا بكر يصلي بالناس.

فلما قبض رسول الله «صلى الله عليه وآله» نظرت، فإذا الصلاة علم الإسلام، وقوام الدين، فرضينا لدنيانا من رضي رسول الله «صلى الله عليه وآله» لديننا، فبايعنا أبا بكر(1).

وروى البلاذري عن أبي الجحاف قال: لما بويع أبو بكر، وبايعه الناس، قام ينادي ثلاثاً: أيها الناس قد أقلتكم بيعتكم.

فقال علي: والله لا نقيلك ولا نستقيلك، قدمك رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الصلاة، فمن ذا يؤخرك؟!(2).

وروى البلاذري ـ بسند جيد ـ: أن عمر بن عبد العزيز بعث ابن الزبير الحنظلي إلى الحسن، فقال له: هل كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» استخلف أبا بكر؟

فقال الحسن: أوفي شك؟! صاحبُك والله الذي لا إله إلا هو، استخلفه

---

(1) الإستيعاب (ط دار الجيل) ج٣ ص٩٧١ والبحار ج٢٨ ص١٤٦ عنه، والتمهيد لابن عبد البر ج٢٢ ص١٢٩ والغدير ج٨ ص٣٦.

(2) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٣١٧ عن البلاذري، والجامع لأحكام القرآن ج١ ص٢٧٢ وكنز العمال ج٥ ص٦٥٧ وأضواء البيان للشنقيطي ج١ ص٣١ والعثمانية ص٢٣٥ وراجع: عيون أخبار الرضا «عليه السلام» للصدوق ج١ ص٢٠١ والبحار ج٣١ ص٦٢١ وج٤٩ ص١٩٢.

حين أمره بالصلاة دون الناس، ولهو كان أتقى لله من أن يتوثب عليها[1].

وروى البلاذري عن إبراهيم التيمي، وابن سيرين قال: «لما مات رسول الله «صلى الله عليه وآله» أتوا أبا عبيدة بن الجراح، فقالوا: ابسط يدك نبايعك، فإنك أمين هذه الأمة على لسان رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فقال: أتأتوني وفيكم الصديق ثاني اثنين؟

وفي لفظ: ثالث ثلاثة، قيل: لابن سيرين: وما ثالث ثلاثة؟

قال: ألم تقرأ هذه الآية **{ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا}**[2]»[3].

ونقول:

أولاً: إن الإستدلال المنقول عن علي «عليه السلام» لا يمكن أن يصدر عنه، لأنه باطل من أصله، فإن من يصلح لإمامة الجماعة في الصلاة قد لا يصلح لقيادة الجيوش، ولا للقضاء بين الناس، ولا للإفتاء، ولا ليعلِّم الناس الكتاب والحكمة، فضلاً عن أن يكون أهلاً للقيام بجميع مهمات الحاكم والإمام.

ثانياً: إذا كان الوجع قد غلب على رسول الله «صلى الله عليه وآله» أو

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٣١٧ عن البلاذري، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص٥٣٧ والامامة والسياسة (بتحقيق الزيني) ج١ ص١٠ و (بتحقيق الشيري) ج١ ص١٨ راجع: التمهيد لابن عبد البر ج٢٢ ص١٢٧.

(٢) الآية ٤٠ من سورة التوبة.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٣١٧ عن البلاذري، والمصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٥٧٣.

كان يهجر ـ كما زعمه عمر، ووافقه عليه طائفة ممن معه، حتى صاروا يقولون: القول ما قاله عمر ـ فلا قيمة لما يصدر عن النبي «صلى الله عليه وآله» في مثل هذا الحال.. وفق منطق من يلتزمون بقول عمر، ويصرون على تصويبه ومتابعته فيما يقول ويفعل!!

ثالثاً: إن الروايات قد صرحت بأن أبا بكر قد عُزل عن هذه الصلاة أو أن ذلك محتمل بصورة قوية، كما دلت عليه الروايات الصحيحة، فلا يصح الإستدلال بصلاة هذه حالها على الخلافة، بل هي على خلاف ما يحبون أدل.

رابعاً: إن موقف علي «عليه السلام» من البيعة لأبي بكر معلوم لكل أحد، وهم يقولون: إنه «عليه السلام» لم يبايع إلا بعد استشهاد زوجته فاطمة «عليها السلام»، وكلماته «عليه السلام» في نهج البلاغة وفي غيره، وفي كتب الحديث والرواية والتاريخ مشحونة بما يدل على اعتراضه على أبي بكر في توليه أمراً ليس له..

خامساً: إن نصب إنسان للصلاة، لا يعني توليته لأمور الدين كلها.. ليس فقط لأجل أن ذلك الرجل قد لا يحسن كثيراً من أمور الدين.. لا سيما وأن هؤلاء يجيزون الصلاة خلف العالم والجاهل، والأمي والمتعلم، بل والعادل والفاسق.. بل لأنه قد يكون هناك مانع من توليته لجميع ما يحسنه، بل إن الإكتفاء بالتنصيص على توليته في جانب مما يحسنه، وترك التصريح بتوليته لسائر المهام يكون أقوى في الدلالة على صرف النظر عن التولية العامة..

سادساً: إن علياً «عليه السلام» قد جعل أبا الأسود على الصلاة في البصرة، وولى ابن عباس ما عدا ذلك، فلو كان نصبه للصلاة دليلاً على

ولايته، أو أحقيته بالولاية لأمور الدنيا لم يصح نصب ابن عباس على البصرة إلى جانب أبي الأسود. أو هو على الأقل سيكون مثار تساؤل لدى الناس!!

سابعاً: إن إمامة الصلاة ليست من الولايات، بل هي حكم شرعي خاص في مورده، فما معنى قياس ولاية أمور الدنيا التي تحتاج إلى إنشاء وجعل.. على جعل إنسان إماماً في الصلاة؟!

ثامناً: قوله: من ذا يؤخره عن مقام أقامه الله فيه غير سديد، فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يقمه إماماً للأمة، وإنما هم يدّعون أنه أقامه إماماً للصلاة، ولم يؤخره أحد عنها، وإنما هو تقدم ليتولى أو ليستولي على ما عداها.

تاسعاً: بالنسبة لمناداة أبي بكر ثلاثة أيام ليقيله الناس البيعة نقول:

إنها مغالطة فاشلة، فإن المطلوب أن يقيلهم هو بيعتهم، وليس العكس، فإذا أحلهم منها إنتهى الأمر، ولا تبقى حاجة لأي تصرف منهم، لأنهم هم الذين أعطوه عهداً ببيعتهم، وصاروا يرون أنفسهم ملزمين بالوفاء به.

عاشراً: بالنسبة لكلام الحسن عن تقوى أبي بكر التي تمنعه من التوثب على ما ليس له، نقول:

إنه كلام لا يجدي، لأن الوقائع هي التي تحدد لنا إن كان قد توثب على هذا الأمر، أو لم يتوثب عليه.

على أن التوثب على هذا الأمر قد يكون لأجل ما يزعمونه من الغيرة على الدين، والخوف على المسلمين.. فلا يتنافى مع التقوى، إلا إذا كان قد سمع النص من رسول الله «صلى الله عليه وآله» على علي «عليه السلام» بالخلافة والإمامة، أو بايعه في يوم الغدير، ثم نقض بيعته، كما هو المفروض..

ولربما يُدَّعى: أن ثمة شبهة تسوغ هذا التوثب، وتمنع من الحكم بتعمد مخالفة أحكام الشريعة، والعهدة في ذلك على من يدَّعيه.

حادي عشر: حديث ابن سيرين، وإبراهيم التيمي لا يصح، إذ إن أبا بكر فقط هو الذي طرح اسم أبي عبيدة يوم السقيفة، ولا يستطيع الحسن أو التيمي أن يذكرا لنا اسم أحد غيره فعل ذلك. وظواهر الأمور تشير إلى أنه قد طرح اسمه ليردها عليه أبو عبيدة، الذي لم يكن أحد سوى أبي بكر وعمر يراه أهلاً لهذا الأمر.

بل إن سعد بن عبادة، ومن معه كانوا كلهم لا يرون أبا بكر أهلاً لهذا الأمر، فهل يرون أبا عبيدة حفار القبور أهلاً له؟!

على أن حديث الحسن وإبراهيم، لم ينقل لنا بسند متصل..

يوم الوفاة هو يوم العزل:

قد دلت الروايات المتقدمة أيضاً: على أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد مات في نفس اليوم الذي صلى فيه أبو بكر بالناس، فقد روى ابن أبي مليكة قال:

«لما كان يوم الإثنين خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» عاصباً رأسه إلى الصبح، وأبو بكر يصلي بالناس، فلما خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» تفرج الناس، فعرف أن الناس لم يفعلوا ذلك إلا لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، فنكص عن مصلاه، فدفع رسول الله «صلى الله عليه وآله» في ظهره الخ..»[1].

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٣ ص١٩٦ و (ط مؤسسة الأعلمي) ج٢ ص٤٤٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص١٠٦٨ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٤٦٧.

فقد دلت هذه الرواية: على أن خروج النبي «صلى الله عليه وآله» إلى المسجد كان في صلاة الصبح وأن مشاركته في الصلاة كانت يوم الإثنين..

وهناك روايات عديدة دلت على أن ذلك كان نفس يوم وفاته «صلى الله عليه وآله»، فلاحظ ما يلي:

١ ـ عن ابن جرير، عن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه: قال «صلى (أي النبي) في اليوم الذي مات فيه في المسجد»[1].

٢ ـ ويدل على ذلك أيضاً: حديث أنس، قال: «لما مرض رسول الله «صلى الله عليه وآله» مرضه الذي مات فيه أتاه بلال فآذنه بالصلاة، فقال: يا بلال، قد بلّغت. فمن شاء فليصلِّ، ومن شاء فليدَع.

قال: يا رسول الله، فمن يصلي بالناس.

قال: مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس.

فلما تقدم أبو بكر رفعت الستور عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فنظر إليه كأنه ورقة بيضاء عليه خميصه سوداء، فظن أبو بكر أنه يريد الخروج، فتأخر، فأشار إليه رسول الله «صلى الله عليه وآله» فصلى أبو بكر. فما رأينا رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى مات من يومه»[2].

٣ ـ وعن عائشة: أن بلالاً جاء صباح يوم وفاة رسول الله «صلى الله

---

(١) كنز العمال ج٧ ص٢٧٢ وراجع: سنن الدارمي ج١ ص٣٦ وعمدة القاري ج٥ ص١٩١ ونصب الراية ج٢ ص٥٦.

(٢) كنز العمال ج٧ ص ٢٦١ وراجع: مسند أبي يعلى ج٦ ص٢٦٤ ومختصر تاريخ دمشق ج٢ ص٣٨١ و ٣٨٢ ومسند أحمد ج٣ ص٢٠٢ والمصنف لابن أبي شيبة ج٢ ص٢٢٧ وحديث خيثمة ص١٤٠ وشرح الأخبار ج٢ ص٢٣٨.

عليه وآله» فآذنه بالصلاة، فقال لها «صلى الله عليه وآله»: مري أباك أن يصلي بالناس[١].

وبذلك يتضح: أن ما زعمته بعض الروايات: من أن أبا بكر قد صلى بالناس أياماً، غير مسلّم[٢]..

إلا إذا كان المقصود: أنه صلى بهم من دون علم رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالأمر.

التشاؤم هو السبب:

وقد تقدم: أن عائشة تزعم: أن الداعي لها لمراجعة النبي «صلى الله عليه وآله» في أمر صلاة أبي بكر بالناس هو الفرار من تشاؤم الناس بأبيها إذا صلى في مرض الرسول، لو حدث به «صلى الله عليه وآله» حدث[٣]..

ولكنها في رواية أخرى تبرر مراجعتها للنبي «صلى الله عليه وآله»: بأن أبا بكر رجل أسيف، لا يسمع الناس بسبب بكائه.

فأي ذلك هو الصحيح؟!

---

(١) كنز العمال ج٧ ص٢٦٦ عن أبي الشيخ.

(٢) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ج٣ ص٢٧٦ و٢٧٧ ومسند أبي عوانة ج١ ص٤٤٠ وسنن النسائي ج٢ ص١٠١ وصحيح البخاري ج١ ص٢٧٨ و١٧٩ ح٧٨ وصحيح مسلم ج٢ ص٢٠ و٢١.

(٣) صحيح البخاري ج٦ ص٣٣ ح٤٣٢ وصحيح مسلم ج٢ ص٢٢ والسنن الكبرى ج٨ ص١٥٢.

مروا من يصلي بالناس:

وفي رواية عبد الله بن زمعة: أنه «صلى الله عليه وآله» قال لهم: مروا من يصلي بالناس.. ولم يعين أحداً بعينه.. فلما أمر ابن زمعة عمر بأن يصلي بالناس أنكر النبي «صلى الله عليه وآله» ذلك حسب ما زعمته الرواية، وقال: «يأبى الله ذلك والمسلمون»(١).

وقد قلنا: إن هذه الزيادة باطلة، لما يلي:

١ ـ إن المسلمين قد رضوا بعمر حسب الفرض، وقد شرع بالصلاة بالفعل..

٢ ـ كيف يأبى الله ذلك والحال أن عمرو بن العاص كان يؤم أبا بكر وعمر معاً في غزوة ذات السلاسل، وأمهما أيضاً عبد الرحمن بن عوف في غزوة تبوك؟..

٣ ـ قد جاء في رواية أنس قوله «صلى الله عليه وآله»: حين آذنه بلال بالصلاة: «يا بلال قد بلغت. فمن شاء فليصلِّ، ومن شاء فليدع»..

---

(١) الإستيعاب (ط دار الجيل) ج٣ ص٩٧٠ و المحلى لابن حزم ج٤ ص٢١٠ وشرح الأخبار ج٢ ص٢٣٩ والبحار ج٢٨ ص١٤٥ و ١٥٦ و ١٥٧ و مسند أحمد ج٤ ص٣٢٢ وج٦ ص١٠٦ وسنن أبي داود ج٢ ص٤٠٥ وعمدة القاري ج٥ ص١٨٨ وعون المعبود ج١٢ ص٢٧٣ والمعجم الأوسط ج٢ ص١٢ والتمهيد لابن عبد البر ج٢٢ ص١٢٨ وكنز العمال ج١١ ص٥٥٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٠ ص٢٦٢ و ٢٦٣ و٢٦٧ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٥٢ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٤٥٧ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص١٠٦٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤٥٩ وسبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٢٤٤.

فما معنى زيادة فقرة: مروا أبا بكر فليصل بالناس[١].

٤ ـ أن صلاة أبي بكر بالناس لا تنسجم مع كونه قد جعله في جيش أسامة، ولم يُرِدْ إِحْدَاثَ أي خلل في عزيمة ذلك الجيش، فكيف يخرج أبا بكر منه للصلاة بالناس بسبب شدة مرضه؟!

عزله في الصلاة الأولى:

إن الروايات المتقدمة، ومنها روايات عائشة نفسها، المروية في صحيحي البخاري ومسلم قد دلت على: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد عزل أبا بكر في أول صلاة صلاها، لأنها صرحت بأنه قال لهم: مروا أبا بكر فليصل بالناس..

ثم ذكرت: أنه وجد من نفسه خفة، فعزله عنها بنفسه، فكان أبو بكر مأموماً والنبي «صلى الله عليه وآله» إماماً.

صويحبات يوسف:

وقوله «صلى الله عليه وآله» لنسائه: «إنكن لصويحبات يوسف» يدل على: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن هو الذي أمر أبا بكر بالصلاة، لأن صويحبات يوسف لم يخالفن يوسف في شيء، ولا راجعنه في أمر صدر عنه، وإنما فتنهن حسنه، وأرادت كل واحدة منهن أن تنال الحظوة عنده..

وهذا ما أرادته عائشة وحفصة، فإنهن أردن الحصول على الشرف والمقام،

(١) تقدمت مصادر حديث أنس.

بالتقرب من النبي «صلى الله عليه وآله»[1].. فقدمتا أبويهما من أجل الإفتخار والتجمل بمقام القرب من الرسول «صلى الله عليه وآله»، أي أنهن لم ينازعنه لصرف إمامة الجماعة عن أبويهما..

أستاذ المعتزلي يشرح ما جرى:

وقد ذكر المعتزلي كلاماً عن شيخه أبي يعقوب، يوسف بن إسماعيل اللمعاني، جاء فيه ما يلي:

«فلما ثقل رسول الله «صلى الله عليه وآله» في مرضه أنفذ جيش أسامة، وجعل فيه أبا بكر وغيره من أعلام المهاجرين والأنصار. فكان علي «عليه السلام» حينئذٍ بوصوله إلى الأمر ـ إن حدث برسول الله «صلى الله عليه وآله» حدث ـ أوثق. وتغلب على ظنه: أن المدينة لو مات لخلت من منازع ينازعه الأمر بالكلية، فيأخذه صفواً عفواً، وتتم له البيعة، فلا يتهيأ فسخها لو رام ضدٌّ منازعته عليها..

فكان من عود أبي بكر من جيش أسامة ـ بإرسالها إليه، وإعلامه بأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يموت ـ ما كان، ومن حديث الصلاة بالناس ما عرف.

فنسب علي «عليه السلام» إلى عائشة أنها أمرت بلالاً مولى أبيها أن يأمره فليصل بالناس، لأن رسول الله ـ كما روي ـ قال: ليصل بهم أحدهم، ولم يعين. وكانت صلاة الصبح؛ فخرج رسول الله «صلى الله عليه وآله»

---

(١) تلخيص الشافي ج٣ ص٣٠.

وهو في آخر رمق يتهادى بين علي والفضل بن العباس، حتى قام في المحراب ـ كما ورد في الخبر ـ ثم دخل فمات ارتفاع الضحى.

فجعل يوم صلاته حجة في صرف الأمر إليه، وقال: أيكم يطيب نفساً أن يتقدم قدمين قدمهما رسول الله في الصلاة.

ولم يحملوا خروج رسول الله «صلى الله عليه وآله» لصرفه عنها، بل لمحافظته على الصلاة مهما أمكن.. فبويع على هذه النكتة التي اتهمها علي «عليه السلام» على أنها ابتدأت منها.

وكان علي «عليه السلام» يذكر هذا لأصحابه في خلواته كثيراً، ويقول: إنه لم يقل «صلى الله عليه وآله»: إنكن لصويحبات يوسف إلا إنكاراً لهذه الحال، وغضباً منها، لأنها وحفصة تبادرتا إلى تعيين أبويهما، وأنه استدركها بخروجه، وصرفه عن المحراب، فلم يجْدِ ذلك ولا أثّر. مع قوة الداعي الذي كان يدعو إلى أبي بكر، ويمهد له قاعدة الأمر، وتقرر حاله في نفوس الناس، ومن اتبعه على ذلك من أعيان المهاجرين والأنصار..

فقلت له «رحمه الله»: أفتقول أنت: إن عائشة عينت أباها للصلاة، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» لم يعينه؟!

فقال: أما أنا فلا أقول ذلك، ولكن علياً كان يقوله، وتكليفي غير تكليفه. كان حاضراً، ولم أكن حاضراً.. الخ»(١).

ونقول:

قد أظهرت الفقرة الأخيرة: أن المعتزلي فاجأ اللمعاني بسؤاله، وربما يكون

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٩ ص١٩٦ ـ ١٩٨.

قد أخافه، فاضطر إلى أن يميز نفسه عن علي «عليه السلام» في هذا الأمر، مع إلماحه إلى أن علياً «عليه السلام» هو الذي يعيش الحدث، ويعرف تفاصيله ـ فقد كان علي حاضراً، ولم يكن اللمعاني حاضراً ـ..

ونحن تكفينا شهادة علي «عليه السلام» حول هذا الأمر، فقد قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «علي مع الحق والحق مع علي، يدور معه كيفما دار» أو نحو ذلك(١).

يوم بنت خارجة:

وتقول رواية تقدمت: أن أبا بكر استأذن النبي «صلى الله عليه وآله» ليذهب إلى السنح(٢)، لأن زوجته أسماء بنت خارجة كانت تنتظره..

والذي يثير عجبنا: أن أبا بكر يرى النبي «صلى الله عليه وآله» غير قادر على المشي من شدة المرض. ولم يستطيع الوصول إلى موضع الصلاة إلا

---

(١) المستدرك للحاكم ج٣ ص١٢٤ والجامع الصحيح للترمذي ج٣ ص١٦٦ وكنوز الحقائق للمناوي ص٧٠ ومجمع الزوائد ج٧ ص٢٣٣ وجامع الأصول ج٩ ص٤٢٠ وراجع: كشف الغمة ج٢ ص٣٥ وج١ ص١٤١ ـ ١٤٦ والجمل ص٣٦ وتاريخ بغداد ج١٤ ص٣٢٢ ومستدرك الحاكم ج٣ ص١١٩ و ١٢٤ وتلخيصه للذهبي بهامشه، وراجع نزل الأبرار ص٥٦ وفي هامشه عن مجمع الزوائد ج٧ ص٢٣٤ وعن كنوز الحقائق ص٦٥ وكنز العمال ج٦ ص١٥٧ وشرح النهج للمعتزلي ج٢ ص٢٩٧ وج١٨ ص٧٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٤٢ ص٤٤٩.

(٢) السنح: موضع بالمدينة بينه وبين منزل النبي «صلى الله عليه وآله» قدر ميل. كان لأبي بكر منزل هناك.

بمساعدة رجلين، وكانت رجلاه تخطان في الأرض. ثم هو يستأذنه ـ كما يزعمون ـ ليذهب إلى زوجته بنت خارجة في منزله بالسنح(١).

وهذا الغياب هو الذي جعل عمر يحتاج إلى إنكار موت النبي «صلى الله عليه وآله»، لإشغال الناس عن أي تدبير في الأمر إلى حين حضور أبي بكر.

ألا يدل ذهاب أبي بكر إلى السنح، حيث لم يصلِّ بالناس صلاة الظهر يوم الإثنين. على الأقل، وهو يوم استشهاد النبي «صلى الله عليه وآله»، لأنه استشهد بعد الزوال، كما يقوله كثيرون، كما سيأتي ـ ألا يدل ذلك ـ على أنه قد ذهب معزولاً عن الصلاة، (وربما غاضباً) بعد أن تصدى لها من غير إذن، ولا رضى من رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

دعوى صلاة النبي ' خلف أبي بكر:

وإذا كانت الروايات الصحيحة تتجه لتأكيد عزل أبي بكر عن الصلاة، فهل يمكن أن نصدق ما تضيفه بعض المرويات، من أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد صلى خلف أبي بكر، أو أن أبا بكر قد صلى بصلاة النبي، والناس صلوا بصلاة أبي بكر، لأن النبي «صلى الله عليه وآله» كان جالساً، وكان أبو بكر قائماً، فكان الناس يرونه، فيقتدون به..

علماً بأن الصف الأول والذي يليه أيضاً قادر على رؤية شخص رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويشاهد حركته، وركوعه وسجوده، بلا حاجة إلى

---

(١) راجع: تاريخ دمشق ج٢ ص٥٦ والبداية وكنز العمال ج١٠ ص٧٤٥ وإمتاع الأسماع ج٢ ص١٢٥ وج١٤ ص٥٢١ وسبل الهدى والرشاد ج٦ ص٢٤٩ والنهاية ج٥ ص١٨٤ ـ ١٨٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٣ ص٣٦.

أبي بكر وسواه..

وعن دعوى ائتمام النبي «صلى الله عليه وآله» بأبي بكر يقول ابن الجوزي: «ليس هذا في الصحيح، وإنما قد روي من طرق لا تثبت»[1].

وسيأتي المزيد مما يبطل هذا الزعم إن شاء الله تعالى..

روايات عائشة:

وعن حديث أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد صلى خلف أبي بكر نقول:

أولاً: إن العمدة في هذه الرواية هو ما روته عائشة[2]. وهي إنما تجر النار

---

(١) آفة أصحاب الحديث ص٤٩.

(٢) راجع: مسند أحمد ج٦ ص٢٢٤ وعن صحيح البخاري ج١ ص١٨٢ و ١٨٣ و (ط دار الفكر) ج١ ص١٦٢ و ١٧٥ وصحيح مسلم ج٢ ص٢٣ كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر، وآفة أصحاب الحديث ص٥٧ و ٥٨ و ٥٩ وسبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٢٤٤ و ٢٤٥ والمجموع للنووي ج٤ ص٢٤١ والمبسوط للسرخسي ج١ ص٢١٤ وبدائع الصنائع ج١ ص١٤٢ والبحار ج٢٨ ص١٣٧ عن جامع الأصول، وص١٣٨ عن البخاري، ومسند أحمد ج٦ ص٢١٠ و ٢٢٤ وسنن ابن ماجة ج١ ص٣٨٩ وسنن النسائي ج٢ ص١٠٠ والسنن الكبرى للبيهقي ج٢ ص٣٠٤ وج٣ ص٨١ و ٩٤ وعمدة القاري ج٥ ص١٨٦ و ٢٤٨ و ٢٥٠ ومسند ابن راهويه ج٣ ص٨٣١ والسنن الكبرى للنسائي ج١ ص٢٩٣ وصحيح ابن خزيمة ج٣ ص٥٣ وشرح معاني الآثار ج١ ص٤٠٦ وصحيح ابن حبان ج٥ ص٤٨٥ و ٤٨٩ و ٤٩٥ وج١٥ ص٢٩٢ وكنز العمال ج٥ ص٦٣٤ ومصادر أخرى تقدمت.

إلى قرصها، بل الوقائع تثبت أنها كانت تميل مع هواها في رواياتها وفي تصرفاتها، ولأجل ذلك لم تذكر الشخص الذي توكأ عليه النبي «صلى الله عليه وآله» حينما خرج ـ في مرضه ليعزل أبا بكر عن الصلاة، وهو علي «عليه السلام»، لأنها كما يقول ابن عباس: «لا تقدر على أن تذكره بخير»[1].

أو كما يقول معمر: «لا تطيب نفساً له بخير»[2].

وقد دللت على أنها كانت تتصرف برأيها في هذا المجال أيضاً حين ذكرت أنها كانت تسعى لإبعاد حالة التشاؤم بأبيها، مع أنها كانت تدعي للنبي «صلى الله عليه وآله» أن أبا بكر رجل رقيق لا يُسْمِع الناس من بكائه.

ثانياً: إن ابن الجوزي يقول: إن حديث عائشة، عند أحمد، والترمذي، وأبي داود يدور على شبابة بن سوار.

وقد أنكر أحمد بن حنبل عليه.

وأما سائر الطرق ـ وهي سبعة ـ عن عائشة فليس فيها ما يثبت[3].

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٤٣٣ وعمدة القاري ج٥ ص١٩٢ وفتح الباري ج٢ ص١٣١ وخلاصة عبقات الأنوار ج٣ ص٢٨٧ والغدير ج٩ ص٣٢٤ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٢ ص ٤١

(٢) عمدة القاري ج٥ ص١٩٢ وخلاصة عبقات الأنوار ج٣ ص٢٨٧ وفتح الباري ج٢ ص١٣١وراجع: صحيح البخاري ج١ ص١٧٥ والمسترشد للطبري (الشيعي) ص١٢٦ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٤٣٣ والإرشاد للمفيد ج١ ص٣١١ ومناقب أهل البيت «عليه السلام» للشيرواني ص٤٧٢ وقاموس الرجال ج١٢ ص٢٩٩ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٢ ص٤١٥.

(٣) آفة أصحاب الحديث ص٥٠ و ٥١ و ٧٥ ـ ٩٥.

ثالثاً: سيأتي أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد عزل أبا بكر عن هذه الصلاة بالذات.

رابعاً: حتى لو فرضنا جدلاً أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد صلى خلف أبي بكر، فإن ذلك لا يثبت إمامة أبي بكر وخلافته على الأمة، وذلك لما يلي:

١ ـ إن إمامة الجماعة لا تحتاج عند أهل السنة إلا إلى أن يكون الإمام مسلماً، محسناً للقراءة.. ولا تحتاج إلى فقه، ولا إلى علم، ولا إلى شجاعة، ولا إلى عدالة وتقوى ولا إلى غير ذلك من الشرائط المعتبرة في الإمامة والخلافة.

٢ ـ لو صح أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد صلى خلف أبي بكر، فإن ذلك لا يدل على أنه يرضاه لإمامة الأمة، إذ لو دلت الصلاة خلف أبي بكر على إمامته لدلت على إمامة عبد الرحمن بن عوف أيضاً، فإنهم يدَّعون أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد صلى خلفه في غزوة تبوك.. حسبما تقدم..

٣ ـ لنفترض عدم صحة النقض بصلاته «صلى الله عليه وآله» خلف ابن عوف، لأنها لم تكن في مرض موت النبي «صلى الله عليه وآله».. أو لعدم صحتها في نفسها، فإننا نقول:

إن عمر بن الخطاب قد أبطل تأثير فعل النبي «صلى الله عليه وآله» في الدلالة على إمامة أو خلافة أبي بكر وغيره، لأنه قال: إن النبي ليهجر، أو غلبه الوجع.. أو نحو ذلك.. ولا يعتد بنصب أو بعزل من يكون في حالة هذيان أو يحتمل أنه كان كذلك ـ والعياذ بالله.

٤ ـ إنه «صلى الله عليه وآله» قد أمر كثيرين من الصحابة بقيادة الجيوش والسرايا، وجعل عدداً من أصحابه ولاة على مكة وعلى غيرها.

وكان الأمير منهم يتولى الصلاة أيضاً.. وقد جرى بين عمرو بن العاص وبين أبي عبيدة في غزوة ذات السلاسل ما تقدم بيانه، فإنه أصر على أن يكون هو الإمام لهم بمن فيهم أبو بكر وعمر، ورضخوا له، وصلى بهم.. فلماذا لا يجعل ذلك من أدلة تقدم عمرو بن العاص على أبي بكر في الخلافة، كما تقدمه في الصلاة؟! التي كان يرى أن النبي «صلى الله عليه وآله» هوالذي رتبه فيها.

صلاة عمر بالناس:

ورووا: عن عبد الله بن زمعة بن الأسود قال: لما اسْتُعِزَّ برسول الله «صلى الله عليه وآله» وأنا عنده في نفر من المسلمين، دعا بلال للصلاة، فقال: مروا من يصلي بالناس.

قال: فخرجت، فإذا عمر في الناس. وكان أبو بكر غائباً، فقال: قم يا عمر فصل بالناس.

قال: فقام، فلما كبر عمر سمع رسول الله «صلى الله عليه وآله» صوته، وكان عمر رجلاً مجهراً.

قال: فقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» وقال: لا، لا، لا يصلي بالناس إلا ابن أبي قحافة ـ يقول ذلك مغضباً ـ فأين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون.

قال: فبعث إلى أبي بكر بعد ما صلى عمر تلك الصلاة، فصلى بالناس.

قال: وقال عبد الله بن زمعة: قال عمر لي: ويحك، ماذا صنعت بي يا بن زمعة، والله ما ظننت حين أمرتني إلا أن رسول الله «صلى الله عليه وآله»

أمرك بذلك، ولولا ذلك ما صليت بالناس.

قال: قلت: والله ما أمرني رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولكن حين لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة(١).

ونقول:

أولاً: إذا كان المسلمون يأبون ذلك، فلماذا يأمره ابن زمعة، ويأتم به المسلمون، ولا يعترض أحد منهم؟!

ثانياً: إذا كان أبو بكر وعمر قد جعلهما رسول الله «صلى الله عليه وآله» في جيش أسامة، فلماذا حضر هؤلاء النفر من المسلمين عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٢٤٤ عن أحمد، وأبي داود، وابن سعد، وسنن أبي داود ج٤ ص٢١٥ ومسند أحمد ج٤ ص٣٢٢ وج٦ ص١٠٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٠ ص٢٦٢ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٤٥٧ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص١٠٦٦ وعون المعبود ج١٢ ص٢٧٢ والمستدرك للحاكم ج٣ ص٦٤١. وراجع: الإستيعاب (ط دار الجيل) ج٣ ص٩٧٠ و المحلى لابن حزم ج٤ ص٢١٠ وشرح الأخبار ج٢ ص٢٣٩ والبحار ج٢٨ ص١٤٥ و ١٥٦ و ١٥٧ وسنن أبي داود ج٢ ص٤٠٥ وعمدة القاري ج٥ ص١٨٨ وعون المعبود ج١٢ ص٢٧٣ والمعجم الأوسط ج٢ ص١٢ والتمهيد لابن عبد البر ج٢٢ ص١٢٨ وكنز العمال ج١١ ص٥٥٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٠ ص٢٦٢ و ٢٦٣ و٢٦٧ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٥٢ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٤٥٧ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص١٠٦٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤٥٩ وسبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٢٤٤.

ولماذا كانت تلك الجماعة من الناس، وفيهم عمر في المكان الذي خرج إليه ابن زمعة؟

وهل كان أبو بكر غائباً في جيش أسامة أم كان في مكان آخر؟

فإذا كان في جيش أسامة، فهل انتظر الناس حتى جاء من هناك إلى المسجد؟

وإذا كان في غير الجيش، فهو كان عاصياً لأمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» الذي أمره وأمر غيره بأن يكونوا في ذلك الجيش.. فكيف استحق من يعصي أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن يكرم هذا الإكرام من الله ورسوله؟!

ثالثاً: لماذا يأبى الله والمسلمون غير أبي بكر هنا، ولم يكن هذا الإباء منهم حين صلى عبد الرحمن بن عوف بجيش قوامه ثلاثون ألفاً، وفيهم أبو بكر وعمر وسائر الرؤساء والزعماء، ثم التحق بهم النبي «صلى الله عليه وآله»، وائتم بعبد الرحمن بن عوف، حسب زعمهم؟!

ولماذا كان أبو عبيدة وعمرو بن العاص يصليان بأبي بكر وعمر وغيرهما من المسلمين في غزوة ذات السلاسل.. ولم يعترض عليهما أحد من المسلمين، ولا اهتم الله وسوله لهذا الأمر على الإطلاق؟!

رابعاً: إذا صح أن الله والمسلمين يأبون إلا أبا بكر، فلماذا عاد «صلى الله عليه وآله» وخرج يتوكأ على علي «عليه السلام» والعباس، لكي يعزل أبا بكر عن تلك الصلاة بالذات؟!

خامساً: لقد روي أنه «صلى الله عليه وآله» قال: «مروا بلالاً فليصل

بالناس»[1]. فكيف يتلاءم ذلك مع القول: يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر؟!

سادساً وأخيراً: إن التعبير بكلمة اسْتُعِزَّ برسول الله غير لائق أبداً، فإنما يقال: استعز بفلان إذا غُلِبَ على كل شيء، من مرض أو غيره.

وكأنهم يريدون بذلك تأكيد مقولة عمر «إن النبي ليهجر» أو «غلبه الوجع».. فإنا لله وإنا إليه راجعون..

وقال أبو عمر: استعز بالعليل إذا غلب على عقله[2].

صلاتان.. أم صلاة واحدة؟!:

ونقل ابن الجوزي عن أبي حاتم: أنها كانت صلاتين، كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» في إحداها مأموماً، وفي الأخرى كان إماماً.

قال: والدليل على أنها كانت صلاتين لا صلاة واحدة، أن في خبر عبيد الله بن عبد الله عن عائشة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» خرج بين رجلين، يريد بأحدهما العباس، والآخر علياً.

وفي خبر مسروق عن عائشة: أن النبي «صلى الله عليه وآله» خرج بين رجلين، أو (بريرة وميمونة)، أو (بريرة ونوبة) قال: فهذا يدلك على أنها كانت صلاتين، لا صلاة واحدة»[3].

---

(١) بغية الطالب في تاريخ حلب لابن النديم (مخطوط في مكتبة قبوسراي) الورقة ١٩٤ رقم ٢٩٢٥.

(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٢ ص٢٤٦.

(٣) راجع: سبل الهدى والرشاد ج٨ ص١٩٥ و ١٩٦ وآفة أصحاب الحديث ص٧٩ وصحيح ابن حبان ج٥ ص٤٨٨ وعمدة القاري ج٥ ص١٨٨ وتنوير الحوالك ص٦٠.

ولكن ابن الجوزي رد حديث صلاة النبي «صلى الله عليه وآله» مأموماً بعدة أوجه:

أحدها: أن فيه شبابة، وقد نسب إلى الغلط.

والحديث الذي يجعله (أي النبي «صلى الله عليه وآله») إماماً لأبي بكر ولغيره مؤيد بما رواه عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة، وهو مروي في الصحاح..

الثاني: إن خروجه «صلى الله عليه وآله» بين علي «عليه السلام» والعباس مذكور في الصحيحين.

ويمكن الجمع بينه وبين الحديث الآخر: باحتمال أن تكون ميمونة وبريرة أخرجتاه إلى باب الدار، ثم تولاه علي والعباس.. خصوصاً وأنه لم يجر في العادة أن تمشي الجواري بين الصفوف، وكان القوم في الصلاة.

الثالث: تقول رواية بريرة وميمونة: «فكان رسول الله يصلي جالساً، وأبو بكر قائماً يصلي بصلاة رسول الله، والناس يصلون بصلاة أبي بكر».

فالعجب لأبي حاتم كيف يقول: كان رسول الله مأموماً، وهو يروي في حديث بريرة وميمونة: وأبو بكر يصلي بصلاة رسول الله؟!

وكيف يصلي أبو بكر بصلاة رسول الله، ويكون هو الإمام لرسول الله؟![1]. انتهى كلام ابن الجوزي.

ونقول:

إننا وإن كنا نؤكد صحة قولهم: إنها كانت صلاة واحدة.. ولكننا لا نوافق

---

(١) راجع: آفة أصحاب الحديث ص ٨٠.

على قولهم: إن الناس كانوا يصلون بصلاة أبي بكر، إذ لا حاجة إلى ذلك، فإن المسلمين الحاضرين كانوا قليلين، لأن الناس كانوا في جيش أسامة، وكان الصف الأول وبعض الصف الذي خلفه يرى رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو جالس.. ويرى حركته بصورة مباشرة.. فما الحاجة إلى أبي بكر إذن؟!

رواية الواقدي:

روى الواقدي، عن عبد الرحمن بن عبد العزيز، عن عبد الله بن أبي بكر، عن أبيه، عن عائشة: جاء رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فاستأخر أبو بكر، فأخذ بيده، فقدمه في مصلاه، فصفا جميعاً، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» جالس، وأبو بكر قائم، فلما سلم، صلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» الركعة الأخيرة، ثم انصرف(١).

ونقول:

أولاً: قد طعن في الواقدي يحيى بن معين، وأحمد بن حنبل، والبخاري، وأبو حاتم الرازي، وأبو عبد الرحمن النسائي، وابن عدي. وقد اتهمه بعض هؤلاء بوضع الحديث(٢).

وطعن أبو حاتم الرازي بعبد الرحمن بن عبد العزيز، بأنه مضطرب

---

(١) آفة أصحاب الحديث ص٨٦ وتنوير الحوالك ص٦٠ ومعرفة السنن والآثار ج٢ ص٣٦٠ ونصب الراية ج٢ ص٥٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٢٢٠ وسبل الهدى والرشاد ج٨ ص١٩٦ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٤٧١.

(٢) تهذيب التهذيب ج٩ ص٣٦٣ و ٣٦٨.

الحديث[١].

وطعن أبو زرعة وموسى بن هارون بعبد الله بن أبي بكر[٢].

ثانياً: إن الأحاديث تشير إلى أن النبي «صلى الله عليه وآله» أشار إلى أبي بكر بما أراد، وهذا الحديث يقول: إنه«صلى الله عليه وآله» أخذ بيده فقدمه في مصلاه..

ثالثاً: لا تدل هذه الرواية على أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد ائتم بأبي بكر، ولا على العكس، بل هي تدل على أصل وجود الإئتمام فيما بينهما.. فما معنى قوله: «فصفا جميعاً»؟! فإن كان المقصود أنهما كانا إمامين للناس معاً وفي عرض واحد، ولم يكن أحدهما إماماً للآخر.. فإننا لم نعهد في الشريعة جعل إمامين لجماعة واحدة..

وهذا يخالف قولهم: إن أبا بكر قد صلى بصلاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويخالف الرواية التي تدعي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد ائتم بأبي بكر. وإضافة الركعة الأخيرة لا يدل على اقتدائه «صلى الله عليه وآله» بأبي بكر..

كل نبي يؤمه رجل من أمته:

عن أبي عبد العزيز الترمذي، يرفعه إلى عائشة: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» رفع ستراً، فرأى الناس من وراء أبي بكر يصلون، فحمد الله وقال: «الحمد لله، ما من نبي يتوفاه الله عز وجل حتى يؤمه رجل من أمته..» ولم يذكر

---

(١) تهذيب التهذيب ج٦ ص٢٢٠.

(٢) لسان الميزان ج٣ ص٢٦٤.

أنه خرج، ولا صلى خلفه[1].

ونقول:

أولاً: قد تقدم في غزوة تبوك أنهم يزعمون: أنه «صلى الله عليه وآله» صلى خلف عبد الرحمن بن عوف، فلماذا لا تكون كلمته المزعومة هذه إشارة إلى تلك المزعمة؟!.

ثانياً: إن أبا عبد العزيز الترمذي هو موسى بن عبيدة بن نشيط، وقد طعن فيه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وعلي بن الجنيد الحافظ، كما ذكره ابن الجوزي، فلا عبرة بحديثه[2].

يضاف إلى ما تقدم: أن الحديث غير متصل بل هو من المرفوعات..

ثالثاً: إنه لا تناسب بين هذه الكلمة المنسوبة إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وبين صلاة أبي بكر.. كما أن هذه الكلمة لا تدل على رضاه بأن يؤم أبو بكر الناس في صلاتهم تلك أو غيرها.. بل قد تكون على خلاف ذلك أدل. إذا لوحظ قول الرواية: «ولم يذكر أنه خرج ولا صلى خلفه»..

---

(١) آفة أصحاب الحديث ص٨٧ والمعجم الأوسط ج٤ ص٣٦٥ ومجمع الزوائد ج٣ ص١١ وج٩ ص٣٧ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٤٧٣. وراجع: تنوير الحوالك ص٥٩ والمغني لابن قدامة ج٢ ص٤٩ والإستذكار لابن عبد البر ج٢ ص١٧٣ وبداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد الحفيد ج١ ص١٢٤ وبغية الباحث ص٢٩٧ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٢٢٢ والتمهيد لابن عبد البر ج٦ ص١٤٤.

(٢) تهذيب التهذيب ج١٠ ص٣٥٦ ـ ٣٦٠ وراجع: التاريخ الصغير للبخاري ج٢ ص٨٧ وج٧ ص٢٩١ والكامل لابن عدي ج٦ ص٣٣٣.

فلعله يريد أن يشير إلى أنه كان قد أمه رجل آخر غير أبي بكر، ربما يكون ذلك الشخص هو علي «عليه السلام»، حيث ذكرنا في ما سبق عدم صحة قولهم: إن ابن عوف قد أمّ النبي «صلى الله عليه وآله» في غزوة تبوك، وعدم صحة قولهم هنا: إنه «صلى الله عليه وآله» قد صلى خلف أبي بكر..

النصب بعد العزل:

وآخر كلمة نقولها هنا هي:

أننا لو فرضنا أن النبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي أمر أبا بكر بالصلاة بالناس، فإن الروايات التي تصرح بأنه «صلى الله عليه وآله» خرج على تلك الحال من معاناة شدة المرض، حتى كانت رجلاه تخطان في الأرض(١)، فعزله وصلى هو بالناس ثابتة بلا ريب.

ولا مجال لدعوى: أن حركته هذه هي نتيجة شدة اهتمامه «صلى الله

(١) مسند أحمد ج١ ص٣٥٦ وج٦ ص٢١٠ و ٢٢٤ والمبسوط للسرخسي ج١ ص٢١٤ والمحلى لابن حزم ج٣ ص٦٤ و صحيح مسلم ج٢ ص٢٣ وسنن ابن ماجة ج١ ص٣٨٩ و ٣٩١ وسنن النسائي ج٢ ص٩٩ والسنن الكبرى للبيهقي ج٢ ص٣٠٤ وج٣ ص٨١ وعمدة القاري ج٥ ص١٨٦ والمصنف لابن أبي شيبة ج٢ ص٢٢٧ ومسند ابن راهويه ج٣ ص٨٣١ و السنن الكبرى للنسائي ج١ ص٢٩٣ وصحيح ابن خزيمة ج٣ ص٥٣ وشرح معاني الآثار ج١ ص٤٠٦ وصحيح ابن حبان ج٥ ص٤٨٩ ومعرفة السنن والآثار ج٢ ص٣٥٦ والتمهيد لابن عبد البر ج٢٢ ص٣١٧ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٣ ص١٧٩ وأسد الغابة ج٣ ص٢٢١ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٤٣٩ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٤٥٣.

عليه وآله» بأمر الصلاة، فإن الشدائد المرضية التي كان يعاني منها كانت توجب عليه أن لا يتحمل هذا الجهد، فهو قد احتاج إلى رجلين ليساعداه على الوصول إلى موضع الصلاة، على تلك الحال الصعبة من الضعف، والجهد البالغ، حتى لقد كانت رجلاه تخطان بالأرض.

كما لا مجال لحمل ذلك على إرادة تكريم أبي بكر،فإن تكريمه لا يكون بعزله عن الصلاة، كما أنه كان يمكن تكليمه بما لا يوجب للنبي «صلى الله عليه وآله» هذا الجهد، فلا بد من حمله على أنه «صلى الله عليه وآله» كان مأموراً بهذا العزل، ولعله كان مأموراً بذلك النصب أولاً أيضاً، لأن الله تعالى أراد أن يُعْلِمَ الأمة بأن هذا الرجل ليس أهلاً لما يطمح له من نيل الخلافة بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ولعلك تقول: إن هذا لو صح لكان عقوبة لأبي بكر قبل ارتكابه أية جناية. وهو غير معقول، ولا مقبول، ولا سيما من الرسول الأكرم «صلى الله عليه وآله»، الذي لا ينطق عن الهوى!!

ونجيب: بأن القول: إن أبا بكر لم يرتكب ما يوجب هذه العقوبة غير صحيح، فإن مساعيه لنقض التدبير الإلهي في علي «عليه السلام»، كانت واضحة للعيان، ولم ينسَ الناس بعدُ ما فعله هو وقريش في منى وفي عرفات في حجة الوداع.

بل إن نفس تخلفه عن جيش أسامة، ومعصيته المتواصلة لله ولرسوله في ذلك، يكفي لمواجهته بحرمانه من نفس ذلك الذي دعاه إلى هذه المخالفة. وهو العزل عن إمامة الصلاة، وإعلام الناس بعدم أهليته لها، واستحقاقه للعزل عنها. فمن كان بهذه المثابة، فهل يرضاه الله للمقام الأعظم، والأجل والأفخم؟!

الفصل السادس:

أحداث الوفاة في النصوص والآثار

توفي في بيتي بين سحري ونحري:

عن عائشة قالت: «إن من أنعُم الله عليّ أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» توفي في بيتي وبين سحري ونحري»[1].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٨ ص٢٨ ج١٢ ص٢٦١ عن الشيخين، وعن ابن سعد. وراجع: المجموع للنووي ج١٦ ص٤٢٩ ومسند أحمد ج٦ ص٤٨ و صحيح البخاري (ط دار الفكر) ج٤ ص٤٥ وج٥ ص١٤١ و ١٤٢ والمستدرك للحاكم ج٤ ص٦ و ٧ وفتح الباري ج٨ ص١٠٦ وج١٠ ص٤٩٢ وفتح الباري (المقدمة) ص٣٧٠ وعمدة القاري ج١٥ ص٢٩ وج١٨ ص٧٠ و ٧١ وج٢٢ ص٢٢١ والمصنف لابن أبي شيبة ج٧ ص٥٢٩ ومسند ابن راهويه ج٣ ص٦٦١ ومسند أبي يعلى ج٨ ص٧٧ وصحيح ابن حبان ج١٤ ص٥٨٤ وج١٦ ص٥٣ والمعجم الكبير ج٢٣ ص٣٢ و ٣٤ وكنز العمال ج١٣ ص٦٩٧ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٢٣٤ و ٢٦١ والعلل لأحمد بن حنبل ج٢ ص٤٠٧ وضعفاء العقيلي ج٢ ص٢٤٩ والثقات ج٢ ص١٣٣ وتاريخ بغداد ج١٢ ص٣٦٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٦ ص٣٠٦ و ٣٠٧ وتذكرة الحفاظ ج١ ص٢٣١ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص١٨٩ وج٧ ص٤٣٤ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٦٠ و ٢٨٩ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٤٩٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤٧٥ و ٥٣٣ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٤٧٠.

وفي رواية: «بين حاقنتي وذاقنتي[(١)]»[(٢)].

وفي رواية: «وجمع الله بين ريقي وريقه عند موته»[(٣)].

---

(١) بين حاقنتي وذاقنتي: وهو ما بين اللحيين، ويقال: الحاقنة ما سفل من البطن (الصحاح للجوهري ج٥ ص٢١٠٣).

الحاقنة: أسفل من الذقن، والذاقنة طرف الحلقوم والسحر الصدر، والنحر محل الذبح، والمراد: أنه عليه الصلاة والسلام توفي ورأسه بين حنكها وصدرها (شرح مسند أبي حنيفة ص٢٥٥).

(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٢٦١ ومسند أحمد ج٦ ص٦٤ و ٧٧ وصحيح البخاري ج٥ ص١٣٩ و ١٤٠ وسنن النسائي ج٤ ص٧ وفتح الباري ج٨ ص١٠٦ وج١١ ص٣١٢ وعمدة القاري ج١٨ ص٦٥ و ٦٨ والسنن الكبرى للنسائي ج١ ص٦٠٢ وج٤ ص٢٦٠ وشرح مسند أبي حنيفة ص٢٥٥ ونصب الراية ج١ ص٥٩ والمعجم الأوسط ج٨ ص٣٣٣ وكتاب الوفاة للنسائي ص٥٠ وراجع: البداية والنهاية ج٥ ص٢٥٧ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٤٩٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤٧١ وراجع: المراجعات للسيد شرف الدين ص٣٠٥ وشرح مسند أبي حنيفة ص٢٥٥.

(٣) راجع: سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٢٦١ والمجموع للنووي ج١٦ ص٤٢٩ ومسند أحمد ج٦ ص٤٨ وصحيح البخاري ج٤ ص٤٥ وج٥ ص١٤١ و ١٤٢ والمستدرك للحاكم ج٤ ص٧ وعمدة القاري ج١٥ ص٢٩ وج١٨ ص٧٠ و ٧١ ومسند ابن راهويه ج٣ ص٦٦١ و ٩٨٩ ومسند أبي يعلى ج٨ ص٧٧ وصحيح ابن حبان ج١٤ ص٥٨٤ و ٥٨٥ وج١٦ ص٥٣ والمعجم الكبير ج٢٣ ص٣٢ و ٣٤ وكنز العمال ج١٣ ص٦٩٧ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٢٣٤ والثقات لابن حبان ج٢ ص١٣٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٦ ص٣٠٦ و ٣٠٧ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص١٨٩.

وفي رواية: «دخل علي عبد الرحمن وبيده السواك وأنا مسندة رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى صدري، فرأيته ينظر إليه، فعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك، فأشار برأسه، أي نعم، فقصمته ثم مضغته ونقضته فأخذه، فاستن به أحسن ما كان مُسْتَتِنّاً»[1].

ونقول:

إن هذا الكلام غير صحيح، فإن نفس النبي «صلى الله عليه وآله» قد فاضت وهو على صدر علي أمير المؤمنين «عليه السلام»، ويدل على ذلك ما يلي:

١ ـ إن علياً «عليه السلام» يقول: « فلقد وسدتك في ملحودة قبرك، وفاضت بين سحري وصدري نفسك، إنا لله وإنا إليه راجعون»[2].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٢٦١ عن الشيخين، وعن ابن سعد، وراجع: صحيح البخاري ج٥ ص١٤١ وفتح الباري ج٨ ص١٠٦ وعمدة القاري ج١٨ ص٧٠ والمعجم الكبير ج٢٣ ص٣٢ وضعفاء العقيلي ج٢ ص٢٥٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٦ ص٣٠٧ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٦٠ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٤٩٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤٧٥.

(٢) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج٢ ص١٨٢ والبحار ج٢٢ ص ٥٤٢ وج٤٣ ص١٩٣ والمراجعات للسيد شرف الدين ص٣٣٠ والكافي ج١ ص٤٥٩ وروضة الواعظين ص١٥٢ ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) للميرجهاني ج٢ ص٢١٥ والغدير ج٩ ص٣٧٤ ودلائل الإمامة للطبري (الشيعي) ص١٣٨ وشرح النهج للمعتزلي ج١٠ ص٢٦٥ و ٢٦٦ وقاموس الرجال ج١٢ ص٣٢٤ وكشف الغمة ج٢ ص١٢٧ وشرح إحقاق الحق ج١٠ ص٤٨١ وج٢٥ ص٥٥١ وج٣٣ ص٣٨٥.

٢ ـ وقال «عليه السلام»: «إن آخر ما قال النبي: الصلاة، الصلاة، إن النبي «صلى الله عليه وآله» كان واضعاً رأسه في حجري، فلم يزل يقول: الصلاة، الصلاة، حتى قبض»(١).

٣ ـ وقال «عليه السلام» أيضاً: «ولقد قبض رسول الله «صلى الله عليه وآله» وإن رأسه لعلى صدري»(٢).

٤ ـ وفي خطبة له «عليه السلام» قال: «..ولقد قبض النبي «صلى الله عليه وآله» وإن رأسه لفي حجري، ولقد وليت غسله بيدي، تقلبه الملائكة المقربون معي..»(٣).

٥ ـ ما رواه ابن سعد بسنده إلى الشعبي، قال: «توفي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ورأسه في حجر علي» ومثله عن أبي رافع(٤).

---

(١) خصائص الأئمة للشريف الرضي ص٥١.

(٢) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج٢ ص١٧٢ و مستدرك الوسائل ج٢ ص٤٩٥ والبحار ج٢٢ ص٥٤٠ وج٣٤ ص١٠٩ وج٣٨ ص٣٢٠ و مناقب أهل البيت «عليهم السلام» للشيرواني ص٢٢٢ و المراجعات للسيد شرف الدين ص٣٣٠.

(٣) الأمالي للمفيد ص٢٣ والبحار ج٣٢ ص٥٩٥ وج٣٤ ص١٤٧ وج٧٤ ص٣٩٧ وجامع أحاديث الشيعة ج٣ ص١٤٦ ومستدرك سفينة البحار ج١٠ ص١١٧ وشرح النهج للمعتزلي ج١٠ ص١٧٩ و ١٨٢ وينابيع المودة ج٣ ص٤٣٦.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٢٦٣ وفتح الباري ج٨ ص١٠٧ وعمدة القاري ج١٨ ص٦٦ و ٧١ والمراجعات للسيد شرف الدين ص٣٢٩ وراجع: علل الشرائع للصدوق ج١ ص١٦٨ والبحار ج٢٢ ص٤٥٩ ومجمع الزوائد ج١ ص٢٩٣.

ملك الموت يستأذن على النبي ' :

وروي أن جبرئيل «عليه السلام» قال للنبي «صلى الله عليه وآله»: إن ملك الموت يستأذن عليك، وما استأذن أحداً قبلك ولا بعدك.

فأذن له، فدخل وسلم عليه، وقال: يا أحمد، إن الله تعالى بعثني إليك لأطيعك، أقبض أو أرجع؟!

فأمره فقبض[1].

وفي نص آخر عن الإمام السجاد «عليه السلام»: أنه «صلى الله عليه وآله» قال له: أتفعل ذلك يا ملك الموت.

قال: نعم، بذلك أمرت أن أطيعك فيما تأمرني.

فقال له جبرئيل: يا أحمد، إن الله تبارك وتعالى قد اشتاق إلى لقائك.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: يا ملك الموت امضِ لما أمرت له.

فقال جبرئيل: هذا آخر وطئي الأرض، إنما كنت حاجتي من الدنيا[2].

قال المجلسي: لعل المراد: آخر نزولي لتبليغ الرسالة، فلا ينافي الأخبار الدالة على نزوله بعد ذلك[3].

وفي نص آخر: أنه استأذن على رسول الله «صلى الله عليه وآله» بصفة

---

(١) البحار ج٢٢ ص٣٢٢ وراجع ٥٣٢ و ٥٣٣ و٣٣٤ عن المناقب لابن شهرآشوب ج١ ص ٣٠٣ ـ ٣٠٦ وعن كشف الغمة ص ٦ ـ ٨.

(٢) البحار ج٢٢ ص٣٠٥ وراجع ص٥٣٢ و ٥٣٣ و ٣٣٤ عن أمالي الصدوق ص١٦٥ و ١٦٦ وعن كشف الغمة ص٦ ـ ٨.

(٣) البحار ج٢٢ ص٥٠٥ والأمالي للصدوق ص٣٤٩ وروضة الواعظين ص٧٢.

رجل غريب جاء يسأل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقالت له فاطمة «عليها السلام»: إن رسول الله مشغول عنك. فرجع، ثم عاد فاستأذن، فسمعه النبي «صلى الله عليه وآله»، فأخبر فاطمة «عليها السلام» بأنه ملك الموت، فأذنت له، فدخل، وقبض روح رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فراجع[1].

يوم وفاة النبي ' :

تضاربت الأقوال في وقت وفاة النبي «صلى الله عليه وآله»:

فقيل: توفي يوم الإثنين من غير تحديد[2].

وقيل: توفي يوم الإثنين حين زاغت الشمس، أي: ظهراً[3].

---

(١) البحار ج٢٢ ص٥٢٨ عن مناقب آل أبي طالب ج٣ ص١١٦ والأنوار البهية ص٣٨ ومجمع النورين الشيخ أبو الحسن المرندي ص٦٩.

(٢) البداية والنهاية ج٥ ص٢٩٢ وسبل السلام ج١ ص١٢ والتنبيه والإشراف ص٢٤٤ والبحار ج٢٢ ص٥١٤ وسبل السلام ج٢ ص١١١ وتاج المواليد (المجموعة) للطبرسي ص٧ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٤٤١.

(٣) تنوير الحوالك ص٢٣٨ وعمدة القاري ج٨ ص٢١٨ وج١٨ ص٦٠ وناسخ الحديث ومنسوخه ص٣٨٤ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٢٧٣ و ٢٧٤ و ٣٠٥ و ٤٤١ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٧٥ وإمتاع الأسماع للمقريزي ج١٤ ص٤٧٣ و ٥٨٨ وأعيان الشيعة ج١ ص٢٩٥ وعيون الأثر ج٢ ص٤٣٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٥٠٦ وسبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٣٠٥ و ٣٣٣ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٤٧٣ وكنز العمال ج١٠ ص٥٧٥ والبحار ج٢٢ ص٥١١ و ٥٣٥ وج٥٥ ص٣٦٤.

وقيل: توفي يوم الإثنين قبل أن ينتصف النهار[1].

وقيل: توفي يوم الإثنين في الضحى، وجزم به ابن إسحاق.

وقيل: الأكثر على أنه اشتد الضحى[2].

وقيل: توفي آخر يوم الإثنين[3].

متى دفن النبي ' ؟!:

وتضاربت الأقوال أيضاً في وقت دفن النبي «صلى الله عليه وآله»:

فقيل: دفن يوم الأربعاء، أي بقي ثلاثة أيام لم يدفن، وكان يدخل عليه

---

(١) البداية والنهاية ج٥ ص٢٧١ و ٢٧٥ و ٢٩٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٤٨٤ و ٤٩٨ و ٥٠٦ و ٥٣٩ وأسد الغابة ج١ ص٣٤ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٤٩٤ وعمدة القاري ج٨ ص٢١٩.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٣٠٥ عن المنهل، وراجع: فتح الباري ج٨ ص١١٠ والغدير ج٥ ص٣٤٣ والجامع لأحكام القرآن ج١٨ ص٩٨ وتهذيب الكمال ج١ ص١٩٠ وسير أعلام النبلاء ج١٠ ص٦٢٠ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص١٠٥ و ٤٣٧ والنزاع والتخاصم ص٧٨ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٤٨٠.

(٣) البداية والنهاية ج٥ ص٢٧٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٥٠٦ وسبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٢٤٦ وكنز العمال ج٧ ص٢٦١ والبحار ج٢٨ ص١٤٤ والشمائل المحمدية ص٣٢٧ والسنن الكبرى للنسائي ج١ ص٢٦١ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٢١٦ وسير أعلام النبلاء ج١٠ ص٦٢٠ وخاتمة المستدرك للنوري ج٢ ص٤٢٦.

الناس أرسالاً أرسالاً، يصلون، لا يصفون، ولا يؤمهم عليه أحد[1].

ويصف ابن كثير هذا القول: بأنه من الأقوال الغريبة[2].

ولا شك في غرابته، وقد ندب الإسلام إلى الإسراع في دفن الميت، فلماذا يخالف المسلمون هذا المستحب في حق نبيهم بالذات؟!

وروي عن عائشة أنها قالت: «ما علمنا بدفن رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى سمعنا صوت المساحي في جوف ليلة الأربعاء»[3].

وقد تعجب ابن أبي الحديد من هذه الرواية أيضاً، فهو يقول: «قلت:

---

(١) البداية والنهاية ج٥ ص٢٩٢ وسبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٣٣٠ و ٣٣٣ وراجع: تنوير الحوالك ص٢٣٨ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٢٧٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٥٤٠.

(٢) البداية والنهاية ج٥ ص٢٩٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٥٤٠ وراجع: تنوير الحوالك ص٢٣٨ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج٣ ص٤٩٤.

(٣) البداية والنهاية ج٥ ص٢٧٠ و ٢٩١ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٥٠٥ و ٥٣٨ ونيل الأوطار للشوكاني ج٤ ص١٣٧ والسيرة النبوية لابن هشام ج٤ ص٢٤٢ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٥٤٢ و ٤٥٥ والكامل في التاريخ ج٥ ص٢٧٠ وأسد الغابة ج١ ص٣٤ والسنن الكبرى للبيهقي ج٣ ص٤٠٩ ومسند ابن راهويه ج٢ ص٤٣٠ والتمهيد لابن عبد البر ج٢٤ ص٣٩٦ وأسد الغابة ج١ ص٣٤ وشرح النهج للمعتزلي ج١٣ ص٣٩ وناسخ الحديث ومنسوخه ص٢٨٥ وتنوير الحوالك ص٢٤٠ ونيل الأوطار ج٤ ص١٣٧ ومسند أحمد ج٦ ص٦٢ و ٢٤٢ و ٢٧٤ وعمدة القاري ج٨ ص١٢١ والمصنف لابن أبي شيبة ج٣ ص٢٢٧ وشرح معاني الآثار ج١ ص٥١٤ والإستذكار لابن عبد البر ج٣ ص٥٦ و الإستيعاب (ط دار الجيل) ج١ ص٤٧.

وهذا أيضاً من العجائب، لأنه إذا مات يوم الإثنين وقت ارتفاع الضحى ـ كما ذكر في الرواية ـ ودفن ليلة الأربعاء وسط الليل، فلم يمض عليه ثلاثة أيام كما ورد في تلك الرواية»[١].

ونقول:

والصحيح هو: أن تعجبه هذا في غير محله، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» قد دفن بعد وفاته بساعات يسيرة، وقبل أن يفرغ أهل السقيفة من سقيفتهم كما سنرى.

ثم هو يتابع فيقول:

وأيضاً فمن العجب كون عائشة، وهو في بيتها لا تعلم بدفنه حتى سمعت صوت المساحي، أتراها أين كانت؟! وقد سألت عن هذا جماعة، فقالوا: لعلها كانت في بيت يجاور بيتها عندها نساء، كما جرت عادة أهل الميت: وتكون قد اعتزلت بيتها، وسكنت ذلك البيت، لأن بيتها مملوء بالرجال من أهل رسول الله «صلى الله عليه وآله» وغيرهم من الصحابة، وهذا قريب[٢].

ولكننا نقول للمعتزلي:

بل السبب هو: أن الموضع الذي دفن فيه النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن لعائشة، وإنما هو بيت فاطمة «عليها السلام»، حسبما سيأتي بيانه وإثباته بالأدلة الظاهرة، والبراهين القاهرة، والحقائق الباهرة. ولم تكن

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ج١٣ ص٤٠.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج١٣ ص٤٠.

عائشة تحب أن يطول مكثها في بيت الزهراء «عليها السلام»، لأسباب معروفة..

وقيل: توفي رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم الإثنين، ودفن يوم الثلاثاء(١)، حين زالت الشمس(٢).

القول الأصوب والأصح:

والصحيح هو: ما روي عن أهل البيت «عليهم السلام» بلا شك، كما سيأتي من أن بيعتهم قد تمت بعد دفنه «صلى الله عليه وآله».. ولعل فراغهم من السقيفة قد حصل ليلة الثلاثاء، لا سيما وأنهم قد انتظروا أبا بكر حتى رجع من السنح، ثم ذهبوا إلى السقيفة بعد رجوعه. ولعل هذا يفسر ما ورد في الروايات التالية:

روى الواقدي، عن أبي بن عباس بن سهل بن سعد، عن أبيه قال:

---

(١) كنز العمال ج٧ ص٢٧٠ و ٢٧١ والمصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٥٦٩ وراجع: مسند أبي يعلى ج١ ص٣١ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٩٢ عن ابن أبي الدنيا، وكتاب الموطأ لمالك ج١ ص ٢٣ وتنوير الحوالك ص٢٣٨ وحاشية رد المحتار ج١ ص٥٩٠ وعمدة القاري ج٨ ص٢٤٤ والشمائل المحمدية ص٢٠٤ والإستذكار لابن عبد البر ج٣ ص٥٣ و ٥٤ والتمهيد لابن عبد البر ج٢٤ ص٣٩٤ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٢٧٣ و ٢٧٤ و ٣٠٥.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٣٠٥ وج٣ ص٨ والإستيعاب لابن عبد البر ج١ ص٤٧ وناسخ الحديث ومنسوخه ص٣٨٤ وأسد الغابة ج١ ص٣٤ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٤٤٢.

توفي رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم الإثنين، ودفن ليلة الثلاثاء[١].

وروى ابن سعد والبيهقي، عن عائشة، قالت: ما علمنا بدفن رسول الله «صلى الله عليه وآله» حتى سمعنا صوت المساحي ليلة الثلاثاء في السحر[٢].

وعن الزهري قال: دفن رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليلاً. قال شيوخ من الأنصار في بني غنم: سمعنا صوت المساحي آخر الليل، ليلة الثلاثاء[٣].

وروى ابن كثير، عن هشام، عن أبيه، عن عروة بن الزبير قال: توفي رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم الإثنين، وغسل يوم الإثنين، ودفن ليلة الثلاثاء[٤].

---

(١) البداية والنهاية ج٥ ص٢٩٢ وتاريخ مدينة دمشق ج٣ ص٦٨ وكنز العمال ج١٢ ص٤٤٥ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٥٨٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٥٤٠ و ٥٤١.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٣٠٥ وتاريخ الخميس ج١ ص١٩١ وتاريخ الإسلام للذهبي ج١ ص٣٢٧ وسبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٣٣٦ عنه، وعمدة القاري ج٨ ص١٢١ ونصب الراية ج٢ ص٣٥٩ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٥٨٧.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٣٠٥ عن الواقدي، وراجع: الشمائل المحمدية للترمذي ص٢٠٤.

(٤) البداية والنهاية ج٥ ص٢٩٢ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٥٨٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٥٤٠.

وقال المجلسي «رحمه الله»:

ووضع خده على الأرض، موجهاً إلى القبلة على يمينه، ثم وضع عليه اللبن، وأهال عليه التراب، وكان ذلك في يوم الإثنين لليلتين بقيتا من صفر سنة عشر من هجرته «صلى الله عليه وآله»، وهو ابن ثلاث وستين سنة[١].

وروى ابن سعد عن ابن شهاب قال:

توفي رسول الله «صلى الله عليه وآله» حين زاغت الشمس يوم الإثنين، فشغل الناس عن دفنه بشبان الأنصار، فلم يدفن حتى كانت العتمة، ولم يَلِهِ إلا أقاربه، ولقد سمعت بنو غنم صريف المساحي حين حفر لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، وإنهم لفي بيوتهم[٢].

يضاف إلى ما تقدم: سؤال علي «عليه السلام» حين فرغ من دفن رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن خبر أهل السقيفة[٣].

ويمكن أن نستخلص مما قدمناه:

أننا إذا أخذنا بالرواية التي تقول: بأن وفاة النبي «صلى الله عليه وآله» كان آخر يوم الإثنين. وأخذنا بالرواية التي تقول: بأن دفنه «صلى الله عليه وآله» كان نفس اليوم عند العتمة، وأنهم لم يعرفوا بدفنه إلا حين سمعوا صوت المساحي، نخرج بنتيجة مفادها: أن تجهيزه، وتغسيله، وتكفينه، ودفنه «صلى الله عليه وآله» منذ أن قبضه الله لم يستغرق إلا نحو ساعتين، أو

---

(١) البحار ج٢٢ ص٥١٩.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٣٠٤ والتمهيد لابن عبد البر ج٢٤ ص٣٩٦.

(٣) راجع: الأمالي للسيد المرتضى ج١ ص١٩٨.

فقل ساعات قليلة.

وإن كل ما قالوه من بقائه مسجى نحو يوم أو يومين، أو ثلاثة أيام غير صحيح، بل يتبين من مجموع ما ذكر أن ادِّعائهم أن أهل السقيفة قد شاركوا في تجهيزه من تغسيل وتكفين غير صحيح أيضاً.

يوم وشهر وفاة النبي ' :

عن ابن شهاب قال: توفي رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول[1].

قال السهيلي وابن كثير والحافظ: لا خلاف أنه «صلى الله عليه وآله» توفي يوم الإثنين في ربيع الأول[2].

وقال الأكثر: في الثاني عشر منه[3].

وعند ابن عقبة، والليث والخوارزمي: من هلال ربيع الأول[4].

---

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٣٠٥ وتنوير الحوالك ص٢٣٨ والأمالي للطوسي ص٢٦٦ ومناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ج١ ص١٥٢ والبحار ج٢٢ ص٥٠٦ وإمتاع الأسماع ج٢ ص١٣٤ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٤٥٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص٢٧٣.

(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٣٠٥ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٤٤١. وراجع: البداية والنهاية ج٥ ص٢٧٥ وفتح الباري ج٨ ص٩٨ والسيرة النبوية ابن كثير ج٤ ص٥٠٥ وتنوير الحوالك ص٢٣٨ والتمهيد لابن عبد البر ج٢٤ ص٣٩٥.

(٣) راجع: سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٣٠٥ وفتح الباري ج٨ ص٩٨.

(٤) راجع: سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٣٠٥ وفتح الباري ج٨ ص٩٨ وإمتاع الأسماع ج٢ ص١٢٦.

وعند أبي مخنف والكلبي: في ثانيه، وجزم به سليمان بن طرخان في «مغازيه»، ورواه ابن سعد عن محمد بن قيس، ورواه ابن عساكر، عن سعيد بن إبراهيم عن الزهري، وعن أبي نعيم الفضل بن دكين، ورجحه السهيلي[1].

أضاف الصالحي الشامي قوله:

وعلى القولين يتنزل ما نقله الرافعي: أنه عاش بعد حجته ثمانين يوماً.

وقيل: إحدى وثمانين، وأما على ما جزم به النووي فيكون عاش بعد حجته تسعين يوماً، أو إحدى وتسعين يوماً.

واستشكل السهيلي وتابعه غير واحد ما عليه الأكثر من كونه «صلى الله عليه وآله» مات يوم الإثنين ثاني عشر ربيع الأول، وذلك أنهم اتفقوا على أن وقفة عرفة في حجة الوداع كانت يوم الجمعة، وهو التاسع من ذي الحجة، فدخل ذي الحجة يوم الخميس، فكان المحرم إما الجمعة وإما السبت، فإن كان الجمعة فقد كان صفر إما السبت وإما الأحد، وإن كان السبت فقد كان ربيع الأول الأحد أو الإثنين.

وكيفما دارت الحال على هذا الحساب فلم يكن الثاني عشر من ربيع الأول بوجه.

وقول أبي مخنف والكلبي، وإن كان خلاف [أهل] الجمهور، فإنه لا يبعد أن كانت الثلاثة الأشهر التي قبله كلّها تسعة وعشرين فتدبره، فإنه صحيح.

---

(١) راجع كتاب: النص والإجتهاد ص١٥٦ ـ ١٦٣ وإمتاع الأسماع ج٢ ص١٢٦ وفتح الباري ج٨ ص٩٨.

وقول ابن عقبة والخوارزمي أقرب في القياس من قول أبي مخنف ومن تابعه.

قال ابن كثير: وقد حاول جماعة الجواب عنه، ولا يمكن الجواب عنه إلا بمسلك واحد، وهو اختلاف المطالع، بأن يكون أهل مكة رأوا هلال ذي الحجة ليلة الخميس، وأما أهل المدينة فلم يروه إلا ليلة الجمعة.

ويؤيد هذا قول عائشة وغيرها: خرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» لخمس بقين من ذي القعدة، يعني: من المدينة إلى حجة الوداع.

[**ويتعين بما ذكرناه:** أنه خرج يوم السبت، وليس كما زعم ابن حزم أنه خرج يوم الخميس، لأنه قد بقي أكثر من خمس بلا شك، ولا جائز أن يكون خرج يوم الجمعة لأن أنساً قال: صلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» الظهر بالمدينة أربعاً والعصر بذي الحليفة ركعتين، فتعين أنه خرج يوم السبت لخمس بقين].

فعلى هذا إنما رأى أهل المدينة هلال ذي الحجة ليلة الجمعة، وإذا كان هلال ذي الحجة عند أهل المدينة الجمعة، وحسبت الشهور بعده كوامل يكون أول ربيع الأول يوم الخميس، فيكون ثاني عشر يوم الإثنين[1].

ونقول:

إننا نشير هنا إلى الأمور التالية:

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٣٠٦.

ما يقوله الشيعة هو الأصح:

لقد ذكر أكثر الإمامية: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قبض يوم الإثنين لليلتين بقيتا من صفر سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهو قول الشيخ الطوسي وغيره[1].

لكن الكليني يقول: قبض لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول[2].

وما ذكروه آنفاً: من أنه «صلى الله عليه وآله» قد توفي بعد حجه بثمانين، أو بإحدى وثمانين يوماً يتوافق مع ما عليه أكثر الإمامية، من أنه توفي في الثامن والعشرين من صفر، إذا كان مبدأ حساب الثمانين من يوم عرفة «فإن الحج عرفة» كما رووا[3].

---

(١) الإرشاد للمفيد ج١ ص١٨٩ وتاج المواليد (المجموعة) للطبرسي ص٧ ووصول الأخيار إلى أصول الأخبار لوالد البهائي العاملي ص٤١ والأنوار البهية ص٤١ والبحار ج٢٢ ص٥١٤ و ٥٣١ وتفسير مجمع البيان للطبرسي ج٢ ص٢١٤ والدروس للشهيد الأول ج٢ ص٦ وجواهر الكلام ج٢٠ ص٧٩ وراجع: تهذيب الأحكام ج٦ ص٢ وتحرير الأحكام ج٢ ص١١٨ والمقنعة للمفيد ص٤٥٦ وروضة الواعظين ص٧١ والصراط المستقيم ج٣ ص١٤٧ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٢٧٧.

(٢) الكافي ج١ ص٤٣٩ والبحار ج٢٢ ص٥١٤ و ٥٢١.

(٣) راجع: مسند أحمد ج٤ ص٣٠٩ وسنن ابن ماجة ج٢ ص١٠٠٣ وسنن الترمذي ج٢ ص١٨٨ وج٥ ص٤١٦ وسنن النسائي ج٥ ص٢٥٦ والمستدرك للحاكم ج١ ص٤٦٤ وج٢ ص٢٧٨ والسنن الكبرى للنسائي ج٥ ص١٧٣ والمجموع للنووي ج٧ ص٤١٤ وج٨ ص٩٥ و ٢٢٤ وفتح الوهاب ج١ ص٢٥١ =

فإذا فرضنا: أن الأشهر كانت تامة، أو كان اثنان منهما تامين فالباقي من شهر ذي الحجة هو واحد وعشرون يوماً تضاف إلى تسعة وخمسين يوماً، فيصير المجموع ثمانين يوماً، وإذا حسبت الشهور كوامل كان المجموع إحدى وثمانين يوماً..

وأما بالنسبة لتطابق الأيام على يوم الإثنين، فليس بالأمر المهم، لأن ما ذكروه في تحديد يوم عرفة غير دقيق، كما ذكرناه حين الحديث عن يوم الغدير فراجع.

ملاحظة:

ما ورد في بعض النصوص من أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد استشهد في سنة عشر، وفي البعض الآخر في سنة إحدى عشر، لعله يرجع

= و ٢٥٨ ومغني المحتاج ج١ ص٤٩٣ و ٤٩٨ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٥٤٣ وإعانة الطالبين ج٢ ص٣٢٥ والمبسوط للسرخسي ج٤ ص١٨ وتحفة الأحوذي ج١ ص٤٠٦ والمغني لابن قدامة ج٣ ص٤٢٨ و ٤٤١ وج٣ ص٥٤٩ والشرح الكبير لابن قدامة ج٣ ص٤٣٥ و ٤٤١ و ٥٠٧ وكشاف القناع ج٢ ص٦٠٤ و ٦٠٧ والمحلى لابن حزم ج٧ ص١٢١ وتلخيص الحبير ج٧ ص٣٦١ وج٨ ص٤٨ وسبل السلام ج٢ ص٢٠٩ ونيل الأوطار ج٥ ص١٣٦ وفتح الباري ج٧ ص٩٩ وج٨ ص٨٣ وعمدة القاري ج١٦ ص٢٨٢ وج١٨ ص٤١ والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج٥ ص٥٣٣ وتفسير العز بن عبد السلام ج٣ ص٥٠١ والجامع لأحكام القرآن ج٢٠ ص٢٣٣ وتفسير القرآن العظيم ج٢٠ ص٢٣٣ والتسهيل لعلوم التنزيل ج٤ ص٢٢١ وتفسير البحر المحيط ج٨ ص٥٢٤ وتفسير الثعالبي ج٥ ص٦٣٥.

إلى أن أحد الفريقين قد لاحظ السنة الهجرية بمعناها الواقعي. أي التي مبدؤها ربيع الأول والآخرون جروا على ما ستجد من التغيير الذي قام به عمر ابن الخطاب حيث أبطل ما كان رسول الله صنعه، واعتبر أول السنة هو شهر المحرم حسبما ذكرناه في الأجزاء الأولى من هذا الكتاب.

كم عاش رسول الله ' :

إن المشهور والمعتمد لدى العلماء أنه «صلى الله عليه وآله» قد استشهد وعمره ثلاث وستون سنة. وصرحوا: بأن هذا هو الصحيح، أو هو الأصح والأشهر[1].

بل قال بعضهم: اتفق العلماء على أن أصح الروايات ثلاث وستون سنة[2].

وحكى بعضهم عن ابن عباس قوله: بأنه «صلى الله عليه وآله» عاش

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج١١ ص٢٧٥ وج١٢ ص٣٠٧ عن ابن عساكر والنووي، وتحفة الأحوذي ج١٠ ص٩٣ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص٤٥٣ والهداية الكبرى للخصيبي ص٣٨ والوفيات لابن الخطيب ص٢٣ والمجدي في أنساب الطالبيين ص٥ والبحار ج٥٥ ص٣٦٢ و ٣٦٤ والغدير ج٧ ص٢٧١ عن المعارف لابن قتيبة ص٧٥ و (ط دار المعارف) ص١٧٢ ومقدمة ابن الصلاح ص٢١٦ وشرح مسلم ج١٥ ص٩٩ وعمدة القاري ج١٨ ص٧٦ وشرح مسند أبي حنيفة ص٢٢٣.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٣٠٨ عن الحاكم في الإكليل، والنووي، والغدير ج٧ ص٢٧١ عن المعارف لابن قتيبة ص٧٥ وشرح مسلم ج١٥ ص٩٩ وعمدة القاري ج١٨ ص٧٦.

خمساً وستين سنة[١].

لكن أكثر الروايات عن ابن عباس تذكر: أنه «صلى الله عليه وآله» عاش ثلاثاً وستين سنة.

وعن أنس: أنه عاش ستين سنة فقط[٢].

وروي عنه أيضاً: أنه عاش ثلاثاً وستين سنة.

عاش أبو بكر وعمر ثلاثاً وستين:

وقد حاول البعض أن يزعم: أن أبا بكر وعمر، قد عاشا أيضاً ثلاثاً وستين سنة، للإيهام بأن ثمة توافقاً فيما بينهما وبين رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حتى في العمر، فضلاً عما سوى ذلك، فعن أنس أنه قال: «قبض رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو ابن ثلاث وستين سنة، وقبض أبو بكر وهو ابن ثلاث وستين سنة، وقبض عمر وهو ابن ثلاث وستين سنة»[٣].

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٣٠٧ و ٣٠٨ عن أحمد ومسلم والحاكم في الإكليل، وفي هامشه عن مسلم ج٤ ص١٨٢٧ (١٢١/ ٢٣٥٣) وشرح مسند أبي حنيفة ص٢٢٣ وعمدة القاري ج١٨ ص٧٦ وراجع: الغدير ج٧ ص٢٧١ عن: تاريخ الأمم والملوك ج٢ ص١٢٥ وج٤ ص٤٧ والإستيعاب ج١ ص٣٣٥ وشرح مسلم ج١٥ ص٩٩ والمجدي في أنساب الطالبيين ص١٠.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٣٠٧ عن ابن سعد، والحاكم في الإكليل، وابن شبة، وشرح مسلم للنووي ج١٥ ص٩٩ وعمدة القاري ج١٨ ص٧٦ وشرح مسند أبي حنيفة ص٢٢٣.

(٣) سبل الهدى والرشاد ج١١ ص٢٧٥ وج١٢ ص٣٠٧ عن مسلم، وقال في هامشه: أخرجه مسلم ج٤ ص١٨٢٥ في الفضائل (١١٤/ ٢٣٤٨) وراجع =

عن ابن عباس: «أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أُنزل عليه وهو ابن أربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة يوحى إليه، ثم أُمر بالهجرة، فهاجر إلى المدينة، فمكث بها عشر سنين، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة»(١).

وعن معاوية بن أبي سفيان قال: قبض رسول الله «صلى الله عليه وآله»

= حول سن أبي بكر: الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج١ ص٣٣٥ والمعارف لابن قتيبة ص٧٥ وقد ادعيا الإتفاق على ذلك. وراجع: مقدمة ابن الصلاح ص٢١٦ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٠ ص٤٥٦ والوفيات لابن الخطيب ص٢٦ وأسد الغابة ص٢٢٣ ومرآة الجنان ج١ ص٦٥ و ٦٩ ومجمع الزوائد ج٩ ص٦٠ والإصابة ج٢ ص٣٤١ ـ ٣٤٤ والغدير ج٧ ص١٧٦ عمن تقدم، وعن المصادر التالية: الكامل لابن الأثير ج١ ص١٨٥ وج٢ ص١٧٦ وعيون الأثر ج١ ص٤٣ والسيرة الحلبية ج٣ ص٣٩٦ وتاريخ الأمم والملوك ج٢ ص١٢٥ وج٤ ص٤٧ والسيرة النبوية لابن هشام ج١ ص٢٠٥ وراجع: شرح مسند أبي حنيفة ص١٩٧ والمعارف لابن قتيبة ص١٧١.

(١) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٣٠٧ عن أحمد، والبخاري، ومسلم. وقال في هامشه: أخرجه البخاري ج٧ ص١٦٢ (٣٨٥١) (٣٩٠٢ و ٣٩٠٣) و (ط دار الفكر) ج٤ ص٢٥٣ ومسلم ج٤ ص١٨٢٦ في الفضائل (١١٧ ـ ١١٨ / ٢٣٥١). و (ط دار الفكر) ج٧ ص٨٨ وراجع: مسند أحمد ج١ ص٣٧١ وعمدة القاري ج١٧ ص٣٨ والدر المنثور ج٣ ص٣٠٢ وفتح القدير ج٢ ص٤٣٢ والتاريخ الصغير للبخاري ج١ ص٥٤ والتاريخ الكبير للبخاري ج١ ص١٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج١ ص١٢٠ والبداية والنهاية ج٥ ص٢٧٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج٤ ص٥١٣ والآحاد والمثاني ج١ ص٨٦.

وهو ابن ثلاث وستين، وأبو بكر، وعمر، وأنا ابن ثلاث وستين»[١].

ونقول:

أولاً: إن ما ذكروه عن معاوية لا ينفعه شيئاً، فإنه قد مات وهو ابن سبع وسبعين سنة، ويقال: ثمانٍ وسبعون، وقيل: ثمانون سنة[٢].

وأما بالنسبة لعمر، فإنه وإن قيل: إنه عاش ثلاثاً وستين سنة، ولكننا نجد في المقابل من يقول: إنه عاش أربعاً وخمسين سنة[٣].

وقال ابن إسحاق وابن عمر وغيرهما: خمساً وخمسين[٤].

وعن الحاكم: توفي عمر بن الخطاب وهو ابن ستين سنة في أكثر الأقاويل[٥].

وذكر الواقدي عن قيس بن الربيع، عن أبي إسحاق، عن عامر بن

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج١٢ ص٣٠٧ عن مسلم، والطيالسي، وقال في هامشه: أخرجه مسلم ج٤ ص١٨٢٦ (١١٩ و ١٢٠/ ٢٣٥٢) و (ط دار الفكر) ج٧ ص٨٨ وقوله (وأنا) أي وأنا متوقع موافقتهم، وأني أموت في سنتي هذه. وراجع: سنن الترمذي ج٥ ص٢٦٦ وشرح مسلم للنووي ج١٥ ص١٠٣ والمعجم الكبير ج١٩ ص٣٠٥ وأسد الغابة ج٤ ص٧٨.

(٢) تاريخ اليعقوبي (ط مؤسسة الأعلمي) ج٢ ص١٥٠ والإختصاص للمفيد ص١٣١ وتوضيح المقاصد (المجموعة) للبهائي العاملي ص١٠ والبحار ج٣٣ ص١٧٢ والآحاد والمثاني ج١ ص٣٧٣.

(٣) تاريخ اليعقوبي (ط مؤسسة الأعلمي) ج٢ ص٥٢ ومعرفة علوم الحديث للحاكم ص٢٠٢.

(٤) المعارف لابن قتيبة ص١٨٤ وأسد الغابة ج٤ ص٧٧ وتاريخ المدينة لابن شبة ج٣ ص٩٤٤.

(٥) معرفة علوم الحديث للحاكم ص٢٠٢.

سعد قال: توفي عمر بن الخطاب وهو ابن ثلاث وستين سنة، ولا أرى هذا إلا غلطاً، والقول الصحيح هو الأول.

وقال المعتزلي: إنه عاش ثلاثاً وستين على أظهر الأقوال[1]، وهذا يشير أيضاً إلى وجود أقوال متكثرة في مقدار عمره.

وأما بالنسبة لأبي بكر، فما ذكروه يتنافى أولاً: مع ما رووه من أنه حين الهجرة ورد إلى المدينة وكان أبو بكر رديف رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأبو بكر شيخ يعرف، والنبي «صلى الله عليه وآله» شاب لا يعرف، فيلقى الرجل أبا بكر، فيقول: يا أبا بكر من هذا الغلام بين يديك؟!

فيقول: يهديني السبيل[2].

ثانياً: إنه ينافي ما رروه عن يزيد بن الأصم المتوفى بعد المائة عن ثلاث

---

(١) شرح النهج للمعتزلي ج ١٢ ص ١٨٤.

(٢) راجع المصادر التالية: وصحيح البخاري (ط مشكول) باب الهجرة ج٦ ص٥٣ و (ط دار الفكر) ج٤ ص٢٥٩ والسيرة الحلبية ج٢ ص٤١ ومسند أحمد ج٣ ص٢٨٧ ونيل الأوطار ج٩ ص١١١ وعمدة القاري ج١٧ ص٥١ والمصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٤٦٠ وكنز العمال ج٧ ص٢٦٠ والمعارف لابن قتيبة ص١٧٢ والبداية والنهاية ج٣ ص٢٤٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج٢ ص٢٧٥ وسبل الهدى والرشاد ج٣ ص٢٥١ وإمتاع الأسماع ج١٢ ص١٢٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ج١ ص٢٣٤ والدر المنثور ج٣ ص٢٤٥ وإرشاد الساري ج٦ ص٢١٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج٢ ص١٣٧ والمواهب اللدنية ج١ ص٨٦ وعيون الأخبار لابن قتيبة ج٢ ص٢٠٢ والمعارف له ص٧٥ والندير ج٧ ص٢٥٨ وعن الرياض النضرة ج١ ص٧٨ و ٧٩ و ٨٠.

وسبعين سنة، من أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لأبي بكر: أنا أكبر أو أنت؟!

قال: لا بل أنت أكبر مني وأكرم، وخير مني، وأنا أسن منك[١].

ثالثاً: زهير عن إسحاق قال: تمارى عبد الله بن عتبة ورجل من همدان، فقال الهمداني: أبو بكر أكبر من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقال عبد الله: لا بل رسول الله «صلى الله عليه وآله» أكبر من أبي بكر، توفي رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو ابن ثلاث وستين، وتوفى أبو بكر وهو ابن ستين، وقتل عمر وهو ابن ثلاث وستين، وأنا ابن سبع وخمسين[٢].

ولكن ابن أبي عاصم طوّر هذه الرواية وقلب معناها رأساً على عقب فيما يبدو. فراجع[٣].

رابعاً: لقد زعموا في قصة سفر النبي إلى الشام: أن أبا طالب أرجع النبي إلى مكة، وأرسل معه أبو بكر غلامه بلالاً[٤].

---

(١) راجع: الإستيعاب (مطبوع مع الإصابة) ج٢ ص٢٢٦ والغدير ج٧ ص٢٧٠ عنه وعن الرياض النضرة ج١ ص١٦ وعن تاريخ الخلفاء ص٩٩ عن خليفة بن خياط، وأحمد بن حنبل، وابن عساكر، وتاريخ مدينة دمشق ج٣٠ ص٢٥ وقد روي نحو هذا الحديث عن العباس بن عبد المطلب أيضاً. وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج٣٠ ص٢٥ والآحاد والمثاني ج١ ص٨٧ وتاريخ خليفة بن خياط ص٨١ وكنز العمال ج١٢ ص٥١٤ وأسد الغابة ج٥ ص١٥٠.

(٢) راجع: المصنف لابن أبي شيبة الكوفي ج٨ ص٤٤.

(٣) راجع: الآحاد والمثاني ج١ ص٨٦.

(٤) راجع: الثقات لابن حبان ج١ ص٤٤ والبداية والنهاية ج٢ ص٢٨٥ وتاريخ =

ونحن وإن كنا أثبتنا عدم صحة هذا الكلام سابقاً، ولكننا نلزم به هنا من يلزم به نفسه.

وأما ما يقال من أن بعضهم سأل العباس: أنت أكبر أم رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟

فقال: هو أكبر مني، وأنا أسنّ منه، مولده أبعد عقلي، أتي إلى أمي، فقيل لها: ولدت آمنة غلاماً، فخرجت بي حين أصبحت، آخذة بيدي حتى دخلنا عليها، وكأني أنظر إليه يمصع (أي يتحرك) برجليه في عرصته، وجعل النساء يجبذنني عليه ويقلن: قبّل أخاك[1].

فهو موضع شك، فإن الجواب لا يتطابق مع السؤال، لأنه سأله عن عدد السنين الذي يزيد بها عمره عن عمر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، مع علمه بأن العباس هو الأكبر سناً، فما معنى أن يجيبه بأنه أسنّ من رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ويلاحظ: أن هذه الرواية تظهر: أن عمره يزيد عن عمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» مقداراً معتداً به من السنين.

وأما ما رواه ابن أبي شيبة عن نبيط قال: قال رسول الله «صلى الله عليه

= الأمم والملوك (ط الإستقامة) ج٢ ص٣٤ وتاريخ الخميس ج٢ ص٢٥٨ والسيرة الحلبية ج٢ ص١٢٠ ومستدرك الحاكم، والبيهقي، وابن عساكر، والترمذي، وقال: حسن غريب. وفي السيرة النبوية لدحلان ج١ ص٤٩ أنه رجع إلى مكة، ومعه أبو بكر وبلال.

(١) راجع: تهذيب الكمال للمزي ج١٤ ص٢٢٧ وسير أعلام النبلاء ج٢ ص٩٧ وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج٢٦ ص٢٨٢.

وآله» للعباس: يا عماه! أنت أكبر مني؟!

قال العباس: أنا أسن ورسول الله أكبر[1]. فهو أيضاً مشكوك فيه لأن من البعيد جداً أن لا يعرف النبي «صلى الله عليه وآله» أن عمه أكبر منه.

لماذا لا يذكرون علياً × :

هذا.. ولا ندري لماذا لا يذكرون أن الذي طابق عمره عمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» على الحقيقة هو أخوه ووصيه علي بن أبي طالب «عليه السلام».

وهو الذي يتوقع أن يكون لتوافق عمره مع عمر رسول الله «صلى الله عليه وآله» دلالات وإيحاءات لها ارتباط بوصايته وبأخوته له، بل وبكونه نفس رسول الله «صلى الله عليه وآله»، كما نطقت به آية المباهلة كما لا يخفى..

وإن هذا الإهمال المتعمد لذكر علي «عليه السلام»، وتعمد ذكر من لم تثبت له هذه الخصوصية من الأساس، يثير لدينا أكثر من سؤال واحتمال حول صحة وواقعية ما زعموه لأبي بكر وعمر.. والحر تكفيه الإشارة.

---

(١) راجع: كنز العمال ج١٣ ص٥١٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٦ ص٢٨٢.

الفـهــــارس

١ ـ الفهرس الإجمالي
٢ ـ الفهرس التفصيلي

١ ـ الفهرس الإجمالي

الفصل السابع: سورة المائدة متى نزلت وكيف؟!خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة. ـ ٦٢
الفصل الثامن: شبهات.. وأجوبتهاخطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة. ـ ١٠٦
الفصل التاسع: الغدير في ظل التهديدات الإلهية .... ١٠٧ ـ ١٢٤

الباب الثاني عشر:

مرض النبي ’ وإستشهاده.. أحداث وسياسات

الفصل الأول: مرض النبي ’ ووصاياه.. .... ١٢٧ ـ ١٦٢
الفصل الثاني: سرية أسامة بن زيد.......................... ١٦٣ ـ ٢١٠
الفصل الثالث: الكتاب الذي لم يكتب .... ٢١١ ـ ٢٥٤
الفصل الرابع: تمحلات بالية واعذار واهية .... ٢٥٥ ـ ٢٧٨
الفصل الخامس: عزل أبي بكر عن الصلاة.................... ٢٧٩ ـ ٣٢٨
الفصل السادس: أحداث الوفاة في النصوص والآثار .... ٣٢٩ ـ ٣٥٦
الفهارس: .... ٣٥٧ ـ ٣٦٨

٢ ـ الفهرس التفصيلي

الفصل السابع: سورة المائدة متى نزلت وكيف؟!

لماذا تأخرت آية البلاغ عن آية إكمال الدين؟! ٧
مرتكزات الإيمان:........................ ٧
النوع الأول: ٩
النوع الثاني:........................ ٩
سورة المائدة نزلت دفعة واحدة: ١١
تاريخ نزول سورة المائدة: ١٣
ضعوا هذه الآية في سورة كذا:........................ ١٤
الدوافع والأهداف:........................ ١٧
لماذا قدم آية الإكمال: ١٧
استطراد وتوضيح:........................ ١٨
خلاصة توضيحية:........................ ٢٣
النزول على النبي ’ قبل الإبلاغ: ٢٤
متى كانت النبوة: ٢٧
النزول لأجل هداية الناس: ٣٠
نزول السورة بتمامها:........................ ٣١
لو كان لا بد من الانتظار: ٣٢

نزول السورة مرتين: ٣٢
نزول الآية أيضاً مرتين: ٣٣
النزول التدريجي للآيات: ٣٩
شواهد وأدلة: ٣٩
سورة الكهف نزلت في مكة: ٥٥
خلاصة أخيرة: ٦١
الفصل الثامن: شبهات.. وأجوبتها
الغدير كان يوم الخميس: ٦٥
لماذا لم يحتج علي والزهراء ' بالغدير؟!: ٦٦
ألف ـ إحتجاجات علي × : ٧٠
الأول: لماذا لم يشهد أكثر من هذا العدد؟!: ٧٥
الثاني: شهادتان.. لا شهادة واحدة: ٧٦
تحريف كتاب المعارف: ٨٤
تحريف كتاب تاريخ اليعقوبي: ٨٥
ب ـ إحتجاج الزهراء ÷ : ٨٦
حديث الولاية إخبار أم إنشاء؟!: ٨٨
لا دليل على إمامة علي × بلا فصل: ٨٩
هل الإمامة لتكميل الخطة العملية للدين؟!: ٩٠
كان الغدير رداً على زيد بن حارثة!!: ٩٦
علي × كان باليمن: ٩٩
من هما العبدان الصالحان؟!: ١٠١

الزهري لا يحدث بفضائل علي × :........................... ١٠٣
نص الطبري مؤيد بالنصوص: ١٠٣
جبريل.. وعمر بن الخطاب:.............................. ١٠٤

الفصل التاسع: الغدير في ظل التهديدات الإلهية

قريش وخلافة بني هاشم:............................. ١٠٩
التدخل الإلهي: ١١١
سياسة الفضائح:...................................... ١١٣
تذكير ضروري: الورع والتقوى: ١١٩
محاولة قتل رسول الله ’ : ١٢٢
خلاصة وبيان:... ١٢٢

الباب الثاني عشر:

مرض النبي ’ وإستشهاده.. أحداث وسياسات

الفصل الأول: مرض النبي ’ ووصاياه..

مدة مرض رسول الله ’ : ١٢٩
حديث لد النبي ’ خرافة:............................ ١٣٠
الدنانير وعائشة: ١٤١
فاطمة ÷ أول أهل بيته لحوقاً به: ١٤٥
وصية النبي ’ لعلي × : ١٥٠
١ ـ حياة النبي ’ بعد موته:............................ ١٥٠
٢ ـ علي × هو الوصي: ١٥١
٣ ـ العلم بما هو كائن:.................................. ١٥٢

وصايا النبي ' حول تجهيزه ودفنه: ١٥٢
أداء أمانات الرسول ' بعد وفاته: ١٥٥

الفصل الثاني: سرية أسامة بن زيد

حديث سرية أسامة: ١٦٥
تناقض ظاهر في كلام الشامي: ١٧٣
يستعمل هذا الغلام على المهاجرين؟!: ١٧٤
لعن الله من تخلف عن جيش أسامة: ١٧٥
استعمله النبي ' وتأمرني أن أنزعه؟!: ١٧٦
أبو بكر في جيش أسامة: ١٨٠
أقلل اللبث فيهم: ١٨٣
إشارة إلى حديث اللدود: ١٨٤
حرّق عليهم: ١٨٤
أغز عليهم: ١٨٨
الغارة على الآمنين: ١٨٨
سبب التثاقل والتخلف عن أسامة: ١٨٩
تثاقل أسامة والجيش إلى أي مدى؟!: ١٩٠
إعتذارات البشري عن تثاقلهم: ١٩٢
إرتداد العرب متى كان؟! ولماذا؟!: ١٩٤
إشكال مشترك الورود: ١٩٥
مغزى تأمير أسامة: ٢٠٢
بعث أسامة مدهش: ٢٠٥

الفصل الثالث: الكتاب الذي لم يكتب

عمر يمنع النبي ' من كتابة الكتاب:........................ ٢١٣

غلبه الوجع، أم هجر؟!:............................ ٢١٩

إساءات لمقام النبوة:.. ٢٢٢

حسبنا كتاب الله في الميزان:.................................... ٢٢٣

لماذا يريد النبي ' الكتابة؟!:.................................. ٢٢٥

لماذا لا يصر النبي ' على الكتابة ؟!:.......................... ٢٢٦

فائدة ما جرى:.. ٢٢٧

لو لبس المسلمون السواد، وأقاموا المآتم:........................ ٢٢٨

النبي ' يخبر عما يجري:..................................... ٢٢٩

وقوع ما أخبر به النبي ':.................................... ٢٣١

شكليات وظواهر:.. ٢٣٣

حتى سيرة النبي ' يحرم تعلمها:.............................. ٢٣٤

هل أراد ' كتابة ولاية علي × :............................. ٢٣٦

لعله أراد إستخلاف أبي بكر:.................................. ٢٤٠

مفارقة.. لا مجال لتبريرها:.................................... ٢٤٦

حسبنا كتاب الله دليل آخر:................................... ٢٤٨

لا دليل على إرادة الوصية لعلي × ؟!:.......................... ٢٤٨

إستدلال عمر بالجبر الإلهي:.................................. ٢٥١

أبو جعفر النقيب يقول:...................................... ٢٥٢

الفصل الرابع: تمحلات بالية.. وأعذار واهية

تصويب عمر وتخطئة النبي ' !!: ٢٥٧
ألف: عمر أراد التخفيف عن رسول الله ' : ٢٦٠
ب: آية بلغ.. وآية إكمال الدين: ٢٦١
ج: لو كان وحياً لأصر على تبليغه: ٢٦١
د: أراد أن يكتب خلافة أبي بكر: ٢٦٣
هـ: لا سنة عند عمر: ٢٦٤
و: لا يريد ' كتابة الفقه: ٢٦٥
ز: قرينة الترخيص عند المازري: ٢٦٦
ح: قد يكتب ' ما يعجزون عنه:........................... ٢٦٧
ط: النبي ' يصوب عمر فيما قال:......................... ٢٦٨
محاولات البشري باءت بالفشل:.......................... ٢٦٩

الفصل الخامس: عزل أبي بكر عن الصلاة

صلاة أبي بكر في الروايات:.............................. ٢٨١
نصوص نذكرها ثم نناقشها:.............................. ٢٨٤
في بيت عائشة:... ٢٩٢
أبو بكر أسيف لا يسمع الناس:........................... ٢٩٢
إمامان لجماعة واحدة: ٢٩٢
أيهما الإمام؟!:.. ٢٩٤
تناقض روايات صلاة أبي بكر: ٢٩٦
صلاة أبي بكر والخلافة: ٣٠١

يوم الوفاة هو يوم العزل:.. ٣٠٦
التشاؤم هو السبب:.. ٣٠٨
مروا من يصلي بالناس:.. ٣٠٩
عزله في الصلاة الأولى:.. ٣١٠
صويحبات يوسف:.. ٣١٠
أستاذ المعتزلي يشرح ما جرى: ٣١١
يوم بنت خارجة: ٣١٣
دعوى صلاة النبي ' خلف أبي بكر:.. ٣١٤
روايات عائشة: ٣١٥
صلاة عمر بالناس: ٣١٨
صلاتان.. أم صلاة واحدة؟!:.. ٣٢١
روايةالواقدي:.. ٣٢٣
كل نبي يؤمه رجل من أمته: ٣٢٤
النصب بعد العزل:.. ٣٢٦

الفصل السادس: أحداث الوفاة في النصوص والآثار

توفي في بيتي بين سحري ونحري: ٣٣١
ملك الموت يستأذن على النبي ' :.. ٣٣٥
يوم وفاة النبي ' :.. ٣٣٦
متى دفن النبي ' ؟!:.. ٣٣٧
القول الأصوب والأصح:.. ٣٤٠
يوم وشهر وفاة النبي ' : ٣٤٣

ما يقوله الشيعة هو الأصح: ٣٤٦
ملاحظة: ٣٤٧
كم عاش رسول الله ' : ٣٤٨
عاش أبو بكر وعمر ثلاثاً وستين:.....................................٣٤٩
لماذا لا يذكرون علياً × : ٣٥٥

الفهارس:

١ ـ الفهرس الإجمالي..٣٥٩
٢ ـ الفهرس التفصيلي ٣٦١